



مع خلفائه

قدم له :

باقر شريف القرشي



منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان





الرسول الأعظم (ص)
مع خلفــــائه

مهدي القرشي

الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله مع خلفائه

قدم له

باقر شريف القرشي

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص. ب. : ٧١٢٠

الطبعـــة الاولى

١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م

كتاب عقائدي اقتبست مواضيعه من الأحداث ، والصور التي التقطها التاريخ من شاشة الحياة الغابرة من عصر الرسول الأعظم (ص)، وأعصر الخلفاء الأربعة، وسلط عليها البحث الدقيق أنواره الكاشفة للحق واليقين وصيغت بقوالب شفافة تحكي ما حوته عن وعي وتعقل، سندها الكتاب العزيز والسنة المحمدية .

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إنْ نَسِيْنا أوْ أَخْطَأْنا . رَبَّنا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنـــا إصْراً كما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذين مِنْ قَبْلِنا . رَبَّنا ولا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ . واعْفُو عَنّا وَاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا أَنْتَ مَولانا فَانْصُرْنا عَلَى القَوْمِ الكافِرين .

« القرآن الكريم »

الاهداء

«قُلْ هذه سَبيلي أدْعو إلى الله على بَصيرةٍ أنا ومَنْ اتّبعَني، وسُبحانَ الله وما أنا من المشركين .» بهـذا الوعي الاسلامي الأصيل ، وبوحي من الغدير ، كتبت هذا المجهود ، وأنا أدفعه بكلتا يدي إلى وصي رسول الله (ص) ، ومولى المسلمين الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، راجياً من الله أن تكون لي ذريعة « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » ولقلة بضاعتي ، وضعف حيلتي أقول كما قال إخوة يوسف لأخيهم : « وقالوا يا أيها العزيز مسّنا وأهلنا الضر ، وجئنا ببضاعة مزجاة ، فاوف لنا الكيل ، وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين »

المــؤلف

تقـــديم :
باقر شريف القرشي

١

وموضوع الخلافة في الإسلام من أهم القضايا التي مُنيت بالتعقيـد والغموض فقد امتحن المسلمون بها امتحاناً عسيراً ، وأرهقوا إرهاقاً شديداً ، فهي مصدر الفتنة الكبرى التي أدت إلى نشوب النزاع ، واحتدام الجـدال ، واختلاف النزعات بين المسلمين .

إن المآسي الفظيعة ، والمحن الشاقة التي جابهها المسلمون في الفترات المختلفة من الأمويين والعباسيين كانت – من دون شك – من النتائج المباشرة للخلافة التي انحرفت عما أراده الله ورسوله من جعلها في العترة الطاهرة التي هي أقرب الناس برسول الله (ص) ، وأشبههم به في ورعه وعلمه ، والتزامه بحرفية الإسلام ، ولو قدر للخلافة بعد وفاة النبي (ص) أن تأخذ طريقها المستنير الذي عينه رسول الله ، لما حلت تلك الأحداث المؤسفة في الإسلام ، ولما حدث التنـاحر المرير بين المسلمين الذي لا يعلم بانقضائه إلا الله .

لقد كانت شهوة الحكم وحب الرياسة قد استولت على طبـاع القوم فأجمع رأيهم على صرف الخلافة عن أهلها ، فعقدت السقيفة وأبرم فيها العهد فخرج القوم ظافرين بالحكم ، والنبي مسجى في فراش الموت لم يغيبه عن عيون القوم مثواه.

وانطلقت العترة بعد مواراة النبي (ص) ومعها خيار الصحابة وأعلام الدين وهم يشجبون استئثارهم بالأمر ، ويذكرونهم الدار الآخرة ، ويحذرونهم مغبة الأمر ، وما تنتجه هذه المباغتات والفلتات من المضاعفات السيئة التي تتغير بها مجرى الحياة الكريمة في الإسلام ، فكان الرد عليهم « لاتجتمع النبوة والخلافة في بيت واحد . » وهو منطق رخيص لا يساعده الدليل في جميع أحواله لماذا لا تجتمع النبوة والخلافة في بيت الوحي ومعدن العلم ، ومهبط الملائكة ؟! ألقصور في العترة الطاهرة عن تحمل المسؤولية وقيادة الأمة ، وهي من دون شك لو تولت زمام الحكم بعد النبي (ص) لوفرت للمسلمين جميع ما يحتاجون إليه ، ولحققت على مسرح الحياة العدل الإجتماعي ، والعدل السياسي ، وأوجدت الفرص المتكافئة لجميع المواطنين .

إنه ليس هناك من عامل سوى الحسد والأنانية التي أترعت بها نفوس القوم ، فاقصوا العترة الطاهرة عن الخلافة ، وقد فسحوا بذلك المجال للأسر المعادية للاسلام والباغية عليه أن تغزوا المنصب الديني الأعلى ، وأن تنزوا على منابر المسلمين وتتحكم في رقابهم وفي مصيرهم .

لقد أنتجت عملية فصل الخلافة عن أهل البيت أن يؤل أمر المسلمين إلى معاوية بن أبي سفيان وإلى يزيد وإلى مروان والوليد ، وأن يكون الولاة على الأقاليم والأنصار الإسلامية أمثال سمرة بن جندب ، وبسر بن أبي أرطاة ، وزياد ابن أبيه ، وعبيد الله بن زياد ، والحجاج بن يوسف ، وأمثالهم من البغاة والجلادين الذين تنكروا للاسلام ، وسحقوا جميع مقدساته ونواميسه ، وقد أثبتوا في نشاطهم السياسي والإداري أنهم يحاولون تصفية الحساب مع المسلمين واستعبادهم ، وإخضاعهم للذل والعبودية ، وإشاعة المنكر والفسوق والإثم في بلادهم ، بالإضافة إلى ما صبوه على العتره الطاهرة من القتل ، والصلب والتشريد ، وسبي ودائع النبوة وكرائم الوحي ، فلم ترع فيهم حرمة النبي (ص) ولا ذمام الاسلام الذي الزم بودهم واحترامهم .

كل هذه الفجائع والمآسي كانت ناجمة من دون شك عن فصل الخـــلافة عن أهل البيت (ع) .

وكان المنطق الرخيص سائداً في تلك العصور ، ولا يزال سائداً حتى يوم الناس هذا من أنه يجب علينا أن نحمل أفعال القوم على الصحة وأن نقدس جميع خطواتهم الإيجابية ،ونقول إنهم قد صانوا الاسلام فيما فعلوه وحفظوا لهمثاليته ،وقد احتاطوا في جميع ما فعلوه ، وقد ابتغوا الدار الآخرة ، وليس لنا إلا الرضـا والسكوت ، وتأويل أفعالهم وحملها على خلاف ظاهرها وواقعها ، وليس للعقل في ذلك حكم ، ولا للمنطق مجال ، ولا للرأي حكومة ، ومن الطبيعي أن هذا الإلتواء لا يقره الإسلام بحال من الأحوال، فقد أعلن — والحمد لله — حرية النقد لكل عمل جاء في الواقع وشذ عن سنن الاسلام، ونعي على العقل الجمود ، ودعاه إلى الانطلاق ، وإلى التفكير في كل شيء،ومن الطبيعي أن عزل العقل عن النظر والتأمل في الأحداث الجسام التي وقعت في الصدر الأول من الاسلام إنما هـــو تجميد لقوى الفكر ، وسد لأبواب النظر والعرفان التي هي من الخصائص الذاتية لهذا الانسان .

ونحن في حاجة إلى البحوث الحرة التي تكشف لنا الحقائق،وتدلنا على واقع الأمور ، فقد خلط التاريخ الاسلامي بكثير من الموضوعات والمفتريات أوجبت خفاء الحق ، وتظليل الرأي العام في كثير من جوانب حياته العقائدية .

وكان عامل الدس والافتراء إنما هو تأييد السلطة الحاكمة وتدعيم حكمهـا ، وعزل أهل البيت عن القيادة العامة للأمة، ومن أظهر ألوان ذلك الدس الأخبار التي تعمد وضعها في مناقب بعض الصحابة ، وجعلهم في مستوى النبوة ، وفوق مستوى المسلمين ، وإنهم لا يؤاخذون على ما يقولون، ولا يحاسبون على ما يفعلون وإن كان على خلاف الحق .

لقد تعمد معاوية إلى ذلك فعهد إلى لجان الوضع التي أغراها بأمواله وسلطانه

أن تروي في بعض الصحابة كل ألوان التقديس والثناء [1] ليجعلهم قبال العترة الطاهرة ، وقد دونت – مع الأسف – تلك الموضوعات في كتب الأخبار ، ورواها الثقات وهم – من دون شك – لايعلمون بوضعها ، ولو علموا ذلك لتحرجوا من روايتها فضلاً عن تدوينها ، ومن هنا نشأت المحنة الكبرى في حمل مطلق الصحابة على الصحة ، وعدم النظر في أعمالهم ، وسد باب النقد والمؤاخذة على ما صدر من بعضهم من شذوذ أو التواء .

٢

وإذا عرضنا قصة الصحابة على المنطق ، وتجردنا من العواطف ، ولم نخضع للمؤثرات التقليدية ، نرى أن الصحابة فيهم الصلحاء والأخيار ممن ساهموا في بناء الاسلام وأقاموا دعائمه ، ووهبوا أرواحهم وأموالهم لله ، وقد أثنى عليهم تعالى في غير آية من كتابه فقال فيهم : « الذين آمنوا بالله ولم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون » وقال تعالى : « رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ابداً ذلك الفوز العظيم . » [2]

وهؤلاء هم الذين آمنوا بالله ، ونصروا الاسلام في ايام محنته وغربته وكافحوا

---

(١) يقول المحدث ابن عرفة المعروف بنفطويه : (إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة أفتعلت في أيام بني أمية تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم) وقد كتب معاوية إلى جميع عماله مذكرة جاء فيها (إن الحديث قد كثر في عثمان ، وفشا في كل مصر ، وفي كل ناحية فإذا جاءكم كتابي فادعوهم إلى الرواية في أبي بكر وعمر ، فإن فضلهما وسوابقهما أحب إلي ، وأقر لعيني ، وأدحض لحجة أهل هذا البيت ، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله) وقد كثرت لجان الوضع ، وأنتشر الكذب على النبي (ص) وكان ذلك من أعظم الوسائل التي اعتمد عليها معاوية لتدعيم حكمه ، فقد أوجبت تخدير الجماهير ، وشل حركة الثورة في النفوس .

(٢) سورة التوبة : آية ١٠٠ .

جبابرة العرب وطغاة قريش، فلاقوا في سبيل الدين اشد الوان المحن والتنكيل، فلهم على كل مسلم حق وفضل ، ويجب ان نكن لهم في اعماق نفوسنا الإكبار والتقدير والود والتكريم لما اسدوه على الاسلام من اياد ،وألطاف .

ومن الصحابة من مردوا على النفاق ، وابتغوا الفتنة ، واظهروا الغدر وانهمروا الكيد،فلم ينفث الاسلام الى قلوبهم ، وإنما كانوا يبدونه بألسنتهم حفظاً على دمائهم واموالهم ، وقد وصفهم تعالى بقوله : « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلا انفسهم وما يشعرون » .[1]

وقد مهروا في النفاق والخديعة والمكر فكانوا إذا التقوا بالمؤمنين اظهروا لهم الإيمان والإنقياد لله ،وإذا خلوا بزملائهم من المنافقين قالوا لهم : إنا معكم، وقد حكى ذلك تعالى بقوله : « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلو إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن»[2] وقد انزل تعالى فيهم سورة من كتابه وهي سورة المنافقين تشهيراً بهم ، وفضحاً لنواياهم،واستهانة بهم ، واعد لهم في الدار الآخرة العذاب الأليم .

لقد تحدث النبي (ص) في غير موقف من مواقفه عن هؤلاء الذين كادوا للاسلام وبغوا عليه ،فأخبر ان الله سيعاقبهم ويؤاخذهم على ماسيحدثونه من بعده فقد اخرج الترمذي عن النبي (ص) انه قال: « ويؤخذ بأصحابي ذات اليمين وذات الشمال ، فأقول يا ربي اصحابي ، فيقال إنك لا تدري ما احدثوا بعدك فإنهم لن يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم ، فأقول : كما قال العبد الصالح إن تعذبهم فإنهم عبادك . »[3]

وقال (ص): «انا فرطكم على الحوض ، ولا نازعن اقواماً ثم لأغلبن عليهم، فأقول يا رب اصحابي ، فيقول لا تدري ما احدثوا بعدك . »[4]

---

(١) سورة البقرة : آية ٨ – ٩ (٢) سورة البقرة : آية ١٤ .

(٣) صحيح الترمذي ٥ – ٢٣١ .

(٤) مسند أحمد ٥ – ٢٣١ .

واخرج البيهقي بسنده عن ابي عبدالله الأشعري عن ابي الدرداء قال: قلت يا رسول الله بلغني انك تقول : ليرتدن اقوام بعد ايمانهم ، قال (ص) اجل ولست منهم [1] .

إلى غير ذلك من الأخبار التي اعلنت بوجود المنافقين والمرتابين في دينهم والمرتدين على أعقابهم بعد وفاة النبي (ص) وليس لنا بعد ذلك أن نحكم حكماً مطلقاً بأن كل صحابي عادل ، وأن الصحبة توجب العصمة ، وتنفي الزيغ من النفوس . فإن هذا المنطق لا يساعد عليه الدليل ولا البرهان ، وهو في نفس الوقت بعيد عن روح الاسلام ، وبعيد عن هديه ، فإنه جعل المقياس في تفاوت الناس ، وفي اختلاف قيمهم إنما هي الأعمال ولا أثر لغيرها ، وقد أناط تعالى بها ثوابه وعقابه قال تعالى :« وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى» وقال تعالى : « ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره»

إن الإسلام الذي بني على العدل الخالص والحق المحض لا يرى هناك قيمة ترتفع بها مكانة الشخص سوى العمل الصالح الذي يقرب الانسان من ربه ، ويبعده عن بواعث الهوى والغرور .

٣

وتناول هذا الكتاب ببحوثه الحرة الأحداث التي جرت في العصر الأول وهي — من دون شك — قد أدت إلى انقسام المسلمين ، وتصدع شملهم ، وظهور النزعات المختلفة في صفوفهم ، عرضها المصنف بأسلوب رائع رصين ، فصور قيام المحشر ، وسؤال النبي (ص) لخلفائه عما وقع منهم من الأحداث المؤسفة ، وما أفتوا به في بعض القضايا مما كان من الإجتهاد قبال النص ، وهو أمر لا تقره الشريعة بحال ، فإن الاجتهاد لا يشرع في مثل ذلك ، فإن نصوص الكتاب والسنة يجب التعبد

---

(١) تاريخ ابن كثير ٦ - ٢٠٧ .

بها ، وليس للفقيه الافتاء في أي نازلة إلاأن يكونله مأخذ من الأدلة الشرعية، فإن الاجتهاد فيما يرى الدهلوي عبارة عن « استفراغ الجهد في إدراك الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية الراجعة كلياتها إلى أربعةأقسام : الكتاب والسنة والاجماع والقياس»[1] ولم تستند تلك الأحكام التي صدرت من الخلفاءإلى هذه الأدلة التي يقتبس منها الحكم الشرعي بإجماع العلماء ، ومن الطبيعي أنه لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك .

ذكر المؤلف – حفظه الله – بعض فتاوى الخلفاء ، ومطالبة النبي (ص) ، لهم في يوم الحشر – بمداركها وأدلتها ، وإبداء أسفه وأساه على ما صدر منهم .

إن الأحداث المؤسفة التي صدرت من الخلفاء ، واجتهادهم في بعض القضايا، وتأولهم لنصوص الكتاب فيها ، لا تزال موضع البحث والنزاع ، فقد عرضها المتكلمون من الشيعة منذ أقدم العصور ، وأجاب عنها المعتزلة من أهل السنة ، وقد أفردت لها كثير من الكتب ، وكان من أروعها وأوثقها عند الشيعة – في هذه العصور المتأخرة – (النص والاجتهاد) لسماحة الامام المغفور له شرف الدين ، فقد عرض فيه إلى كثير من الأحداث والفتاوىالتي صدرت من كبار الصحابة،وهي بظاهرها لا تتفق مع النص،ولاتساير واحداًمن الأدلة الاجتهادية.

وقد تأثر المؤلف بمراجعته (للنص والاجتهاد) – كما يقول في تقديم كتابه – فألف هذا الكتاب القيم ، ولم يكن له – يعلم الله – أي مقصد أو هدف منوراء ذلك إلا خدمة الحق ، والانتصار لعقيدته ومبدئه ، فقد هام – حفظه الله – بحب أهل البيت ، وانطبع حبهم في قلبه ، ومشاعره ، حتى صار ذلك عنصراً من عناصر ذاته ، ومقوماً من مقومات مزاجه ، وهو يعتقد اعتقاداً جازماً لا يخامره أدنى شك ان ما لحق العترة الطاهرة – التي هي عديلة القرآن الكريم – من أذى وضيم ، واضطهاد ، ومحن وخطوب، كل ذلكمسبب عن الصدر الأول، فهم الذي فسحوا المجال – من حيث يدرون ولا يدرون – إلى القوى المعادية

---

(١) دائرة المعارف محمد فريد وجدي ٢ -٢٣٦ .

للاسلام أن تحتل منصب الخلافة الاسلامية ، وتمعن في إرهاق أبنـاء النبي (ص) وإنزال الكوارث والخطوب بهم .

وعلى أي حال فإن البوادر التي أثبتها المصنف ودان بها الخلفاء قـد أجمع الثقات من الرواة على تدوينها ، وقد ذكر مصادرها في هامش الكتـــاب، ولم تكن موضع النزاع والجدل بين العلماء من ناحية صدورها إلا التماس العذر وحمل الصحابة على الصحة ، وهو منطق — كما ذكرنا — لا يساعد عليـه الدليل ، ولا تقره قواعد العلم .

ونحن لا يخامرنا شك في أن هذه البحوث سوف تتبلور في عصور النهضـــة الفكرية ، وستعالجها بصورة موضوعية أقلام الأحرار والمفكرين ويـبرز الحق واضحاً جلياً لا غبار عليه .

وقد أولى من سماحة المؤلف شرف تقديم كتابه ، فعكفت على مراجعته ، والامعان في بحوثه ، وإني اهنيه على هذا المجهود القيم ، سائلاً من الله تعالى ان يمن على الأمة بأمثاله من العلماء المحققين انه تعالى ولي القصد والتوفيق .

النجف الاشرف : باقر شريف القرشي

المُقَـدّمَة

١

واقتضى عدل الله الفياض بالرحمة ، وحكمته البالغة ، وألطافه اللامتناهية.. أن يبعث للناس كافة – حاضرهم وباديهم ، أبيضهم وأسودهم ، عربيهم وأعجميهم – أنبياء ، ويرسل لهم رسلاً مبشرين ومنذرين ، ليكونوا رحمة للعالمين « يا ايها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً»(١)

واختيار الأنبياء حق من حقوقه تعالى ، وتعيينهم لطف من ألطافه ، لا ينازعه فيه منازع من خلقه ، وقد أعلن ذلك كتاب الله العزيز – الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه – في غير آي من آياته قال تعالى : « يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالعدل »(٢) وقال تعالى : «وربك يخلق مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون»(٣) وقال تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا »(٤) .

وقد جعل تعالى آدم خليفة في أرضه قال تعالى : « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٤٥ – ٤٦ .
(٢) سورة ص : آية ٢٦ .
(٣) سورة القصص : آية ٦٨ .
(٤) سورة الأحزاب : آية ٣٦ .

ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون »[1] وانتخب تعالى طالوت ملكاً على بني إسرائيل قال تعالى : « وقال لهم نبيهم إن الله بعث لكم ملكاً قالوا أنى له الملك ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤمن ملكه من يشاء والله واسع عليم »[2].

واختار تعالى خليله ابراهيم إماماً للناس « قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين »[3]

واختار الله سبحانه محمداً صلى الله عليه وآله سيداً لرسله وخاتماً لأنبيائه قال تعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين »[4]

٢

والإمامة كالنبوة لا تنالها يد الجعل ، وإنما أمرها بيد الله تعالى فهو الذي يختار لها من يشاء من عباده ، وقد اختار تعالى الإمام أمير المؤمنين (ع) وصياً لرسوله ، وخليفة من بعده ، وجعله إماماً على جميع المسلمين ، وقرن طاعته بطاعته وطاعة رسوله ، وقد نطق بذلك التنزيل قال تعالى : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون »[5] فقد اتفق المفسرون والمحدثون من العامة والخاصة أنها نزلت في أمير المؤمنين لما تصدق بخاتمه في أثناء صلاته على المسلمين[6] وهي تدل على المطلوب بصراحة ووضوح

---

(١) سورة البقرة : آية ٣٠

(٢) سورة البقرة : آية ٢٤٧

(٣) سورة البقرة : آية ١٢٤

(٤) سورة الأحزاب : آية ٤٥ — ٤٦

(٥) سورة المائدة : آية ٥٥ .

(٦) نص على ذلك الرازي في تفسيره ٦١٨/٣ ، والزمخشري في تفسيره ٢٦٤/١ والبيضاوي في تفسيره ص ١٥٤ ، والنيسابوري في تفسيره ٢٨/٢ ، والطبرسي في تفسيره مجمع البيان ١٦٥/٦ ، وعلي المتقي في كنز العمال ٣٩١/٦ .

فإن كلمة إنما للحصر باتفاق أهل اللغة ،والولي بمعنى الأولى بالتصرف وهو مرادف للامام والخليفة عند أهل اللغة والشرع .

وجعله تعالى في آية المباهلة نفس النبي قال تعالى : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الظالمين »(١)

واتفق جمهور المفسرين، ونقلة الحديث أنها نزلت في أهل البيت (ع)(٢) وأن أبناءنا اشارة إلى « الحسنين » ونساءنا إشارة إلى فاطمة (ع) ، وأنفسنا إلى علي (ع) فهو يساوي النبي (ص) في الولاية العامة على المسلمين ويفترق عنه في النبوة .

وأمر الله تعالى نبيه أن يأخذ لأمير المؤمنين البيعة يوم غدير خم ، وينصبه علماً من بعده ، قال تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين »(٣) .

ولما تمت البيعة ، وأحكم النبي (ص) عقدها نزل قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا »(٤) .

وأذهب الله عنه الرجس ، وطهره من الفتن والزيغ ، وعصمه من الفتن والآثام ، قال تعالى : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيراً»(٥)

---

(١) سورة آل عمران : آية ٦١

(٢) تفسير روح البيان ١/٤٥٧، تفسير البيضاوي ص ٧٦ ، تفسير الرازي ٢/٦٩٩ ، تفسير الجلالين ١/٣٥ ، تفسير الكشاف ١/١٤٩ ، مصابيح السنة للبغوي ٢/٢٠١ ، صحيح الترمذي ٢/١٦٦ ، مسند أحمد بن حنبل ١ - ١٨٥ .

(٣) سورة المائدة : آية ٦٧ ، نص على نزولها في يوم الغدير ، الواحدي في أسباب النزول ص ١٥٠ ، والفخر الرازي في تفسيره وغيرهما .

(٤) سورة المائدة: آية ٣، نص على نزولها في يوم الغدير السيوطي في الدر المنثور ٢-٢٥٩ والخطيب البغدادي في تأريخه ٨- ٢٩٠ وغيرهما .

(٥) سورة الأحزاب آية ٣٣ .

وقد أجمع المفسرون ورواة الأخبار أنها نزلت في أهل البيت (ع) وفي طليعتهم أمير المؤمنين (ع) والآية صريحة في عصمته عن المعاصي والأرجاس فقد دلت على ذلك كلمة إنما وهي من أقوى أدوات الحصر، بالإضافة إلى دخول اللام في الكلام الخبري، وتكرار لفظ الطهارة، وذلك يدل – بحسب الصناعة – على الحصر والإختصاص، كما نسب تعالى إرادة ذلك إليه، ويستحيل في إرادته تعالى أن يتخلف المراد عن الارادة «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كنْ فيكون»[1].

إلى غير ذلك من الآيات التي أشادت بفضل أمير المؤمنين (ع) وهي صريحة في إمامته وعصمته.

لقد قرأنا فضل أبي الحسين «في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة»[2] وعلمنا أن الله قد اختاره لمنصب الإمامة والخلافة، وليس بعد اختيار الله حق لاختيار أحد.

٣

وقرن النبي (ص) الدعوة إلى الامامة بالدعوة إلى النبوة، وابتدأ ذلك بحادثة انذاره لعشيرته الأقربين، فاتخذ أمير المؤمنين (ع) أخاً ووصياً له، وخليفة من بعده، وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا[3].

واستمر (ص) يواصل الدعوة إلى امامة امير المؤمنين، ويذلل له الصعاب، ويمهد في سبيل ذلك جميع الوسائل والطرق، ولما حج (ص) حجة الوداع

---

(١) تفسير الرازي ٦ – ٧٨٣، الدر المنثور ٥ – ١٩٩ النيسابوري في تفسير سورة الأحزاب، صحيح مسلم ٢ – ٣٣١، الخصائص الكبرى ٢ – ٢٦٤ الرياض النضرة ٢ – ١٨٨، مسند أحمد بن حنبل ٤ – ١٠٧، سنن البيهقي ٢ – ١٥٠، مشكل الآثار ١ – ٣٣٤.
(٢) سورة عبس: آية ١٣ و ١٤ و ١٥.
(٣) تاريخ الطبري ٢ – ٦٢، كنز العمال ٦ – ٣٩٢.

قام في عرفات خطيباً، وكان عدد الحجاج مائة ألف أو يزيدون فقال (ص):

« ايها الناس ، يوشك أن ادعى فاجيب ؛ وإني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم به فلن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي . وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما » .

واعتلى (ص) راحلته متخذاً ظهرها منبراً ، وهم محدقون به يشخصون إليه بأبصارهم واسماعهم وافئدتهم ، فقال (ص) :

« علي مني وأنا من علي ، ولا يؤدي عني الا أنا أو علي »[1]

ولما قفل من حجة الوداع بمن معه من الحجاج ، كان يوجس في نفسه الرحيل الى الله قبل أن يرحمه ويقي أمته من الفتن والأهواء .

ولما بلغ غديرخم أوحى إليه الله تعالى « يا أيها الرسول بلغ ما أُنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين » .

واضطرب النبي (ص) من هذا الانذار ونزل عن راحلته واستنزل من معه عن رواحلهم ، واسترجع المتقدمين منهم وانتظر المتأخرين ، حتى اجتمع الناس في صعيد واحد ، وكان الزمن شديد الحر . فوضعوا ثيابهم تحت ارجلهم من حرارة الرمضاء فصلى (ص) فيهم ... وصنع له منبر من حدائج الأبل بين دوحتين .

فرقى (ص) ذروة المنبر ، ووقف أمير المؤمنين (ع) دونه بمرقاة ، وارتجل (ص) خطيباً فحمد الله واثنى عليه . ثم قال : « أيها الناس يوشك أن أُدعى فأجيب ، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون ، فماذا انتم قائلون ؟ »

فانبروا جميعاً قائلين بلسان واحد .

« أنك قد بلغت ، وجاهدت ، ونصحت فجزاك الله خيراً »

فقال (ص) :

« ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله ، واني محمد عبده ورسوله ، وان جنته

---

(١) الصواعق المحرقة .

حق ، وان الموت حق ، وإن الساعة آتية لا ريب فيها ، وان الله يبعث من في القبور . »

قالوا « بلى نشهد بذلك » .

قال « ص » « اللهم اشهد » .

وأخذ بيد امير المؤمنين حتى بان للناس بياض ابطيهما واعلن للملأ أنه وصيه وخليفته قائلا :

« يا أيهـا الناس ، إن الله مولاي ، وأنا مولى المؤمنين ، وأنا أولى بهم من أنفسهم ، فمن كنت مولاه فهـذا علي مولاه اللهم وال من والاه ، وعاد من عـاداه » .

ووجه خطابه الى المسلمين قائلا :

« يا أيها الناس أنا فرطكم[1] وانكم واردون على الحوض حوض اعرض مما بين بصرى[2] إلى صنعاء[3] فيه – عدد النجوم – قدحان من فضة ، وإني سائلكم حين تردون علي الحوض ، عن الثقلين . كيف تخلفوني فيهما ؟ الثقـل الأكبر كتاب الله عز وجل طرفه بيد الله ، وطرفـه بأيديكم ، فاستمسكوا بـه ، لا تضلوا ولا تبدلوا ، وعترتي أهل بيتي ، فانه قد نبأني اللطيف الخبير انهما لن ينقضيا حتى يردا على الحوض »[4] .

ولما سمع أبو بكر وعمر ذلك قاما إلى امير المؤمنين فقالا له :

---

(١) الفرط : السابق والمتقدم .

(٢) بصرى : مدينة في بلاد الشام .

(٣) صنعاء : بلدة في اليمن .

(٤) حديث الغدير من الأحاديث المتواترة التي اجمع المسلمون على روايته ، ذكره ابن ماجة في صحيحه ص ١٢ ، واحمد بن حنبل في مسنده ٤ – ٢٨١ ، والمتقي في كنز العمال ٦ – ٣٩٧ ، والمحب الطبري في الرياض النضرة ٢ – ١٦٩ والحاكم في مستدركه ٣ – ١٠٩ ، والنسائي في خصائصه ص ٢٥ ، والبغدادي في تأريخه ٨ – ٢٩٠ ، وابن حجر في صواعقه ص ٢٥ ، وذكره ابن الاثير في اسد الغابة ١ – ٣٦٧ ، وغيرهم وقد استوفى المحقق الاميني البحث عن الغدير بما لا يدع مجالاً للشك فيه .

« أمسيت يا بن أبي طالب مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة »[1]

وقام حسان بن ثابت فاستأذن من النبي ليلقي قصيدته العصماء التي سجل فيها الحادث بأحرف من نور ، فاذن (ص) في ذلك فانبرى يتلو رائعته قائلا :

يناديهم يوم الغدير نبيهم	بخم واسمع بالرسول مناديا
فقال فمن مولاكم ونبيكم	فقالوا ولم يبدوا هناك التعاديا

إن بيعة الغدير صريحة واضحة في امامة امير المؤمنين وقد احتج بها اعلام الاسلام على أحقية الإمام بالخلافة .

٤

وإني واثق وثوقاً لا يتخلله ريب ، ولا يشوبه شك أن موفقية الكاتب في الفصول العقائدية ، أو المواضيع الدينية ، وقوة تأثيره بتوجيه المجتمع الوجهة الصالحة ، وتدليله على الحق ، وارشاده إلى الوسائل السليمة ، كل ذلك انما يتحقق فيما إذا كتب إلى الحق ، وتجرد من الميول والأهواء ، ولم يخضع للعواطف وسائر النزعات .

وقد شعرت بذلك كله في قراءتي « للمراجعات » و « النص والإجتهاد » و « الفصول المهمة » لآية الله العظمي الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين تغمده الله برحمته ، فقد كان في كتبه هذه المحقق العدل للنصوص الصريحة في الكتاب والسنة التي تدل على إمامة أمير المؤمنين وإمامة الأئمة الهداة المتقين أبنائه عليهم السلام ، وقد كشف شرف الدين الغطاء في بحوثه الرائعة عن زيف المتأولين بعقولهم ، والمجتهدين بآرائهم قبال النص الصريح ، ولم يبق أدنى مجال للشك في خطأهم وبعدهم عن الحق .

---

(١) فيض القدير ٦ — ٢١٧

وتأثرت كذلك كثيراً في مطالعتي لكتاب « الإمام علي بن أبي طالب(ع) » لرائد الحق وناصر الإسلام العلامة الكبير السيد عبد الفتاح عبد المقصود حفظه الله .

لقد تولعت كثيراً بمراجعتي كتب هذين العلمين،واجتذبتني سورة الحق الطافح عليها ، فمضغت معانيها ، ومقاصدها حتى سرت بمشاعري، وعواطفي ، وأحاسيسي ، وأتحدث بكياني ، وانعكست أضواؤها على بصيرتي « أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده » .

ودفعتني هذه العوامل النفسية ، والتجاذب الروحي ، وتأثري البالغ بحادثة الغدير،إلى رسم هذه البحوث ، وقد صورت فيها قيام الساعد،وتقدم النبي (ص) بعرض ظلامة وصيه وباب مدينة علمه ، وما جرى عليه من الخطوب والآلام .

وقد صورت الأحداث التي جرت في العصر الإسلامي الأول بدقة وعمق ، معتمداً في نقلها على أوثق المصادر القديمة ، ناقلاً كل بادرة من مجموعة من المصادر ، وهي لو تأملها القارىء مجرداً عن عواطفه التقليدية لآمن إيماناً لا يخامره شك في هدف ما قلته ، وما صورته من إثبات الخلافة والإمامة للامام علي (ع) من بعد النبي (ص) مباشرة .

وإني أسأل من الله تعالى أن يثيبنا على ذلك ، إنه تعالى ولي ذلك ، وولي القصد والتوفيق .

نزيل قلعة سكر

مهدي القرشي

الرسول «ص» مع ابي بكر

وحشر الناس جميعاً «ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء »[1] « يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا » [2] « وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلماً ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضما » [3] .

فلا يوم كمثل ذلك اليوم في هوله وشدته « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد »[4] ونُصبت الموازين بالحق « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين » [5] .

وعقدت محكمة العدل الكبرى ،الذي لا يظلم فيها أحد وإن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً» [6]

وبينما الناس في غمرة وذهول ، قد شغلتهم المحنة الكبرى ، وطافت بهم الهواجس المريرة وإذا بهالة من النور أضاءت المحشر فتطلعت إليها الأبصار ، وتسأل عن ذلك فأخبروا بأن خاتم النبيين وسيد المرسلين قد أقبل .

وأطل النبي (ص) على المحشر ، وقد حفت به الأنبياء والأوصياء والملائكة

---

(١) سورة ابراهيم : آية ٤٢ - ٤٣
(٢) سورة طه : آية ١٠٩ .
(٣) سورة طه : آية ١١ - ١٢ .
(٤) سورة الحج : آية ٢ .
(٥) سورة الأنبياء : آية ٤٦ .
(٦) سورة النساء : آية ٣٩ .

فانطلقت الحناجر بالتهليل والتكبير ، وغمرت الناس موجـــات وموجات من المسرات ، فنصب له منبر من نور وأحـــاطه الله بألطافه وتكريمه ليظهر عظيم منزلته وسمو مكانته أمام عباده ، واعتلى (ص) ذروة المنبر ، وهو آخذ بيد وصيه وخليله أمير المؤمنين عليه السلام .

وتبدأ المحكمة ويشرع في الحساب « ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى » ويبتدأ النبي (ص) بعرض ظلامةوصيه وباب مدينة علمه أمير المؤمنين،وما جرى عليه من الضيم،ويعدد ما حل به من الرزايا والنكبات.

ويسود صمت رهيب وحزن مرهق على أهل المحشر فيندفع رعيل من الناس، قـــائلين :

يا رسول الله ، سل خلفاءك فهم الذين أستأثروا بالخلافة من بعدك ، ودفعوه عن مقامه الذي جعلته فيه .

ويلتفت إليهم النبي (ص) وهم محدقون به قائلاً لهم :

ما هو المبرر لكم في تقمص الخلافة، والإستبداد بالأمر، ألم تبايعوا علياً يوم (غديرخم)؟، ألم تسمعوا مني النصوص المتضافرة في حق علي؟ ما كان ظني بكم أنكم تستبدون بالخلافة ، وتحرمون امتي من التمتع بعدل علي ، ومساواته .

دفـــاعهم :

وبعد ما فرغ النبي (ص) من توبيخه للقوم ، وإقامته الأدلة الوافرة على حق علي ، وأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم انبرى القوم بإجماعهم إلى الدفـــاع عن نفوسهم قائلين :

« يا رسول الله : لقد اجتهدنا بآرائنا ، وتأولنا بعقولنا.. » ففسرنا قولك في علي : « من كنت مولاه فهذا علي مولاه» أنك تريد:من كنت صديقه أو ناصره

---

(١) سورة النجم : آية ٣١ .

أو حبيبه فهذا علي كذلك [1] .

تأولنا قول الله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم » بإكمال الأحكام من أصول الدين وفروعه .

وتأولنا ظاهر السنة .. وإنه ليرى الحاضر ما لا يراه الغائب .

استنكار النبي :

ويقطع النبي (ص) كلامهم ، وقد تميز فرقاً من الغيظ ، وساءه ما اعترفوا به من تأولهم لكتاب الله ، فرد عليهم قائلاً بنبرات ملاؤها الأسى والشجون : ويلكم أنا سيد الحكماء ، وخاتم الرسل والأنبياء !!

أنا لا أنطق هواء ، ولا أقول شططا .

أنا الذي علمني ربي الحكمة وفصل الخطاب ، وأقرأني صريح القرآن ، وأطلعني على تأويله .

أنا الذي زكاني ربي بقوله : « وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى شديد القوى » [2] .

أنا المعصوم من الزلل والمنزه عن الخطل .

أيجوز علي أن أقف ذلك الموقف المشهود في « يوم غديرخم » فأوقف تلك الحشود الزاخرة من المسير ، واحبسهم بالهجير من دون أن أقصد أمراً خطيراً وهو تعيين لأمير المؤمنين خليفة من بعدي ؟؟

لأي شيء أحتم على جميع الحجيج أن ينزلوا بذلك المكان الذي لا ماء فيه ولا كلاء ، وقد ألزمتهم جميعاً أن يبلغ الحاضر منهم الغائب بما قلته .

عليَّ هذا الإهتمام ، وهذا البيان أفيجوز أني أريد أن علياً ناصري أو صديقي أو حبيبي ؟؟

---

(١) للشيخ الطوسي تحقيق رائع في كلمة الولي في تلخيص الشافي ٢ - ١٧٥-١٨٣ .

(٢) سورة النجم : آية ٣ - ٤ .

أو لأبين لهم أن أحكام الله كاملة .. وهي مسطورة في كتاب الله يتلونه آناء الليل وأطراف النهار ؟؟

إنه لا يليق بي أن اريد ذلك ، ولا ينبغي أن أصنع غير الحكمة وفصل الخطاب « إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثمّ أمين وما صاحبكم بمجنون » .

إن قصدي هو أسمى من ذلك وهو وقايتي للامة من الإنحراف وسلامتها من الفتن والأهواء ، وإنكم بالذات لتعلمون غايتي من تعييني لعلي ولياً لعهدي ، وقائماً مقامي من بعدي ، ليبين أحكام القرآن ، ويوضح لكم ناسخه من منسوخه ، وخاصه من عامه ومقيده من مطلعه ، مبينه من مجمله ، فمن يعرف منكم تأويل القرآن غيره ؟

ويسود عليهم صمت رهيب ، وحزن رهيب ، ولا يجدون أي مجال للاعتذار .

النبي «ص» مع أبي بكر :

ويلتفت النبي إلى الخليفة الأول فيخصه بالسؤال قائلا :

يا أبا بكر بمَ أستبحت هذا المقام السامي ؟ والذي هو دون النبوة بمرقاة ، وليس أمره بيد أحد إنما أمره بيد الله يختار له من يشاء من عباده .

وهل من البر ، والوفاء ، وحسن المجاملة ، أن تسعى لطلب الخلافة كالمسعور ، وجثماني مسجى في حجرتي ، ولم أوار في ضريحي ، وأوسد في ملحودتي ؟

وهل من الانصاف أن تستبد في الأمر وعلي وأهل بيتي قد فجعهم الحادث الجلل ، وأوهى قواهم المصاب الأليم ، فقد كان فقدي قارعة نزلت بهم فصاروا يفترشون القلق ، ويتوسدون الأرق ، وتساورهم الهموم ، ويسامرون النجوم ، ويعالجون البرجاء ، ويتجرعون الغصص .

وقد صار وزيرك وباني دولتك عمر بن الخطاب يوطد لك الأمور ، ويربك الناس ، ويبلبل أفكارهم بندائه القاسي الرهيب « إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله قد مات . وإنه والله ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه ،

كما ذهب موسى بن عمران .. والله ليرجعن رسول الله ، وليقطعن أيدي رجال زعموا أنه مات » .

كل ذلك ليشغلهم عن البيعة لوصيي وخليفتي ، فهل أن عمر يؤمن بقرارة نفسه أني لم أذق الحمام ، والله تعالى في كتابه يقول : « إنك ميت وإنهم ميتون » وقال تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » ثم ما المسوغ له أن يرمي من قال بموتي بالنفاق والإرتداد ؟

أليس ذلك من خطوط المؤامرة الكبرى التي دبرتها أنت وحزبك على صرف الخلافة عن أهل بيتي .

لقد فعل عمر ذلك ليشغل المسلمين حتى تعود من بيتك بالسنح ، وعندما قفلت راجعاً دخلت داري ، فلم يستقر بك المجلس حتى توارت عليك الرسل من عمر ومن باقي حزبك وهم ينادونك :

« أخرج لأمر عظيم »

فما هو ذلك الشيء العظيم الذي هتف به حزبك ؟؟

لقد تناسيتم موت منقذكم ، ولم يفجعكم الحادث الجلل ، انصرفتم إلى الخلافة والملـــك .

يا أبا بكر هل هناك شيء أعظم من موت نبي بعثه الله رحمة للعالمين ، فأنقذ الله به امة كانت تأكل القدّ ، وتشرب الرنق قد خيم عليها الذل ، وساد فيها الجهل والخنوع ، فمنّ الله عليها في فأنقذتها من جرف الهلكات ، وأورثتها ملك كسرى وقيصر .

لقد كانت بأقصى مكان من الذل والهوان ، فرفعت من أمرها ، وأنقذتها من محنتها وشقائها ، وأنرت لها الطريق ، وأقمت فيهـا موازين العدل ، فتنـاسيتم ألطافي عليكم ، ولم تشغلكم مصيبتي ، ولم تستعظموا موتي ، وإنمـا استعظمتم الإمرة والسلطان .

وخرجت مسرعاً ، لم تذهلك المحنة الكبرى بفقدي ، فرأيت الناس حيارى

قد اذهلهم الخطب، وأخرسهم الحادث الجلل فرفعت عقيرتك مندداً بهم قائلاً :

« أيها الناس من كان منكم يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان منكم يعبد الله فان الله حي لا يموت » .

فهل أحد من المسلمين يا أبا بكر كان يعبدني من دون الله ؟ ، وهل أثر عن أحد منهم أنه اتخذني الهاً ؟

ألم يجمع المسلمون أني عبد الله ورسوله اصطفاني لرسالته واختصني بوحيه .

لعلك تريد أن دور محمد قد انتهى ، وجاء دور جديد ، وتركت الناس حيارى من دون أن تخفف عنهم لوعة المصاب وانصرفت ومعك عمر بن الخطاب وأبو عبيدة الجراح مهرولين إلى سقيفة بني ساعدة ، بعد أن علمت باجتماع الانصار فيها ، لقد انطلقتم جميعاً مسعورين مخافة أن يفوت الأمر منكم ، وكانوا يتداولون الرأي في مصيرهم ، وفيما يؤل إليه أمرهم ،فهل سيخرج سلطان الاسلام من يثرب ، دار هجرة النبي (ص) إلى مكة بلدته وبلدة ذويه أو انه يبقى ما كثاً سلطانه فيهم .

ويتساءلون فيما بينهم هل ان المهاجرين يظفرون بالحكم ؟ وانهم سيؤلونهم الخير الذي أوصيت به إليهم .

إنهم ليذكرون كيف اختصصتهم ، وكيف شدت بذكرهم ، وكيف قلت عنهم : (إنهم بيعتي ، وانهم لجاي ، واني السالك دائماً شعب الأنصار ، وإن سلك الناس شعباً سواه) كل هذا قد وضعوه على مائدة البحث .

وكلهم كانوا يؤمنون ايماناً لا يخامره شك ان تراثي لن يترك داري ، ولن يخرج عن أحب الخلق إلي ، وكان المهاجرون يشاركون الانصار في هذا الرأي، ولكن سرعان ما اختلف الفريقان فبدت بوادر من الشكوك والظنون ، ادت إلى قلب الأوضاع واختلاف الكلمة ، وتشعب الرأي وصدع الشمل فقد قال قائل منهم :

« منا أمير ومن قريش امير »

وسأل سائل منهم .

« فان أبرا عليكم »

فاثارت هذه الكلمة حميـــة الجاهلية في نفوسهم ، وفتحت أبواب الاحقاد والضغائن .

وجلس سعد بن عبادة ، شيخ الخزرج يدعـــو الانصار أن يوحدوا كلمتهم لئلا يخرج الأمر من أيديهم ، ولا يذهب عنهم بالفضل من تخلف عنهم بالفضل ، وكان سعد مريضاً لا يسمع صوته إلا همساً ، فوقف إلى جواره ابنه قيس يبلغ عنه ما يقول :

وكادت الانصار أن تستجيب للدعوة ، وهمت أن تبايـــع شيخ الخزرج لسابقته في الدين ولفضله وسخائه ، وكان ذلك صاعقة على حزبك الذي تشكل في أيام حياتي ، ومن اعضائه عويم بن ساعدة الاوسي ، ومعن بن عدي حليف الأنصار ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وخالد بن الوليد ، وقنفد بن عمير ، وانضم إلى هـؤلاء المنشقون من الانصار والحاقدون على سعد أمثــال بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي ابن عم سعد ، وأسيد بن الحضير سيد الأوس وقد دفعتهم الانانية والحسد لسعد أن ينال الزعامة على المسلمين ، فبعثوا اليــك بالحضور . فاقتحمت أنت وصاحباك عمر وأبو عبيدة ندوة الانصار وكبست عليهم سقيفتهم .

وقمت بتنفيذ مخططك خوفاً أن يرجع إلى الانصار والمهاجرين رشدهم ، فاوسعت رقعة الخلاف ، وأضريت نار الفتنة ، وأثار أصحابك وحزبك اللجاج والنزاع مبادرين في تعجيل الأمر مخافة أن يحضر أهـــل بيتي فتظهر حجتهم ويفوزوا في الأمر ، واغتنمتم انشغالهم برزيتي وانصرافهم إلى تجهيزي .

وقدمت المهاجرين على الأنصار ورشحتهم للخلافة مستدلاً على ذلك أن قريشاً اولى بالنبي فهم بيضته التي تفقأت عنه .

لقد حججت الانصار بأنكم شجرة النبي ، وتغافلت عن أهل بيتي وعترتي

فهم أغصان تلك الشجرة ، وعلي ثمرتها، وهو مني بمنزلة الرأس من الجسد بـل بمنزلة العينين من الرأس ، وان له البيعـة في عنقك يوم (غدير خم) وكنت بالذات من السابقين لمبايعته ، وقد قال له صاحبك عمر : « بخ بخ لك يا بن أبي طالب اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ، ومؤمنة » .

نسيت ذلك كله ، فلم تذكر علياً بقليل ولا بكثير ، وأثرت كوامن الغيظ في نفوس الأنصار حتى كادت الفتنة أن تقع بينكم وبينهم، ولما خفت من تطور الأمر قابلت الانصار بلـين القول ومعسول الكلام ، وذبت تصنعاً أمامهم فاعترفت لهم بالجميل ، واخذت تعدد فضائلهم ومواقفهم المشرفـة ، فرشحتهم للوزارة ، واخذت مكيدة منك بضبعي عمر ، وأبى عبيدة، فرشحتهما للخلافة، وأمرت المسلمين بمبايعة أيهما شاؤوا، ويمتنع صاحباك أن يتقدما عليك، مكيدة منهما ، وتضليلاً للرأي العام ، وعملاً بالمخطط المرسوم لهما ، فتسابقا لمبايعتك ، وتبارى حزبك الى بيعتك وأشتدوا على حمل الناس بالقوة والقسر الى بيعتك ، فقام أمرك بالقسر والعنف ، ولم يستند إلى الرضا والاختيار .

واشتد الزحام حول سعد بن عبادة ، وكانت كلماته تلهب العواطف، وتثير الحماس ، وقد ملكت دعوته اهتمامهم ، واستغرقت حواسهم ، وكانوا يتلقفون همساته كمثل تلقفهم لخطرات الأنـام ، فقد هـان لديهم — بعد ما أثرت نار الفتنة — حتى كادوا يقتلونه وهم لا يشعرون .

وارتفع صوت محذر من انصار شيخ الخزرج .

« يا قوم اتقوا سعداً لا تطأوه » .

فما اتمها حتى رنت كرجع الصدى كلمات جافيات غضاب .

« اقتلوه قتله الله فانه صاحب فتنة »[1] .

وتمت بيعتك مشفوعة بالإرهاب والتهديد ، وقد حف بك حزبك يزفونك

---

(١) العقد الفريد ٣ - ٦٣ .

إلى مسجدي زفاف العروس[1] وأنا ملقى على فراش الموت ، قد انشغل أمير المؤمنين بتجهيزي ، ولما بلغه احتجاجك على الأنصار بأنك من قريش وهي أولى بالنبي لأنها أسرته اندفع إلى الرد عليك قائلا :

فان كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنبي وأقرب
وإن كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا والمشيرون غيب

ولما حملته على البيعة قسراً اندفع إلى محاججتك وهو رابط الجأش ثابت الجنان قائلا لك :

« أنا أحق بالأمر منكم ، لا أبايعكم ، وأنتم أولى بالبيعة لي ، أخذتم هذا الأمر من الأنصار ، واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي (ص) وتأخذونه منا أهل البيت غصباً ، ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر لما كان محمد منكم فاعطوكم القادة ، وسلموا إليكم الامارة ، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار نحن أولى برسول الله حياً وميتاً فانصفونا إن كنتم تؤمنون والا فبوؤا بالظلم وانتم تعلمون »

فلم تصغ لاحتجاجه ، ولم تذعن لدليل ، ومضيت مزهواً لتقمصك بالخلافة واستبدادك بالأمر ، وكان ذلك في أعظم الكوارث والخطوب التي حلت بأمتي ، وقد اندفع عتبة بن أبي لهب وهو يذرف الدموع ، ويقول :

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف عن هاشم ثم منها عن أبي حسن
عن أول الناس إيماناً وسابقة وأعلم الناس بالقرآن والسنن
وآخر الناس عهداً بالنبي ومن جبريل عون له في الغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به وليس في القوم ما فيه من الحسن[2]

وانطلق اليك ولدي الحسن وأنت على منبري موجه إليك لاذع النقد قائلا لك :

---

(١) نهج البلاغة لابن ابي الحديد ٢/٨

(٢) تأريخ أبي الفداء ١ - ١٥٦

« انزل . . انزل عن منبر أبي وأذهب إلى منبر أبيك . »

فبهت وتحيرت ، وخاطبته بناعم القول قائلاً :

« صدقت والله إنه لمنبر أبيك لا منبر أبي »[1] .

ومع اعترافك بأنــه منبر أبيه لا منبر أبيك فكيف احتللته واستبحت مقــامه ؟

واحتج عليك صاحبي ،وصديقي ، ومن الحقته بأسرتي وهو سلمان الفارسي فقد قال لك أمام جمع حاشد من المهاجرين والانصار :

« يا أبا بكر .. إلى من تسند أمرك إذا نزل بك ما لا تعرفه ؟ ! وإلى من تفزع إذا سئلت عمــا لا تعلمه ؟ وما عذرك في تقدم من هو أعلم منك ، وأقرب الى رسول الله (ص) وأعلم بتأويل كتاب الله عز وجــل ، وسنة نبيه ، ومن قدمه النبي في حياته ، وأوصاكم به عند وفاتــه ، فنبذ تم قوله ، وتناسيتم وصيته ، ،أخلفتم الوعد ، ونقضتم العهد ، وحللتم العقد الذي كان عقده عليكم من النفوذ تحت راية أسامة بن زيد »[2] .

وانطلق الطيب ابن الطيب عمار بن ياسر وهو يحتج عليك وعلى من قدمك لهذا المنصب الخطير قائلاً :

« يا معاشر قريش ، ويا معاشر المسلمين ، إن كنتم علمتم وإلا فاعلموا أن أهل بيت نبيكم أولى وأحــق بارثه ، وأقوم بامور الدين ، وآمن على المؤمنين، وأحفظ لملته ، وانصح لأمته ، فمروا صاحبكم فليرد الحق إلى أهله قبل أن يضطرب حبلكم ، ويضعف أمركم ، ويظهر شقاقكم ، وتعظم الفتنة بكم ، وتختلفون فيما بينكم ، ويطمع فيكم عدوكم ، فقد علمتم أن بني هاشم أولى بهذا الأمر منكم ، وعلي أقرب الى نبيكم ، وهــو من بينهم وليكم بعهد الله ورسوله ، وفرق ظاهر قد عرفتموه في حــال بعد حال عند سد النبي (ص)

---

(١) الرياض النضرة ١ ـ ١٣٩ ، شرح النهج لابن ابي الحديد ٢ ـ ١٧

(٢) احتجاج الطبرمي ص ٤٢ — ٤٣ .

أبوابكم التي كانت إلى المسجد كلها غير بابه، وإيثاره إياه بكريمته فاطمة ورد من خطبها إليه منكم ، وقوله (ص) « أنا مدينة العلم وعلي بابها ، ومن أراد الحكمة فليأتها من بابها » وانكم جميعاً مضطرون فيما أشكل عليكم من أمور دينكم إليه وهو مستغن عن كل أحد منكم إلى ما له من السوابق التي ليست لافضلكم عند نفسه ، فما بالكم تحيدون عنه ، وتبتزون علياً على حقه ، وتؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة ، بئس للظالمين بدلاً اعطوه ما جعله الله ، ولا تولوا عنه مدبرين ، ولا ترتدوا على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين »[1] .

واحتج عليك غيرهم من اعلام الصحابة من الذين سبقوا الى الاسلام ولكنك أعرت حديثهم أذناً صماء ، وأخذت تلتمس المعاذير الى استبدادك بالأمر .

(١) احتجاج الطبرسي ص ٤٣

مواهب علي وملكاته

وبعد ما عرض النبي (ص) سجلاً من الأحداث الرهيبة التي رافقت بيعة أبي بكر أخذ يشيد في مواهب علي، وعبقرياته، ويبين لأهل المحشر ما امتاز به وصيه من الملكات، والنزعات، وما قام به من الأعمال الرفيعة في خدمة الاسلام، قائلا:

لقد رافقت الفضائل علياً من حين ولادته، وكان في جميع أدوار حياته مثالاً للعدل، والورع، والشجاعة، والعبادة ومعدناً للحكمة والعلم، وأخذ (ص) يعد بعض فضائله ومزاياه.

ولادة علي:

وتميز علي عن سائر البشر بمولده، فقد ولد في أشرف بقعة على الأرض وهي الكعبة التي جعلها الله قبلة للأنام[1] ولم يختص أحد بهذا الفضل سواه، فقد ولد مسلماً، مركز الايمان، قد فتح عينيه على الاسلام فلم يعرف قط عبادة الأصنام، والأوثان، فياله من مولود مبارك محظوظ، فقد وُلد في بيت الايمان والعبادة والهدى.

نشـــأته:

ونشأ علي في بيتي، متغذياً بعلمي، ومرتوياً بفضائلي، أرسم له في كل يوم أمثلة للهدى والصلاح، وكان يشاهد صلاتي ويسمع مناجاتي لربي.

لقد استأذنت عمي أبا طالب أن يترك لي علياً ليعيش معي فأذن لي بذلك[2] فتأدب على يدي، وتـــأثر بهديي، وارتسمت في أعماق نفسه ودخائل ذاتـه جميع نزعاتي، ولم يعرف في طفولته لهو الأطفال ولا صبوة الشباب وهفواتهم،

---

(١) جاء في مستدرك الصحيحين ٣ - ٤٨٣ أنه قد تواترت الأخبـــار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) في جوف الكعبة.

(٢) مستدرك الصحيحين ٣/٥٧٦.

فقد قضى بواكير حياته النضرة يبهرها نوري وعلمي وهداي وتقاي ، ألا بوركت تلك النشأة التي ليس لها نظير.

سبقه الى الاسلام :

وعلي أول من أجاب دعوتي وآمن برسالتي [1] فهو « أول الناس إسلاماً وأسبقهم إيماناً » فكان اللبنة الأولى في بناء صرح الاسلام ، كما كان المنجد الأول لي والمشاطر الوحيد لي بالشدائد والأخطار لقد سبق إلى الاسلام وآمن بالأهداف والمثل التي جاء هذا الدين ليقيمها، وقد سمع آيات القرآن ، وتعاليم السماء ، وهي مشرقة متألقة ، فوعاها قلبه ، ووقف على أسرارها ، وهو القائل :

« سلوني عن كتاب الله ما شئتم ، فوالله ما من آية من آياته إلا وأنا أعلم أنها نزلت في ليل ، أم في نهار » .

هذا هو علي التلميذ الأول للقران ، والسابق الأول للاسلام .

نسبه الوضاء :

نسب وضاء ، ومجد تليد فاق جميع بيوتات قريش، إنه ابن أبي طالب مؤمن قريش ، وأوسعهم أفقاً ، وأذكاهم قلباً ، وأوفرهم إيماناً ناصر الإسلام في أيام محنته وغربته ، وثبت ثباتاً باهراً أمام الزعزاع والعواصف .

وينطلق الرسول (ص) في بيان فضائل عمه ، وما أسداه عليه من الاحسان والتاريخ ، والحماية ، لقد قال عمي لقريش بصلابة وإيمان :

ولقد علمت بأن دين محمـــد ‏‏ من خير أديان البرية دينا

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ‏‏ حتى أوسد في التراب دفينا

---

(1) صحيح الترمذي ٢/٣٠١ ، أسد الغابة ٤/١٧ مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤/٣٦٨ ، تأريخ الطبري ٢/٥٥ ، مستدرك الصحيحين ٣/٤٦٥ وجاء فيه أن علياً أول من أسلم مع رسول الله (ص) ، ثم قال : هذا حديث صحيح الأسناد ، وذكره الهيتمي في مجمع الزوائد ٩-١٠٢ .

ولقد ظل يناصرني ، ويحمي جانبي ، ويرد عني الإعتداء فما أعظم ألطافه ، علي ، ولما حضرته الوفاة ،وجه بوصيته إلى بني هاشم قائلا لهم : «وأنتم يا معشر بني هاشم ، أجيبوا محمداً وصدقوه ، تفلحوا وترشدوا » .

وبعد وفاته فقدت الناصر والحامي ، فاشتدت وطأة المشركين علي ،وعظمت محنتي ، وكثر بلائي ، فقلت : « ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب » ويلتفت النبي (ص) إلى أهل المحشر فيقول لهم :

إن هذا العملاق العظيم الذي انترعت نفسه بالإيمان والتقوى ، ونصر الاسلام ووقف كالطود في حمايتي ، انظروا أن قوماً من أمتي يزعمون أنه مات مشركاً ، انه في ضحضــاح من نار ويعلو الضحك من الجميع ، وتسود السخرية والاستهزاء من هؤلاء الذين لا رشد لهم .

ويستمر النبي (ص) في تعداد فضائل عمه ثم يقول :

إن علياً ابن هذا الفذ العظيم ،وقد ورث فضائله الأصيلة ،وورث إيمانه العميق .

وعلي هو حفيد لعظيم آخر من عظماء الانسانية وأبطالها ذلك هو عبد المطلب « شيبة الحمد » وقد وصفوه فقالوا : « إنه كان يطعم الناس في السهل والوحوش في الجبال » وهو صاحب الايمان الوثيق الذي لم تؤثر فيه الروح الوثنية السائدة في عصره وبلاده .

وقد ورث عبد المطلب المكارم والمآثر من أبيه عمر والعلا هاشم الذي أطعم الناس في أيام سغبهم وجوعهم .

وهو ابن عبد مناف أعف الناس لساناً ، وأعلاهم بياناً ، وأقواهم جناناً .

وهو ابن قصي صاحب البيت ، واللواء ، وسادن الحرم ، ومعز الجوار .

وقد ورث علي فضائل آبائه ،ومكرماتهم ،وورث عنهم قوة الايمان ،والسخاء ، والشجاعة ، والعزم ، وقد ظهرت بوادر هذه الصفات في باكورة حياته بما فــاق أقرانـــه .

بـــطولته :

إنها طاقات جبارة من البطولة تمثلت في ابن أبي طالب فبلغ بها القمة، وتجاوز إلى أعلى مسئولياتها في نبل واستقامة وشرف .

لقد كان مكين البنيان في شبابه وكهولته ، وشيخوخته ، قـد تساوت في ذلك جميع أدوار حياته ، كان يقدم مهرولاً للحرب لا يلوي على شيء ... وقد مكنته قوته الجسدية البالغة في المكانة والصلابة من رفع الفارس ، وجلد الأرض به غير جاهد ولا حافل ، وبلغ من عظيم قوته أنه كان يزحزح الحجر الذي لا يزحزحه إلا رجال .

إن بطولة علي من البطولات النادرة فلم يتهيب من مبارزة أحد مهما بلغ من الشجاعة ، وذيوع الأسم فقد بارز عمر بن ود فارس الجزيرة والذي يُعد بألف فارس ، وطرحه أرضاً يتخبط بدمه .

وازدانت بطولته بالاستقامة، والعدالة، والشرف والنبل والورع عن البغي، والمروءة مع الخصم قوياً كان أو ضعيفـا ، وسلامة نفس من البغي والحقد ، فلم يبدأ أحداً بقتال ، ولا مندوحة عنه ، وقد أوصى ولده الحسن فقال له :

« لا تدعو إلى مبارزة ، فإن دُعيت إليها فأجب، فإن الداع إليهـــا باغ ، والباغي مصروع . »

إن بطولة الامام لم تكن مشفوعة بدافع الاغراض المـادية ، ولم تمثل عدواناً على أي إنسان ، وإنما كانت بدافع الحق ونصرة القيم العليا التي جاء بها الاسلام .

ومن شهامته التي تحكي عن مدى رحمته أنه أوصى أصحابه في حرب الجمل أن لا يقتلوا مدبراً، أو يجهزوا على جريح ، أو يكشفوا ستراً، أو يأخذوا مالاً .

إنها بطولة يقودها العقل ، وليس للعاطفة فيها أي مجال ، إنه الشرف الذي تحلى به سليل هاشم .

ومن أروع صور البطولة إعراضه عن عمرو بن العاص عدوه اللدود حينما كشف عن سوءته فغض بصره عنه ، وأرجع سيفه إلى غمده، وتركه ينجو بحياته، وهو

أخطر عليه من جيش مجهز . إن شرف هذه البطولة من أخـــلاق علي الذي لا يفشد إلا النصر الشريف .

لقد كانت ظاهرة البطولة من الخصائص الذاتية لابن أبي طـالب وقد عُرف بهـا منذ نعومة أظفاره فقد كان عمره الشريف عشر سنين ، فتحدى جبـابرة قريش وطغاتها عندما بلغتهم أمر ربي وطلبت منهم العون والنجدة لينصروني على أداء رسالة الله ، فاستهزأوا بي ، وسخروا مني ، فهب علي غير مكترث بهم قائلا : « أنا نصيرك » .

إنها البطولة الرائعة التي ليس لها نظير .

مبيته على فراش الرسول :

وتضحية فذة قام بها ربيب الوصي ، في رباطة جائش ، وإيمان وثيق وذلك في مبيته على فراشي ليعمي على قريش خروجي من مكة .

لقد قدم علي على هذه التضحية الرائعة ، وجعل نفسه قرباناً للوصي ، فأي فداء عظيم يكون مثل هذا الفداء ؟!!

وينبري الرسول (ص) فيتلو على أهل المحشر ما قام به وصيه في تلك اللحظة الحاسمة من التضحية في سبيله يقول (ص) :

لقد طلبت منه المبيت على فراشي حينما تجمعت قوى الشرك والإلحاد لوءدي ، فاستبشر فرحاً ، ونظر إلى نظرة عطف وحب فقال لي :

« أوتسلمن يا رسول الله ؟ »

فأجبته نعم .

فقال مسروراً أفتديك بنفسي يارسول الله .

وبات مثلوج الفؤاد ، مبتهج النفس ، مرتاح الضمير ، قرير العين، غير خائف ولا وجل ، مع أن مصيره بحسب العـــادة هو القتل ، إذ لا ينجو من الوحوش الكاسرة التي صممت على قتلي .

ويبهر هذه البطولات الرائعة جميع أهل الحشر فينبري شاعر موهوب قد استولى عليه الإعجاب والإكبار فيستأذن من النبي ليتلوا ما نظمه في هذه المناسبة فيأذن له فاندفع مخاطباً للامام .

وعلى الفراش مبيت ليلك والعدى تُهدي إليك بوارقاً ورعودا
فرقدت مثلوج الفؤاد كأنما تُهدي القراع لسمعك التغريدا

فيقابله الرسول بابتسامته الفياضة ، ويدعو له الجميع بالمغفرة والرضوان .

اعتراض أبي بكر :

وينبري أبو بكر فيقول : يا رسول الله – ألم أصاحبك حينما هاجرت من مكة وآويت معك إلى الغار حينما صممت قوى قريش، وقد فديتك بنفسي، فلماذا شدت بابن أبي طالب وأهملت مقامي ودفاعي عنك ؟

وينبري إليه الرسول قائلا :

« وأنت يا أبا بكر عندما صحبتني إلى الغار بلغ بك الخوف إلى قرار سحيق، وقد بذلت جميع جهودي لمحو الخوف عن نفسك، وقد ضمنت لك السلامة وعدم إصابتك بأي شيء ، مما تخاف منه فلم يؤثر ذلك فيك حتى نزل فيك قول الله سبحانه « ألا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ صاح في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا هي السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم » .

فخصني اليه بسكينته، وبقيت انت بحزنك ووجلك وخوفك .

ويسكت أبو بكر ، ويسود وجم رهيب على الجميع فينبري بالأزري يشق الصفوف ، فيستأذن من النبي لينشد قصيدته الغراء فأذن له ، فيقول :

أو ما ينظرون ماذا دهتهم قصة الغار من مساوي دهاها
يوم طافت طوائف الحزن حتى أوهنت من جني عتيق قواها

إلى أن يقول :

ابن هذا من راقد في فراش المـ   صطفى يسمع العدى ويراها
فاستدارت به عتـــاة قريش   حيث دارت بها رحى بغضاها
وأرادت به مكائـــد سوء   فشفى الله داءهـــا بدواها
ورأت قسوراً لو اعترضته الإ   نس والجن في وغىً أفنـــاها

ويعلو التكبير والتهليل من جميع جنبات القيامة ، وترفع الأيدي بالدعاء له ، ويمنح الشاعر الكبير ، وسام الشرف لمواهبه الفذة التي صرفها في خدمة أهل البيت عليهم السلام .

علمـــه :

ومما أمتاز به الامام أمير المؤمنين على بقية الصحابة سعة علمــه ، ووفور فقهه ، ودرايته باحكام التنزيل ، وأحاطته باسرار التشريـع ، فهو وارث علمي وقد فتق أبواب العلوم ، ودلل على قواعدها وأصولها بعد ما كان الناس يجهلون منها كل شيء .

ويلتفت النبي (ص) الى المجموعة الهائلة من الناس فيقول لها : لقد خلفت علياً في أمتي ليوضح لها معالم الدين ، ويبني لها أحكام التنزيــل ، ولو ثنيت له الوسادة من بعدي لأفتي أهل الإنجيل بانجيلهم ، واهل الزبور بزبورهم ، واهل الفرقان بفرقانهم .

وساد العلم، وانتشرت آفاق المعرفة، ولكن الصدر الأول من امتي حرموا أنفسهم ، وحرموا الاجيال الصاعدة من بعدهم من الانتهال من غير علمه ، والاستفادة من مكنونات فضائله التي حباه الله بها .

وقد أعلنت لجميع المسلمين ، وقلت لهم : « أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد المدينة فليأت الباب . »[1]

---

(١) مستدرك الصحيحين ٣/١٢٦ ، تأريخ الخطيب ٤-٣٤٨ ، تهذيب التهذيب ٦-٣٢٠ ، فيض القدير ٣-٤٦ ، مجمع الزوائد ٩- ١١٤ .

وأشدت بمواهبه وفضائله فقلت في حقه « أنا دار الحكمة وعلي بابها . »[1]

وقد عهدت إليه أن يبني لأمتي ما اختلفت فيه من بعدي فقلت له : « أنت تبني لأمتي ما اختلفوا فيه بعدي .. »[2]

وهو أعلم أمتي بشؤون القضاء وأحكامه ، وأدرى منهم بغوامضه ، وقد قلت فيه : « علي أقضى أمتي »[3]

وقد رجع إليه أبو بكر في كثير من المسائل التي لا دراية له بها[4].

وكذلك رجع إليه عمر حتى قال : «لولا علي لهلك عمر»[5] وقال : (اللهم لا تنزل بي شدة إلا وأبو الحسن إلى جنبي[6] . » وكذلك رجع إليه عثمان فيما خفى عليه من أمور القضاء وغيره[7] .

ومع توفر علمه ، وإحاطته بشؤون الدين ، وأحكام الله ، فهل يصح لي أن أرشح غيره لمنصب الخلافة والإمامة ، والله تعالى يقول : « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

زهده :

وعلي أمير المؤمنين أزهد أمتي ، وأكثرهم أعراضاً عن مباهج الحياة وملاذها وفتنها ، فإنه حينما آل إليه أمر المسلمين لم يستأثر شيء من أموالهم ، ولم يضع

---

(١) صحيح الترمذي ٢ - ٢٩٦ ، الحلية ١ - ٦٤ ، كنز العمال ٦ - ٤٠١ ، تاريخ الخطيب ١١ - ٢٠٤ .

(٢) مستدرك الصحيحين ٣ - ١٢٢ ، كنوز الحقائق ص ١٨٨ ، الحلية ١ - ٦٣ .

(٣) الاستيعاب ١ - ٢٨ ، الرياض النضرة ٢ - ٨٨

(٤) الرياض النضرة ٢ - ٢٢٤ ، كنز العمال ٣ - ٣٠١ .

(٥) فيض القدير ٤ - ٣٥٦ .

(٦) كنز العمال ٣ - ٥٣ ، الرياض النضرة ٢ - ١٩٤ .

(٧) موطأ الإمام مالك ص ٣٦ ، سنن البيهقي ٧ - ٤١٩ .

لبنة على لبنة، ولم يعد لبالي ثوبه اهتماماً، قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعامه بقرصيه، وهو في جميع أدوار حياته على سمت واحد في الاستقامة والزهد؛ وقد خاطب دنياه بقوله:

« إليك عني يا دنيا فحبلك على غاربك، قد انسللت من مخالبك وأفلت من حبائلك، وأجتنبت الذهاب في مداحضك. »

وقد صمم على أن لا ينقاد لدواعي الهوى والغرور فقال:

« وأيم الله يميناً استثنى فيها — بمشيئة الله — لأروضن نفسي رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوما، ولأدعن مقلتي كعين ماء نضب معينها مستفرغة دموعها .. » [1]

لقد عاش أمير المؤمنين عيشة الفقراء البائسين مقتدياً بهداي ومستناً بسنتي لم يتحل من دنياه بطائل إلا بغمر الناهل[2] وروعة سورة الساغب[3] فهل من العدل أن أرشح غيره لمنصب الخلافة ؟

وهل من المنطق أن يؤتمن على دماء المسلمين، وأموالهم وسائر إمكانياتهم غير الاعفاء المتحرجين في دينهم الزاهدين في دنياهم ؟

وقد علم المسلمون ما حل بهم من الأحداث والخطوب من جراء ما آل إليه أمر الخلافة إلى اللصوص والسفاكين من ملوك بني أمية وبني العباس.

لقد احتطت لأمتي، ووضعت لها المنهاج السليم الذي يقيها من الفتن والإنحراف، ويحميها من الإنقلاب والزيغ فجعلت عترتي ولاة الأمر من بعدي، ودللت عليهم فقلت:

«إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا

---

(١) نهج البلاغة محمد عبده ٣-٨٢ - ٨٣.
(٢) غمرة الناهل: أي ري الظمآن.
(٣) روعة سورة الساغب: كسر شدة الجوع.

حتى يردا علي الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما »[1] وقلت فيهم :

« إنما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق ، وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني اسرائيل من دخله غفر له .. »[2] .

وقلت : « من سره أن يحيا حياتي ، ويموت مماتي ، ويسكن جنة عدن غرسها ربي فليوالي علياً من بعدي ، وليوال وليه ، وليقتد بأهل بيتي من بعدي فإنهم عترتي ، خلقوا من طينتي ، ورزقوا فهمي وعلمي فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي ، القاطعين فيهم صلتي لا أنالهم الله شفاعتي »[3]

وقلت أكثر من ذلك في حقهم ، ولكن القوم قد أعاروا قولي إذناً صماء ، فقد خدعتهم الدنيا إلى قهر أهل بيتي وظلمهم .

عـــدله :

والإمام أمير المؤمنين من أروع مظاهر العدل ، فهو أول حاكم في المسلمين صمد في وجه الأعاصير لم تخدعه السلطة ، ولم يغره السلطـان عن تطبيق العدل حتى قال كلمته الخالدة :

« ولا تزيدني كثرة الناس حولي عزة ، ولا تفرقهم عني وحشة ، وما أكره الموت على الحق . »

لقد طبق العدل ، ورفع مناره في أيام حكمه ومن مظاهر عدله أن أخاه عقيل قد جائه من يثرب تحف به صبيته ، قد كساهم الفقر بروداً من ألبسته البغيضة فتركتهم أشباحاً علاهم الأسى والذبول كأنما سودت وجوههم بالعظلم ، قد

(١) صحيح الترمذي ٢-٣٠٨ ، أسد الغابة ٢-١٢ .
(٢) مجمع الزوائد ٩-١٦٨ ، مستدرك الحاكم .
(٣) كنز العمال ٦-٢١٧ .

قادوا أباهم وقد أحاطت به الهواجس والمت به الشجون ، وقل ظن ان امير المؤمنين سوف ينفق عليه من اموال المسلمين ويملأ جيوبه بالأموال ويزخر له بالعطاء ، فما كان من ابن ابي طالب رائد العدالة الكبرى الا ان احمي له حديدة جعلته يئن من ألمها ويضجر من حدها ، فخار تحتها كما يخور الثور تحت جازره، وهرب عقيل تاركاً أخاه يفتش عن مغنم يحوز بهالثراء .

لقد تنكر امير المؤمنين لجميع العواطف والأهواء التي يخضع لها الناس في سبيل إقامة العدل ، وتشييد صروحه ، وقد قصده عبد الله بن جعفر ختنه على زينب ابنة فاطمة الزهراء حبيبتي وبضعتي قاصداً من يثرب لأجل ان يوفر له في العطاء ، ويمنحه الأموال فزجره ، ولم يعن به .

إن امير المؤمنين ينبوع العدل ، ومفجر طاقاته،وليس في تأريخ الإسلام حاكم مثله في عدله ومساواته ، وقد اراد ان ينعش القلوب البائسة الحزينة بمساواته ، وينصف المظلومين بعدله ، ويقيم حكم الله في ارضه .

لم يكن يبغي السلطة لذاتها ولا لاطماعها ، واندفاعاتها ، وإنما كان يرومها ليؤسس معالم العدل ، ويقيم معاهد التربية الصالحة للانسان .

إن ابن ابي طالب صديق المحرومين والبائسين،وملجأ المظلومين والمضطهدين، ورفيق المثكولين ، وحمى المعذبين ، وملاذ المنكوبين .

يقول النبي (ص) : وقد نصبته على امتي خليفة من بعدي لتزدهر به حياة المسلمين ، ويأمن المظلومون ، وتقام به حدود الله على المعتدين .

وليس في امتي شخص احرص من ابن ابي طالب على اقومة العدل وتوطيد اركان المساواة ، ورفع مستوى الأمة في جميع مجالاتها .

مواقفه المشرقة :

ووقف الإمام امير المؤمنين يدافع عن الاسلام ، ويحمي جانبي وليس في عموم اصحابي مثله في اندفاعه ، وانطلاقه في ميادين الجهاد ، فقد قذف نفسه في

لهوات الحروب، وخوض الغمرات لرفع كلمة الله ، فما من راية رفعت للجاهلية إلا حطمها علي بسيفه ، وما من جيش انبرى ليطفىء نور الإسلام إلا انبرى إليه أمير المؤمنين ففل عروشه ، وجندل أبطاله ، ويتلو النبي (ص) المواقف الرائعة التي وقفها الإمام في الذب عن حياض الاسلام وهي :

واقعة بـــدر :

وكان للامام أمير المؤمنين (ع) في وقعة بدر القدح المعلى، والنصيب الأوفى، وكان لي نصيراً ، وللاسلام عزاً وللمسلمين وقاية وجنة ، فكان الفتح على يــده وكانت أكثرية القتلى بسيفه .

لقد أظهر أمير المؤمنين في واقعة بدر من البطولة والجلد ، ما يبهر الألباب ، فقد أذل قريشاً ، وأعز الاسلام، وأبلى بلاء حسناً فكان المسلمون في هذه المعركة ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، ومعهم فرسان ، وسبعون بعيراً ، وكان المشركون تسعمائة وخمسين مقاتلا يقودون معهم مائتين فرس وسبعمائة بعير .

فجندل على أصحاب الألوية ، وقتل من المشركين خمسة وثلاثين وشـــارك المسلمين وأعانهم على قتل من قتلوه، وقد قتل من الأمويين حنظلة بن أبي سفيان ، والعاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، والوليد بن عتبة صهرهم أخي هنــد زوج أبي سفيان ، وعقبة بن أبي معيط أبى الوليد أخي عثمان لامــه ، وقتل من بني مخزوم سيدهم وزعيمهم أبا جهل الحكم بن هشام .

يقول النبي (ص) : وقد أبصرت جماعة من مشركي قريش فقلت له : احمل عليهم فحمل عليهم ففرق جمعهم ، وقتل عمرو بن عبد الله الجهمي ، وأبصرت جمــاعة آخرين من مشركي قريش فقلت له : احمل عليهم فحمل عليهم وفرقهم وقتل شيبة بن مالك ، فقال جبرائيل مبتهراً : «يا رسول الله إن هذه المواساة»

فقلت له : « إنه مني ، وأنا منه » .

فقال جبرائيل : (وأنا منكما) .

ونادى ملك في السماء « لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا علي »[1] .

لقد نازل علي أقوى قرومهم ، وثل عروشهم ، وحطم جبروتهم ، وانصرفوا يجرون رداء الخيبة والخسران منهزمين قد عراهم الذل ، وعلاهم الخزي والإنكسار .

ويقوم الازري فيتلو على أهل المحشر مقطوعته الرائعة التي يصف بها بطولة الإمام ودفاعه المشرف عن الاسلام في هذه المعركة الحاسمة من تاريخه ، فيقول:

وبه استفتح الهدى يوم بدر ... من طغاة أبت سوى طغواها

صب صوب الردى عليهم همام ... ليس يخشى عقبى التي سواها

يوم جاءت وفي القلوب غليل ... فسقاها حسامه ما سقاها

جاء بالسيف هادياً للبرايا ... حيث لم يثنها الهدى فهداها

من تلقي يد الوليد بضرب ... حيدري برى اليراع براها

ويدعو الجميع للشاعر العظيم ، ويقابل بالإكبار والتقدير ويمنح وسام الحب لآل البيت (ع) .

معركة أحد :

وواجه الاسلام بعد معركة بدر قوى قريش الحاقدة على الاسلام فقد خفت لتثأر لقتلاها في يوم بدر ، وتمحو عنها عار الهزيمة التي أصابتها ، ويقص النبي (ص) صورة موجزة عن تلك الواقعة الرهيبة ، فيقول لهم : كنت نزلت يوم أحد بأصحابي وهم سبعمائة في عدوة الوادي وجعلت ظهري الى الجبل ، وكان المشركون ثلاثة آلاف فيهم سبعمائة دارع ، ومائتا فارس ، وكان معهم خمسة عشر امرأة ، وفي المسلمين مائتا دارع وفارسان .

---

(١) تاريخ الطبري ٢ – ١٩٧ ، الرياض النضرة ٢ – ١٩٠ .

وقبل أن يتهيأ الجيشان للقتال صنعت خطة حكيمة فيهـــا النصر للمسلمين والهزيمة للقوى الغــادرة ، فقد تركت احداً خلف ظهري ، وجعلت ورائي الرماة وهم خمسون رامياً ، وقلت لهم : انضحوا عنا الخيل بالنبل لا يأتوننا من خلفنا . واثبتوا مكانكم ، إن كانت لنا أو كانت علينا فإنا إنما نؤتى من هـذا الشعـــب .

وخرج صاحب لواء المشركين ينادي : يا أصحاب محمد إنكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار ، ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة فلم يجيبه أحد من المسلمين سوى علي فانبرى إليه ، فضربـــه فقطع رجله ، وانكشفت عورته ، فناشده الله ، فتركه ، فصار يخور بدمه ، حتى هلك ، ولمــا رأيت ذلك كبرت وقلت : (كبش الكتيبة) وكبر المسلمون بتكبيري وقلت لعلي :

– ما منعك أن تجهز عليه ؟

– ناشدني الله والرحم فاستحييت منه .

واندفع شجعان المشركين حــاملين اللواء فأبادهم علي واحداً بعد واحد ، وبقي اللواء مطروحاً لا يدنو منه أحد فانطلقت إليه امرأة حارثية فرفعتــه ، فاجتمعت قريش حوله ، وأخذه عبد لبني عبد الدار كان من أشد الناس قوة ، وفتكاً ، فبرز إليه علي فضربه ضربة تركه يعالج مصرعه ومنيته .

واقتتل الناس قتالاً شديداً،وقد أبلى علي وعمي حمزة،وأبو دجانة الأنصاري بلاء حسناً ، وأنزل الله نصره على المسلمين ، وكانت الهزيمة الساحقه للمشركين ، وانعطف عليهم المسلمون ينهبون أمتعتهم ، فلما نظر إليهم إخوانهم المجاهدون الذين أقمتهم في الجبل وألزمتهم أن لا يريحوا عنه ، آثروا النهب على البقـــاء ، ونسوا ما أمرتهم به .

وحينما رأى خالد بن الوليد قلة من بقي من الرماة حمل عليهم فقتلهم ، وشد بمن معه على أصحابي من خلفهم ، وتبادر المنهزمون من المشركين بنشاط بالـغ مستأنفين للقتال يحاولون أن يمحوا عنهم عار الهزيمة ، فحملوا على المسلمين فقتلوا

سيداً من أبطالهم وهو أسد الله وأسد رسوله عمي حمزة بن عبد المطلب،وانهزم المسلمون أشر هزيمة ، ولم أجد بداً من ان أقاتل بنفسي فرميت بالنبل حتى فني، وانكسرت سجنة قوسي ، وانقطع وتره ، واصبت بجرح في وجنتي ، وآخر في جبهتي ، وكسرت رباعيتي السفلى ، وشقت شفتي، وعلاني ابن قمئة بالسيف، وكنت ادعو المسلمين إلى الثبات وعدم الفرار قائلاً لهم : « من كرّ فله الجنة » ولكنهم لا يلوون على احد ، وكان من المنهزمين عثمان بن عفان ، وجاشت نفس عمر من الوجل والرعب ، ومعه طلحة، فرغبا ان يأتيهم عبدالله بن ابي بن سلول بأمان من ابي سفيان قبل ان يقتلوهم فقال لهم انس بن النضر ، وهو من خيار أصحـــابي :

« يا قوم إن كان محمد قد قتل ، فإن رب محمد لم يقتل ، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد ، اللهم إني اعتذر إليك مما يقول هؤلاء . »

ثم قاتل حتى استشهد ، ومضى القتال حامياً عنيداً، وقد أحيط بي،فانبرى علي ومعه خمسة من خيار الأنصار يذبون عني ، وقـــد استشهدوا ، وتترسني أبو دجانة بنفسه،وجعل نفسه وقاية دوني فكان يقع النبل على ظهره وهو منحنى علي ، وقاتل دوني مصعب بن عمير فاستشهد ، قتله ابن قمئة الليثي ، وهو يظنه إياي فرجع إلى قريش رافعاً عقيرته ، وهو يقول :

قُتل محمد ... قُتل محمد .

فلمـــا سمع المسلمون أوغلوا في الهرب على غير هدى ورشد ، وكان أول من عرفني كعب بن مالك فنادى بأعلى صوته « يا معشر المسلمين : هـذا رسول الله حي لم يقتل ».

فأشرت إليه بالسكوت مخافة أن يسمع العدو فيهجم علي ونهض سليل هاشم وفتى الاسلام علي ، ومعه جماعة حتى خلصوا بي إلى الشعب، فتحصنت به، وهم يحيطون بي ، ويدافعون عني .

وأبصرت وأنا في الشعب جماعة من المشركين يترقبون الوقيعـة بي فقلت :

لعلي احمل عليهم فحمل عليهم ، وفرقهم ، وقتل منهم جماعة ، وأبصرت جماعة أخرى تريد الوقيعة بي فقلت لعلي اكفنيهم فحمل عليهم فانهزموا ، وقتل منهم جماعة ، وبهر جبرائيل بهذه المواساة الهائلة التي أبداها بطل الإسلام ، فقال :

« يا رسول الله هذه المواساة !! »

فقلت له :

« إنه مني ، وأنا منه .. » .

فقال جبرائيل : وأنا منكما ، وسمع صوت يهتف: « لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا علي » .

وقد أصابت علياً في تلك الوقعة ست عشرة ضربة كل ضربة تلزمه إلى الأرض فما كان يرفعه إلا جبرائيل ، وبعد ما وضعت الحرب أوزارها تقدمت النساء المسلمات يداوين الجرحى، فاحطن به يداوين جرحاته الصعبة، وقلن لي:

« يا رسول الله لا نعالج منه جرحاً إلا انفتق جرح آخر » .

فاقتربت منه فرأيت جرحاته تشخب دما ، فقلت فيه :

« إن رجلا لقى هذا كله في سبيل الله لقد أبلى وأعذر » .

لقد وقف علي في موقعة أحد بجأش ثابت ، وبنفس جياشة لم يدخله خوف ولا رعب ، مشمراً كادحاً ، قد وهب حياته لله ، ولنصرة هذا الدين .

ولما انتهت الحرب فتشت عن عمي حمزة،فأخبرت بأنه قد استشهد، فهرعت إليه فرأيته ، وقد مثلت به هند فأخذت من أذنيه ، وأنفه ، وأصابع يديه ، ورجليه ، ومذاكيره فجعلتها قلائد ، ومعاضد ، وبقرت كبده فلاكتها إلا أنها لم تسغها ، وكذلك فعلن صويحباتها مع الشهداء، وقد أظهر أبو سفيان خبث سريرته ، فقد طعن أسد الله وهو ميت .

ويعم البكاء والأسى جميع أهل المحشر ، وتعلو الصرخة على ما لاقاه سيد الشهداء من التمثيل والتنكيل .

وينطلق الأزري ، وهو رافع عقيرته ليتلو على أهل المحشر رائعته التي يصف بها جهاد أمير المؤمنين ، وعظيم بلائه في موقعة أحد فيقول :

وبأحد كم فل آحـــادشوس ... كلما أوقدوا الوغى أطفاهـا

يوم دارت بـــلا ثوابت إلا ... أسد الله كان قطب رحاها

كيف للأرض بالتمكن لولا ... أنه قــابض على أرجـــاها

رب سمر القناوبيض المواضي ... سبّحت باسم بأسه هيجاهـا

يوم خانت نبالة القوم عهداً ... لنبي الهدى فخـــاب رجاها

وتراءت لهم غنـــائم شتى ... فاقتفى الأكثرون إثر ثراها

وجدت أنجم السعود عليـه ... دائرات ومـــا درت عقباها

فئة ما لوت من الرعب جيداً ... إذ دعاهـا الرسول في اخراها

وأحاطت به مذاكي الأعادى ... بعدما أشرفت على استيلاهـا

فترى ذلك النفير كما تخبـ ... ـط في ظلمة الدجى عشواها

يتمنى الفتى ورود المنـــايا ... والمنـــايا لو تشترى لا شتراها

قد أرتها في ذلك اليوم ضربا ... لو رأته الشبان شابت لحـاها

وكساها العــار الذميم بطعن ... من حلى الكبرياء قـــد أعراها

يوم سالت سيل الرمال ولكن ... هب فيهـــا نسيمه فذراهـا

ذاك يوم جبريل أنشد فيـه ... مدحـــاً ذو العلى له أثنـاها

لافـــتى في الوجود إلا علي ... ذاك شخص بمثله الله باهـــا

لا ترم وصفه ففيه معانٍ ... لم يصفها إلا الذي سواهـــا

وتعلو عاصفة من التهليل ، وترفع الأكف بالدعاء إلى الشاعر الكبير ،وتضاف إلى أوسمته وسام آخر .

واقعـــة الخندق :

لقد خرجت قريش بعد واقعة أُحد وهي ظافرة منتصرة ، وقد طمعت في محاربة المسلمين حرب إبادة وقضاء لتقلع جذور العار الذي لاحقهـا يوم بدر ،

وتضيف إلى انتصارها إنتصاراً آخر . وقد صممت على قلع جذور الاسلام ومحو سطوره ، فقد تجمعت أحزاب قريش وأحابيشها ، وانضم إليها أحلافها من يهود يثرب فكان عدد الجميع أربعاً وعشرين ألفاً تحت قيادة أبي سفيان،وحينا علمت بتوجههم إلى يثرب جمعت أصحابي وعرضت عليهم الخطر المحدق بنا فأشـــار سلمان الفارسي وهو من خيرة أصحابي ورعاً وتقوى ، واصـالة رأي وعمق في التفكير فأشار علي بحفر الخندق ، ولم تكن هذه الوسيلة معروفـــة في الجزيرة العربية ، فشرع أصحابي في حفر الخندق ، وقد أنجزوا هذا العمل المجهد الشاق في ستة أيام ، وكان علي من أكثرهم عناء وجهداً في هذا العمل العظيم ، ولما انتهى المسلمون من عملهم أقبلت قريش بأحلافها وأحزابها، فنزلت بمجتمع الأسيـال ، ونزلت غطفان ومن تبعتهم من أهل نجد في جانب احد ، وكان الخندق أمامهم، وقد استحال عليهم عبور الخندق ، وقد نقض اليهود عهدهم معي،وقدحوصرت المدينة ، وطال الحصار ، وقد ضاق بعض فرسان المشركين طوال البقاء فانبرت طائفة من شجعانهم لعبور الخندق ، ومناجزة المسلمين،وكان أول من عبر الخندق عمرو بن عبدود فارس المشركين ، وبطلهم المعلم ، ومعه عكرمة بن أبي جهل ، ونوفل بن عبدالله بن المغيرة ، وهبيرة بن أبي وهب ، ومنية بن عثمان ، وضرار بن الخطاب الفهري ، وقد اختاروا من الخندق موضعاً ضيقاً فأكرهوا خيولهم على اقتحامه فلما صاروا إلى ساحة المعركة . أخذوا يجولون فيها وينادون :

« يا أصحاب محمد هل من مبارز ؟؟ »

وكان من أشدهم حماساً واندفاعاً إلى الحرب عمرو بن ود،فقد ملأ الفضـــاء بصوته يطلب المبارزة من المسلمين فكانت كلماته كنداء الموت فما سمعهـا أحد إلا رجف قلبه وانهارت قواه ، ولم يلب نداءه إلا ربيب الوحي ، والســـابق للاسلام الإمام أمير المؤمنين ، وكان حدث السن في غضارة الشباب ، ولما برز إليه علي قلت :

« برز الإيمان كله إلى الشرك كله » .

وانطلق إليه علي فقال له : قد كنت تعاهد الله لقريش أن لا يدعوك رجل إلى خصلتين إلا قبلت أحداهما .

فأجابه عمر : أجل .

فأجابه أمير المؤمنين إني أدعوك إلى الله عز وجل، وإلى رسوله، وإلى الاسلام.

فأخذته العزة بالاثم فرد على أمير المؤمنين قائلا : ولا حاجة لي في ذلك » .

فطلب منه علي الخصلة الثانية فقال له :

– فإني أدعوك إلى البراز .

– يا ابن أخي لمّ ؟ فوالله ما أحب أن أقتلك .

– ولكنى والله أحب أن أقتلك .

وتصاول أسد الله وربيب الوحي مع بطل الجزيرة ، فضرب عمرو علياً فأتقاها به رفته فضرب الدرقة فقلاها وأثبت فيها وأصاب رأسه فشجه ، وضربه علي على حبل العاتق فأرداه صريعاً يخور بدمه، وعلا صوت علي بالتكبير والتهليل وتلاه هتاف آلاف من معسكر المسلمين .

وقلت في تلك المبارزة الخالدة التي كتبت فيها الهزيمة لجيش المشركين ، واندحار قواهم :

« لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن ود يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة ..» [1]

وعندئذ فرّ المشركون ناكصين لم يلووا على شيء متلفعين بعار الهزيمة والخزي ، ويقوم الأزري فيتلو على المجتمع ما نظمه في هذه المناسبة الخالدة يقول :

---

(١) مستدرك الحاكم ٣ ٣٢ ، تاريخ الخطيب ١٣–١٩

يوم غصت بجيش عمرو بن ود لهوات الفلا وضاق فضاها
وتخطى إلى المدينـة فرداً بسرايا عزائم ، ساراهـا
فدعاهم وهم ألوف ولكن ينظرون الذي يشب لظاها
أي أنتم عن قسور عامري تتقي الأسد بأسه في شراها
فابتدى المصطفى يحدث عما يؤجر الصابرون في أخراها
قـائلا إن للجليل جنانـاً ليس غير المجاهدين يراها
أين من نفسه تتوق إلى الجنات أو يورد الجحيم عداهـا
من لعمرو وقد ضمنت على الله له من جنـانه أعـلاها
فالتووا عن جوابه كسوام لا تراها مجيبة من دعـاها
وإذا هم بفـارس قرشي ترجف الأرض خيفة إذ يطاها
قائلاً ما لهـا سواي كفيل هذه ذمـة على وفاهـا
ومشى يطلب الصفـوف كما تمشي خماص الحشى إلى مرعاها
فانتضى مشر فـيه فتلقى ساق عمرو بضربة فبراها
وإلى الحشر رنة السيف منه يملأ الخافقين رجع صداها
يا لها ضربة حوت مكرمات لم يزن ثقل أجرها ثقلاها
هذه من علاها إحدى المعالي وعلى هذه فقس ما سواها

وتقابل هذه الرائـعة بكثير من الاستحسان ، ويدعو له الجميع بالمغفرة والرضوان .

غزوة خيبر :

وتجمع اليهود بعد الهزمات التي لاحقتهم في حصن خيبر ، وهـو من أقوى حصونهم ، وأمنعهـا ، ففيه البساتين ، والزروع ، وفيه الأبطال والفروس ، وأخذوا يكيدون للمسلمين ، وينفقون الأموال سراً للمشركين على مناهضـة

الاسلام ، فهبط الوحي على بدك هذا الحصن ، ويغزو اليهود،حتى تقلل هـذه القاعدة التي هي من أخطر القواعد العسكرية على الإسلام .

ويأخذ الرسول (ص) يتلو على أهل المحشر كيفية فتح هذا الحصن على يد بطل الاسلام ، وأسد الله الامام أمير المؤمنين (ع) فيقول : لقد بعثت أبا بكر ومعه الجند لفتح هذا الحصن فلم يلو أن رجع منهزماً لم يستطع أن يثلم في أسواره ثلمة ، ورجع ملء إهابه الخوف والفزع ،فندبت في اليوم الثاني عمر بن الخطاب ، وعقدت له لواء الحرب ، فرجع منهزماً قد استولى عليه الذهول والفزع ، ولم يُصب من الحصن شيئا ، فقلت للجيوش الحافلة من المسلمين .

« لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه .. »

فتطلع المسلمون إلى أي فتى أو بطل تعطى الراية ، ولم يدر في خلدهم أني سأعطيها إلى علي لأنه كان أرمد العين .

ولما أصبح الصبح هرع المسلمون يتطلعون إلى معرفة ذلك البطل الذي أمنحه الراية ، ويكون الفتح على يده، وبعد أن تم عدد الجيش واستوت صفوفهم قلت :

« أين علي بن أبي طالب ؟ » .

فانبرى إلي قائلا :

« ها أناذا يا رسول الله » .

وأقبل علي وهو يشكو رمد العين،فبللت يدي من ريقي ومسست بها عينه ، ودعيت بالراية ، وقلت له :

« خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك » .

وانطلق علي نحو الحصن تحف به جنود المسلمين ، فلما رأته اليهود دخلوا الحصن ، وأغلقوه باحكام ، وقد تركوا خارج الحصن أبطالهم وحماتهم يحمونه ، وفي طليعتهم مرحب فارسهم المعلم فشدّ عليهم علي ، وصار ينثر الموت بينهم وهم يهوون صرعى بين يديه ،ورأى علي أن لا درع معه ،فاندفع نحو باب الحصن ، وكانت من حجر الرحى يغلقها ويفتحها أربع وأربعون فاقتلعها ،وجعلها ترساً له .

وقد قتل مرحباً ، وقتل الحارث من قبل ، وقد جعل باب خيبر جسراً يعبر عليه المسلمون ، وقد تم الفتح على يديه ، وجعل الله النصر بقيادته ، وقد انكسرت شوكة الكفر ، وانحسرت روح الوثنية بفتح هذا الحصن ، ودخل الرعب والفزع على جميع المشركين ، وكان من أقوى الأسباب لدخول المسلمين غازين وفاتحين لمكه .

وانطلق الشاعر الموهوب الازري ، وكان قريباً من النبي فطلب منه الاذن ليتلو رائعته التي وصف بها هذا الحادث الخطير .

وله يوم خيبر فتكات	كبرت منظراً على من رآها
يوم قال النبي لأعطى	رايتي ليثها وحامى حماها
فاستطالت أعناق كل فريق	ليروا أي ماجد يعطاها
فدعا أين وارث العلم والحلم	مجير الأيام من بأساها
أين ذو النجدة الذي لودعته	في الثريا مروعة لباها
فأتاه الوصي أرمد عين	فسقاه من ريقه فشفاها
ومضى يطلب الصفوف فولت	عنه علماً بأنه أمضاها
ويرى مرحباً بكف اقتدار	أقوياء الأقدار من ضعفاها
ودحا بابها بقوة بأس	لو حمتها الأفلاك منه دحاها

غزوة بني قريظة :

لقد استطاع الإسلام بعد واقعة الخندق أن يسير إلى الأمام قد دخل الرعب والفزع في جميع نفوس الحاقدين عليه من اليهود والمشركين .

لقد كانت بنو قريظة قد نقضت العهد الذي كان بينها وبيني وذلك لتحريض من « حي بن أخطب »، وأخذ النبي (ص) يتلو بإيجاز تفصيل هذه الغزوة فيقول :

لما انتهت معركة الخندق ، وعاد المشركون قد أذلهم الله وأخزاهم ، ولما رجعت إلى يثرب أوحي إلى أن أسير إلى بني قريظة ، أمرت أن ينادي المنادي بين المسلمين « من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة » .

فسرت إليهم بجميع من كان معي ، وكان عددهم ثلاثة آلاف ، وقد عقدت الراية لعلي ، والمسلمون يتوسمون خطاه في أفواجهم الزاخرة، فلما بلغ حصونهم سمع منهم سبا ، وقذفا لي ، فبادر علي إلي وطلب مني أن أعسكر بعيداً عن السور إشفاقاً علي من سماع سبهم وهجائهم لي .

وحاصرهم علي خمسة عشر يوماً فأجهدهم الحصارففتحوا الأبواب،واستولى عليهم الإمام ، ورجع وهو منتصر ظافر، وقد أرجعت أمر بني قريظة إلى سعد بن معاذ فحكم بقتل رجالهم ، وتقسيم ذراريهم ، ونسائهم ، وأن تكون ديارهم للمهاجرين دون الأنصار ، فأمرت علياً أن يضرب أعناقهم، فأخرج اليهود زمراً فقتلهم ، وفيهم كعب بن أسد رئيس بني قريظة ، وحي بن أخطب رئيس بني النضير ، وقد أبادهم علي ببتاره فكانوا ستمائة شخص .

وهكذا كان أمير المؤمنين سيفاً من سيوف الله ، قد استقام به أمر الاسلام ، وبنيت قواعده ، وأسست أركانه فإنه لم يصمد أحد في تلك المعارك الرهيبة غيره ، ولم يبل احد بمثل ما ابلى به ، فقد كان دفاعه عن الاسلام مشفوعاً بروح الايمان والاخلاص لله .

فتح مكة :

وفي السنة الثامنة من الهجرة اتجهت إلى فتح مكة ، وقد كتمت الخبر عن جميع افراد الجيش ، لأفاجيء اهل مكة وهم على غير اهبة واستعداد محافظة على حرمة البيت وقدسيته من ان تراق فيه الدماء .

وسارت الجيوش تطوي البيداء ، فلما اشرفت على مكة خرج عمي العباس وعلي في غلس الليل فبينما يسيران إذ سمع عمي العباس صوت ابي سفيان ، ولم

يكن على علم بتوجه المسلمين إلى فتح مكة ، وكان يناجي بديل بن ورقاء وهو يقول له: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً فقال له بديل: هذه والله خزاعة حمستها الحرب ، فرد عليه ابو سفيان خزاعة أذل وأقل من تكون هذه نيرانها وعسكرها.

فرد عليه عمي العباس ، فقال له : يا أبا حنظلة ، فجفل وفزع من كلامه ، فقال له :

— مالك فداك أبي وأمي ؟

فقال له العباس : ويحك يا أبا سفيان ، هذا رسول الله (ص) في الناس .

فارتعدت أعضاؤه ، وانهارت قواه ، وقال وهو يتمتم في كلامه .

« ما الحيلة ؟ »

فأجابه العباس : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب في عجز هذه البغلة ، حتى أتي بك رسول الله فاستأمنه لك ، فركب خلف عمي العباس فجاء به ، وكلما مر بنار من نار المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلتي وعليها عمي العباس ، قالوا : عم رسول الله (ص) على بغلته ، فلما جاء به أراد عمر بن الخطاب قتله ، فنهرته ، وأمرت عمي العباس أن يغدو به صباحاً ، فلما أسفر وجه الصبح جاء عمي العباس ومعه أبو سفيان فقلت له :

— ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟!!

قال أبو سفيان : ماأحلمك ، وأكرمك ، وأوصلك ، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد !!

فقلت له : ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟!!

فأظهر أبو سفيان جاهليته ، وشركه ، وعدم إيمانه بالرغم من كونه أسيراً فقال :

« بأبي أنت وأمي ، ما أحلمك ، وأوصلك !! أما هذه والله فان في النفس منها حتى الآن شيئاً !! »

فردَّ عليه عمي العباس ، محافظاً عليه من أن يهراق دمه قائلاً له :

« اسلم ، واشهد أن لا إله إلا الله ،وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك».

فتمتم بالشهادة ، ولكن جحد بها قلبه ، وإنما قالها حفظاً لدمه .

وأراد عمي العباس أن يسدي على هذا الخبيث الدنس يداً فقال لي :

« يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر ، فاجعل له شيئاً ».

فأجبته إلى ذلك وقلت :

من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن .

وأراد أبو سفيان أن ينصرف إلى مكة فأمرت بحبسه بمضيق الوادي حتى خطم الجبل [1] حتى تمر به جنود الله فيراها فيحدث المشركين بذلك حتى يدخل الروع والفزع في قلوبهم فلا تسفك الدماء ، وحُبس أبو سفيان بالمضيق فمرت عليه القبائل على راياتها فكلما مرت عليه قبيلة قال :

– يا عباس من هذه ؟

– سليم .

– مالي ولسليم !

وأخذت تجتاز عليه الجيوش الاسلامية وهي مدججة بالسلاح ، وهو يسأل عنها فيعرفه بها العباس ، واجتزت عليه في كتيبة خضراء ، وقد أحاط بي أصحابي ، وكانت من أثقل الفصائل ، وأشدها شكيمة ، ومن أعظمها قوة ،فلما رآها بهر ، وأخرس ، وقال بصوت خافت :

– من هؤلاء ؟

– هذا رسول الله (ص) في المهاجرين والأنصار .

فاستولى عليه الرعب ، وقال :

– ما لأحد بهؤلاء قبل ؟! والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما .

---

(١) خطم الجبل : أنف الجبل .

وما كان لأبي سفيان ليفقه غير الملك ، فرد عليه عمي قائلا :

– يا أبا سفيان إنها النبوة .

فأجابه بصوت متحجر .

نعم إذن .

وأطلق عمي العباس سراح ابي سفيان فمضى مهرولاً فزعاً ، حتى إذا انتهى إلى مكة اخذ يصيح في شوارعها وازقتها .

« من دخل دار ابي سفيان فهو آمن » .

فلما سمعت منه هند زوجته اخذت شـــاربه ، وجعلت تحرض قريش على مناجزتي قائلة :

« اقتلوا الحميث الدسم الأحمس[1] قبح من طليعة قوم » .

فلم يعن بها ابو سفيان ، واخذ يصيح في قومه .

« ويلكم لا تغرنكم هذه من انفسكم ،فانه قد جاءكم ما لا قبل لكم بــه ، فمن دخل دار ابي سفيان فهو آمن .

فقالت له قريش :

« وما تغنى عنك دارك ؟ »

قال ابو سفيان ، وهو ينصحهم ويحرص عليهم :

« ومن اغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن .. »

وتفرق الناس هاربين إلى دورهم ، وقد حفظت بذلك الدماء ، وصنت البلد الحرام من ان تراق فيه الدمــاء ، وتزهق فيه الأنفس ، ودخلت مكـــة ، وانا مطرق برأسي إلى الأرض تواضعاً لله على ما أكرمني من الفتح[2] واعطيت الراية لسعد بن عبادة وأمرته أن يدخل مكة امامي ، فأخذ سعد الراية ، وقد تذكر

---

(١) الحميث : زف السمن ، الدسم : الكثير الورك ، الأحمس : الشديد اللحم .

(٢) سيرة ابن هشام ٢–٤٠٢ – ٤٠٤ .

ما مني به المسلمون من الأذى، والاضطهاد من اهل مكة، فأخذ يرتجز ويقول :

اليـــوم يوم الملحمة　　　　اليـــوم تسبى الحرمة

فلما سمعت بذلك تأثرت لأني جئت إلى صيانة الأخلاق، وإلى نشر الفضائل فأمرت علياً أن يصل إليه ، وان يأخذ الراية من يده ، ويدخلها إدخالاً رفيقـاً إلى مكة فكانت راية الفتح بيد علي ، وقد اعددته بذلك لقيـــادة المسلمين ، ودخلت البيت الحرام وفيه ثلاثمائة وستون صنمـاً ، فصعدت على منكب علي لاحطمها فرايته لا طاقة له على النهوض بي ، فنزلت عنه ، ثم نهضت به فـأخذ يكسر الأصنام ، ويرمي بها إلى الأرض ، وانا اتلو قول الله تعالى :«جـاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » .[1]

ودخلت كلمة الاسلام إلى مكـــة المكرمة ، وقضى بذلك الله على قوى الشرك والإلحاد .

غزوة حنـــين :

وبعد ان فتح الله نصره علي وعلى المسلمين اضطربت الجزيرة العربية ودخلها الرعب والفزع لفتح مكة التي هي حصنها المنيع ، ومأوى جبـــابرة العرب ، وطغاتها ، فاجتمعت هوازن بقيادة مالك بن عوف النضري ، واجتمعت معهـا نصروجشم كلها ، وسعد بن بكر ، وناس من بني هلال، ولما علمت امرهم سرت إليهم قبل ان يسيروا الي، وخرجت إليهم بعشرة آلاف من المهاجرين والأنصار، وخرج معي من قريش الفان دفعهم إلى ذلك حبهم للإنتصار، وان ينفضوا عنهم غبار الذل ، واندفع بعضهم بدافع الطمع بالغنائم والإسلاب .

وانحدرت بالجيش في عماية الصبح في واد اجوف من اودية تهامه لأصيب من هوازن غرة قبل ان يأخذوا حذرهم ، وكانوا قد سبقونا إلى الوادي، وقد كمنوا لنافى شعابه ، وإحنائه ومضايقه ، وتهيئوا للحرب، فما راع المسلمين إلا انثيال

---

(١) خصائص النسائي ص ٣١ ، الكشاف للزمخشري في تفسير قوله تعالى : « قل جـاء الحق وزهق الباطل » .

الوادي عليهم خيلاً ورجالاً ، وصارت هوازن وأحلافها تشد على صفوف المسلمين وتكثر فيهم الطعن والقتل حتى تفرق المسلمون ذعراً ، وانهزموا راجعين لا يلوى أحد على أحد ، وكنت ثابتاً في مكاني أدعوهم إلى الله ، وإلى الثبات قائلاً :

« أين أيها الناس ؟ هلموا إلي أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله ، فتبدد ندائي في أنحاء الوادي ، ولم يستجيب لي سوى نفر من المؤمنين الصابرين ، وكان علي من أشد الناس قتالاً بين يدي [1] ووقف عمي العباس يذب عني ، وأبدى أبو سفيان شماتته قائلاً ؟

« لا تنتهي هزيمتهم دون البحر .. »

وقال كلدة بن حنبل :

« ألا بطل السحر اليوم !! »

وطلبت من عمي العباس أن ينادي بين المسلمين لترجع إليهم حوازب أحلامهم ويثوبوا إلى الرشاد فصاح عمي .

« يا معشر الأنصار ، يا معشر أصحاب السمرة .. »

فأجابوه بالتلبية ، وانكفئوا راجعين ، وكان من أشد المحاربين في صفوف المشركين رجل من هوازن ، وهو صاحب رايتهم وكان على جمل فأهوى اليه على عرقوب جمله فوقع على عجزه ، ووثب إليه رجل من الانصار فضربه على نصف ساقه فسقط على الارض صريعاً يتخبط بدمه .

ولم تطل الهزيمة بالمسلمين ، بل أتم الله نصره ، وأيد المسلمين بجنود لم يروها ، وكانوا لهم عوناً ونصيراً .

وانتهت المعركة ، وقد ساهم فيها علي مساهمة فعالة ، فقد أبلى فيها بلاءً حسناً ، وقد لمع نجمه ، وتحدث الناس عن عظيم جهاده ، وكثرة جهوده .

وينبري شاعر المحشر الشيخ الازري فيصف الموقعة ، ويذكر بطولة علي ، فيقول :

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ٦ — ١٨٠ .

ومن المهتدي بيوم حنين | حين غاوى الفرار قد أغواها
حيث بعض الرجال تهرب من بيـ | ـض المواضي، والبعض من قتلاها
حيث لا يلتوي الى الالف إلف | كل نفس أطاشها ما دهاها
من سقاها في ذلك اليوم كأساً | فايضاً بالمنون حين رواها
أعجب القوم كثرة العد منها | ثم ولت والرعب حشو حشاها
وقفوا وقفة الذليل وفروا | من أسود الثرى فرار مهاها
وعلي يلقى الألوف بقلب | صور الله فيه شكل قناها
إنما تفضل النفوس بجد | وعلى قدره مقام علاها

ويدعو الجميع للازري، ويشكرونه على هذه الخرائد التي أتحف بها الجميع.

علي المبلغ :

وفي السنة التاسعة للهجرة نزلت سورة براءة فأرسلت بها علياً الى مكة ليبلغها عني، لأن التبليغ عن الله مهمة كبرى لا يقوم بها إلا أنا او رجل من أهل بيتي، وكان ابو بكر أميراً على الحج، فأسرع اليه علي، ونحاه عن مكانته وتولى هو القيام بهذه المهمة الكبرى، وقد أدى رسالة الله، فقال رافعاً صوته :

«وبراءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين» .

ثم التفت إلى الملأ، وكانوا في منى مجتمعين، فقال لهم :

« أيها الناس، إنه لا يدخل الجنة كافر . ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان . ومن كان له عند رسول الله عهد فهو لمدته » .[1]

وخبأ نجم الكفر، واصابه الأمول، وقد انحسمت روح الشرك .

---

(١) صحيح الترمذي ٢-١٨٣، خصائص النسائي ص ٢٠، تفسير ابن جرير ١٠-٤٦، مسند الإمام أحمد بن حنبل ١-١٥١ .

بعثــه لليمن :

وقامت فتنة باليمن، وابى أهلها النزول على حكم الله ، وقد نبذوا الاسلام ، وقد أوفدت إليهم خالد بن الوليد ، وقد مكث خالدفيهم ستة أشهر فلم يستطع أن يصنع شيئاً ، فأرسلت علياً ، فقفل خالد ، وقد أخفق في اداء مهمته ، ولما انتهى إليهم علي اتجه الى قبيلة همدان ، فصلى بهم ، وقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، وقرأ عليهم كتابي فأسلمت همدان كلها في يوم واحد ، ودخلوا في دين الله أفواجاً ، وأصبح الشرك سبة بينهم ، وكتب إليهم بنبأهم فداخلني من السرور والابتهاج ما لا يعلم به إلا الله ، وسجدت شكراً لله تعالى على ما منحني به من النصر ، ولم تدخل همدان وحدها في حضيرة الإسلام وإنما تبعتها قبـــائل وقبائل ، وقد زاد ذلك في عزة الإسلام وفي علو شأنه .

لقد كان تأثير الإمام على همدان تأثيراً عميقاً فقد رأوا في هـــديه هدي ، وفي سلوكه سلوكي ، ولم يؤثر عليهم خالد لأنه جـافي في طريق الوعظ ، وسنن الهدي والرشاد .

وقد تأثرت همدان تأثيراً بالغاً بالإمام، وانطبع حبه في نفوسها ومشاعرها، وعرفت هذه الاسرة الكريمة بالولاء والحب له ، فوقفت إلى جنبـــه في جميع مغازيه وحروبه ، وكان يقول لهم علي : « أنتم درعى ورمحي » .

ولما فرغ علي من اداء مهمته قفل راجعاً إلى مكة ليلتقي بي ، ويتـــأهب لحجة الوداع .

حجـــة الوداع :

ولما كانت السنة العاشرة للهجرة . كانت حجة الوداع أمرني ربي أن آخذ له البيعة من عموم المسلمين ، وأن أفرض ولايته على القريب والبعيد ، فأخذت له البيعة . وكان ابو بكر من السابقين الى مبايعته ، ومن المبادرين الى التسليم عليـــه بامرة

المؤمنين وينبري الازري ليتلو رائعته على أهل المحشر ، ويصف بيعة الغدير وموقف النبي (ص) فيقول :

وبخم ماذا جرى يوم خم ... تلك أكرومة أبت أن تضاهى
ذاك يوم من الزمان أبانت ... ملة الحق عن مقتداها
كم حوى ذلك الغدير نجوماً ... ما جرى أنجم الدجى بجراها
إذ رقى منبر الحدائج هاد ... طاول البيعة العلى برقاها
موقفاً للأنام في فلوات ... وعرات بالقيض شوى شواها
خاطباً فيهم خطابة وحي ... يرث الدين كله من وعاها
أيها الناس لا بقاء لحي ... آن من مدتي أوان انقضاها
إن رب الورى دعاني لحال ... قبل أن يخلق الورى اقضاها
أن أولي عليكم خير مولي ... كلما اعتلت الأمور شفاها
سيداً من رجالكم هاشمياً ... صافحته العلى فطاب شذاها
فتفكرت في ضمائر قوم ... وهي مطوية على شحناها
وتطيرت من مقالة قوم ... قد علا بابن عمه وتباها
فأتتني عزيمة من إلهي ... أوعدتني إن لم ابلغ مطاها
فهداني للتي هي اهدي ... وحباني بعصمة من اذاها
انها الناس حدثوا اليوم عني ... وليبلغ ادنى الورى اقصاها
كل نفس كانت تراني مولى ... فلتر اليوم حيدراً مولاها
ربي هذه امانة لك عندي ... واليك الأمين قد أداها
وال من لا يرى الولاية إلا ... لعلي وعاد من عاداها
فأجابوا بخ بخ وقلوب ... القوم تغلى على مغالي قلاها

لم تسعهم إلا الإَجابة بالقول وإن كان قصدهم ما عداها
قل لمن أوّل الحديث سفاها وهو إذ ذاك ليس يأبى السفاها
أترى ارجح الخلائق رأيا يمسك الناس عن مجاري سراها
راكباً ذروة الحدائج ينبي عن أمور كالشمس رأد ضحاها

وتنال هذه المقطوعة الرائعة إعجاب الجميع ، وثناءهم ، ويباركون له على هذا الشعور الفياض .

دفاع ابي بكر واعتذاره

وبعدما أدلى النبي (ص) بمواهب وصيــه ، وخليفته من بعده ، يسود صمت رهيب على أهل المحشر ، فينبري ابو بكر مدافعاً عن نفسه يقول :

يا رسول الله ، لقد أجمعت الأمة على انتخابي خليفة من بعدك ، واميراً ، ولم يسعني ان أخالف الاجماع ، وأشق عصى المسلمين فأجبتهم الى ما أرادوا ، خوفاً من حدوث الفتنة بين المسلمين .

جواب النبي «ص» :

ويحاسبه النبي (ص) على كلامه ، فيفند دعوى الاجماع، ويقول له:

هل ان المنتخبين لك معصومون من الخطأ ؟ ، ومنزهون من الغل والحسد ؟

وهل أشركتم في انتخابك عترتي الطاهرة التي اذهب الله عنهـــا الرجس ، وطهرها تطهيراً ؟

وهل دعوت لبيعتك عشيرتي الأقربين عمي العباس وابنائـــه وعبد الله بن جعفر الطيار ، وسائر بني هاشم ؟

وهل دعوت أصحاب البصيرة في الدين ، أمثال سلمان الفارسي والمقداد ، وابي ذر ، وعمار بن ياسر ، وحذيفـــة بن اليماني ، وابي دجانة ، وأضرابهم من المؤمنين والسابقين للاسلام ؟

فأين الاجماع ؟ وهل يكتسب الاجماع الصفـــة الشرعية بعد ان تخلف عنه عيون المؤمنين ، ووجوه المسلمين ؟

اين الاجماع الذي حصل ، وقد قهرت المسلمين على البيعـة وأجبرتموهم على

ذلك ، وقد لعبت درة صاحبك عمر لعبتها في إرغام الناس ، واكراههم على بيعتك .

هل يجوز أن تسمي البيعة بالقهر إجماعاً ، وقد خرجت الى الأزقة ومعك بنات عرشك عمر بن الخطاب ، وابو عبيدة ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وعويم بن ساعدة تتخبطون الناس كمن مسه مس من الشيطان فترغمون الناس على البيعة لك بالتهديد تارة وبالضغط أخرى .

واذا كان الاجماع عندك سبباً فيمشروعية الخلافة فلم عدلت عنه ،واستبددت بفردك بتعيين عمر بن الخطاب خليفة لك من بعدك ؟

ويدين النبي (ص) أبا بكر بجملة من أعماله التي ارتكبها ، وهي :

١ ـ ارغام علي على البيعة :

ولم تقتنع يا ابا بكر بتقمصك للخلافة ،وغصبك لعلي حقه ، وانما حملت علياً على البيعة لك فقد أوعزت الىحزبك ان يحملونه قسراً ، فانطلقعمر بن الخطاب وبشير بن عويم ، وأسيد بن الحضير ،وعويم بن ساعدة ، ومعن بن عدى ، وابو عبيدة بن الجراح ، وسالم مولى ابي حذيفة ، وخالد بن الوليد ، وقنفذ بن جذعان فهجموا على علي داره ، وفيها بضعتي ، وسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (ع) ، وقد جاء عمر بقبس من النار ليحرق بيت الوحي ، وخزان العلم ، ومعدن التقوى والايمان ، وهجم عمر على الدار وهو مغيظ محنق يصيح بأعلى صوته :

« والذي نفس عمر بيده ليخرجن أو لأحرقنها على من فيها » ..

فتراجع قوم من المسلمين ، ونددوا بمقالته ، وحذروه من عقوبة الله وسخطه قائلين له :

« ان في الدار فاطمة » .

فصاح بهم غير مكترث :

« وإن ، وإن »[1].

وطالعتهم حبيبتي وبضعتي ، وقـــد علاها الرعب ، واستولى عليها النزع والذهول قائلة :

« لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم تركتم رسول الله (ص) جنازة أيدينـــا ، وقطعتم أمركم بينكم لم تستأثرونا ، ولم تردوا لنا حقاً .. »

وتقطعت القــلوب ، وذابت نفوس القوم أسى حينما سمعوا بضعتي الولهى ، وهي تستغيث وتستجير ، فأسرع عمر اليك يحفزك على الوقيعة بأخي ووصيي وباب مدينة علمي قائلاً لك :

« ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة ؟ »

فأرسلت قنفذاً خلفه فأبى من الحضور ، فانطلق صاحبك عمر ومعه جلاوزته الى بيت الامام فقرع الباب ، واقتحم على الاسد عرينه فأخرجوه ملبباً بحمائل سيفه يهرول ، والزهراء خلفه تعدو وتستغيث قائلة :

« يا أبت يا رسول الله ... ماذا لقينا بعدك من ابن الخطـــاب وابن ابي قحافة !!؟ » .

وجاءوا بعلي فأوقفوه أمامك ، وهو مهدور الكرامة ، مهـــان الجانب ، وأنت على منبري ، فالتفت اليه قائلاً :

« بايع » .

---

(١) إن تهديد عمر لأمير المؤمنين (ع) بحرق داره إن لم يبايع ثبت بالنصوص المتواترة ، ونص عليه أكثر المؤرخين فقد جاء في كل من الامامة والسياسة ١ - ١٢ - ١٣ ، شرح النهج لابن أبي الحديد ١ - ٣٤ ، تاريخ الطبري ٣ - ٢٢٢ ط دار المعارف ، تاريخ أبي الفداء ١ - ١٥٦ ، تاريخ اليعقوبي ٢ - ١٠٥ ، اعلام النساء ٣ - ٢٠٥ ، الأموال لابي عبيد ص ١٣١ ، مروج الذهب ١ - ٤٠٤ ونظمه شاعر النيل الحافظ ابراهيم بقوله :

وقـــولة لعلي قـالهـا عمـر ... أكرم بســامعها أعظم بملقيها
حرقت دارك لا أبقى عليك بها ... إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حفص بقائلها ... أمام فارس عدنان وحاميها

فقال لك : وإن لم أفعل ؟
فالتفت اليه حزبك ، وعلى رأسهم عمر قائلين له :
« والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك .. »
وتناسوا مواقفه المشكورة، ودفاعه المنير عن الاسلام، وقد صمت علي برهة من الزمن فنظر إلى القوم فاذا ليس له معين، ولا ناصر فقال بصوت حزين النبرات:
« إذاً تقتلون عبد الله ، وأخا رسوله !!»
فاندفع ابن الخطاب راداً عليه :
« أما عبد الله فنعم ، وأما أخو رسوله فلا »
وتناسى عمر ان أمير المؤمنين أخي ، وباب مدينة علمي ، وخير من خلفته في أمتي ، والتفت اليك يحثك على الإيقاع به ، وعلى قتله قائلاً لك :
« ألا تأمر فيه بأمرك ؟ »
وحاذرت من وقوع الفتنة ، ومن اندلاع نيران الثورة فقلت :
« لا أكرهه ، ما كانت فاطمة الى جانبه » .
وأطلقت سراحـــه ، فراح يهرول إلى قبري ، وهو يبكي أمرّ البكاء ، ويستنجد قائلاً :
« يا بن أم .. إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني » لقـــد استضعفتموه ، واستوحدتموه ، واستبحتم حرمته ، وما راعيتم مقامه ، ومكانه مني ؛ وقفل راجعاً الى بيته وهو كئيب حزين ، يسامر الهموم ، والآلام .

مصادرة فدك :

يا أبا بكر لم منعت ابنتي فاطمة فدكاً ، وقد كنت منحتها إياها في حياتي ، فرددتها ، وطالبت منها البينة ، فأتتك بأوثق بينة وباصدق شهود ، وأعدلهم

جائتك بعلي ، وبسبطي الرحمة وامامي الهدى الحسن والحسين، وبالمرأة الصالحة ام أيمن فطعنت شهادتهم ، وقلت : إن علياً يجر النار إلى قرصه ، وان الحسنين طفـــلان .

وأنت تعلم بطهارتهم ، وصدق شهادتهم ، لأنهم من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيراً ، وقد سمعت مني الشيء الكثير مما قلته في حقهم ، فقد شبهتهم بسفينة نوح ، وجعلتهم عدلاء للذكر الحكيم ، أليس ذلك كافياً في توثيقهم وتزكيتهم .

مضافاً لذلك فان ابنتي هي صاحبة اليد ، فلا تطالب بالبينة ، وانما تطالب بهـــا أنت .

ورددت شهادة السيدة أم أيمن وقد شهدت لها بالجنة وهب أنك لم تقنـــع بالبينة على ثبوت نحلتها ، فلم لا تكون ميراثاً ؟ وقد شرع الله في الميراث أحكاما عامة في كتابه فلم يستثن منها أحداً نبياً أو غير نبي ، قال تعالى : « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين »[1] وقال تعالى فيما اقتص من خبر زكريا «فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا».[2] وقال تعالى : « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله »[3] فهـذه الآيات الكريمة شاملة للأنبياء وغيرهم .

وقد رويت عني حديثاً لم أفه به ، فقلت لبضعتي إن أباك قال: « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة . ومـــا كان لنا فهو لولي الأمر من بعدنا يصرفه في الكراع والسلاح .

---

(١) سورة النساء : آية ١١ .

(٢) سورة مريم : آية ٥-٦ .

(٣) سورة الأنفال : آية ٧٥ .

فهل أنت يا أبا بكر أعلم بعموم القرآن وخصوصه مني ومن بضعتي ، ووصيي علي ، وإذا قلت ذلك أفهل أخصك به وحدك ، ولا أعلم به عترتي وأهل بيتي حتى لا يحدث بينهم نزاع أو شقاق في مواريثي .

إنك من دون شك تعلم بعدم صحة ذلك ، وأنت مطمئن به ، ولكن غرضك من ذلك شل نشاط علي ، ودك كيانه محاذراً أن يكون له مال فتكثر أعوانه ، وتقوى شوكته ، فيدفعك عن مركزك ، ويرجع إليه حقه الغصيب .

ويقوم الازري ودموعه تتبلور على وجهه ، وقد ثارت كوامن آلامه فيخاطب الجماهير قائلاً :

أيها الناس أي بنت نبي	عن مواريثه أبوها زواها
كيف يزوي تراثي عتيق	باحاديث من لدنه أفتراها
هذه الكتب فاسألوها تروها	بالمواريث ناطقاً فحواها
وبمعنى يوصيكم الله أمر	شامل للعباد في قرباها
كيف لم يوصنا بذلك مولا	نا وتيما من دوننا أو صاها
هل رآنا لا نستحق اهتداءً	واستحقت تيم الهدى فهواها
ام تراه اضلنا في البرايا	بعد علم لكي نصيب خطاها
انصفوني من جائرين اضاعا	ذمة المصطفى وما رعياها
وانظروا في عواقب الدهر كم	امست عتاة الرجال من صرعاها
ما لكم قد منعتمونا حقوقاً	اوجب الله في الكتاب اداها
وحذوتم حذو اليهود غداة	اتخذوا العجل بعد موسى إلها

ويسود الحزن والبكاء على الجميع ، ويلتفت النبي إلى ابي بكر قائلا له :

يا ابا بكر هل من البر والإحسان ان تخرج بضعتي ووديعتي فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين وهي ثكلى قد نخب قلبها الحزن على فراقي ، واذاب فؤادها الأسى حزناً علي ، فتخرجها من بيتها تتهادى بين ثلة من نساء قومها فتوقفها

بين يديك موقف المحاكمة ، وبملأ من الناس ، وهي تبسط دعواها لإثبات النحلة لفدك ، وتدعيم قولها بالبرهان مستدلة عليك بقوله تعالى : « وآت ذا القربى حقه » وهل هناك مصداق لهذه الآية غيرها ؟ فكان جوابك لها مداورة ومغـالطة قـائلاً لها :

« أنت أعز الناس علي فقراً ، وأحبهم إلي غنـا ، لكني لا أعرف صحة قولك ، فلا يجوز أن أحكم لك » .

فأتتك بالشهود من الثقات فرددت شهادتهم .

هل كنت لا تعرف صحة قولها ، وهي سيدة نساء العالمين ، وهل تراها مع بينتها من أهل الزور والعدوان؟ «كلا بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون » .

ولما ادعتك ميراثها ولم تورثها ، وأخذت تقابلها بمعسول القول لأجل كسب رضاء الجماهير فقلت لها :

« يا بنت رسول الله ، والله ما خلق الله خلقاً أحب علي من رسول الله أبيك ، ولوددت أن السماء وقعت على الأرض يوم مات أبوك . والله لئن تفتقر عـائشة أحب إلي من أن تفتقري ، أتريني أعطي الأبيض ، والأحمر حقـه ، وأظلمك ؟ وأنت بنت رسول الله ، إن هذا المال لم يكن للبنين ، وإنما كان مالاً من أموال المسلمين ، يحمل به النبي الرجال ، وينفقه في سبيل الله ، فلمـا توفى وليته كما كان يليه .. »

إنها لم تطالبك من أموال المسلمين ، فإنها أعلم بأحكام الله من غيرها ، وإنمـا جاءت تطالب ميراثها ، ومنحتها ، وقد ردت عليك ابنتي وقد ملأ الأسى قلبها فقالت لك :

« والله لا كلمتك أبداً » .

فرددت عليها :

« والله لا أهجرنك أبداً » .

ولما يئست من الناصر والمعين قالت لك :

« والله لأدعون عليك » .

قلت لها : « لأدعون الله لك » .

وكان الأجدر بك أن تربأ بوحيدتي من الفشل في موقفها ومن الخيبة في دعواها، فتعطيها فدكاً من غير محاكمة فإن للامام أن يفعل ذلك بولايته العامة، وما قيمة فدك في سبيل هذه المصلحة . ودفع هذه المفسدة .

منع سهم ذي القربى :

لقد منعت يا أبا بكر سهم ذي القربى ، وقد نصّ الله عليه في كتابه قال تعالى : « وما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير » .

وكنت اختص بسهم من الخمس ، واخص بني هاشم بسهم آخر ، وقد جعل الله الخمس حقاً شرعياً لأربابه المذكورين في الآية ، وحذر الطامعين عن صرفه عنهم وذلك بما وصفهم بعدم الإيمان بالله .

ولما التحقت بالرفيق الأعلى منعت بني هاشم من الخمس ، وجعلتهم كغيرهم من المسلمين[١] .

وقد ارسلت اليك سيدة نساء العالمين بضعتي فاطمة تسألك ان تدفع لها ما بقي من خمس خيبر ، فأبيت ان تدفع إليها منه شيئاً ، فتألمت واحاط بها الشجى والحزن ، فوجدت عليك ، وهجرتك في المدة التي عاشتها بعدي ، وقد

(١) النص والاجتهاد ص ١١١ نقلا عن الكشاف .

بلغ من عظيم وجدها عليك انها اوصت علياً ان يدفنها في غلس الليل البهيم لئلا تحضر انت وحزبك الصلاة عليها، ولادفنها[1] .

اعتـــذار أبي بكر :

ويعتذر ابو بكر ، ويقر بأنه قد ارتكب شططاً تجاه بضعة النبي وريحانتـه فيقـــول :

بلى يا رسول الله إننا قد اخطأنا ، واسأنا إلى وديعتك وبضعتك فاطمـة ، فانطلقت انا وعمر ، واستأذنا عليها فأبت ان تأذن لنا ، وذلك لعظيم وجدهـا علينا ، واستأذنا مرة اخرى فأبت ان تأذن لنا ، فسرنا إلى علي، والححنا عليه ان يستأذن لنا عليها ، فقبل علي ذلك ، وتناسى اخذنا لحقـه واستبدادنا بالأمر دونه ، ودخل على فاطمة فترجاها في ان تسمح لنا بزيارتها ، فقبلت ، ودخلنـا عليها ، فسلمنا عليها فلم تجب ، وتقدمنا فقعدنا امامها ، فأشاحت بوجهها عنا ، ورحنا نلحق في الرجـــاء ان تمنحنا رضاها ، وأن تجعلنا في حل مما وقع منا من تفريط تجـــاهها ،فقلت لها :

« يا حبيبة الرسول.. والله إن قرابة رسول الله احب إلى من قرابتي، وانك احب إلى من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات ابوك اني مت، ولا ابقى بعده.. أفتراني أعرفك واعرف فضلك وشرفك، وامنعك حقك، وميراثك من رسول الله ..».

---

(١) ذكر ذلك شراح البخاري من المجلد الثامن ص ١٥٧ ، وفي مستدرك الحاكم ٣-١٦٢ عن عائشة قالت دفنت فاطمة بنت رسول الله (ص) ليلا ودفنها علي ، ولم يشعر ابو بكر حتى دفنت وصلى عليها علي ، وجاء هذا الحديث في مسند احمد ١ - ٦ و ٩ ، وفي صحيح مسلم ٢-٧٢، وفي سنن البيهقي ٦ - ٣٠٠ وذكر ابن كثير في تاريخه ٦ - ٣٣٣ لم تزل فاطمة تبغض أبا بكر مدة حياتها ، وفي السيرة الحلبية ٣ - ٣٩٠ قال الواقدي : ثبت عندنا ان علياً دفنها وصلى عليها ومعه العباس والفضل ولم يعلموا بها أحداً .

« لا نورث ما تركناه فهو صدقة » .

فخاطبتني فاطمة ، واشركت معي في الخطاب عمربن الخطاب .
« أرأيتكما إن حدثتكما حديثا عن رسول الله تعرفانه ، وتعملون به . »
أجبتها أنا وصاحبي .
« نعم » .
فراحت تقول لنا بفؤاد مكلوم ، ونفس مترعة بالألم والجزع .
« نشدتكما الله ... ألم تسمعا رسول الله يقول : رضا فاطمة من رضاي ، وسخط فاطمة من سخطي . فمن أحب فاطمة فقد أحبني ، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ، ومن أسخط فاطمة ، فقد اسخطني » .

اجبنا مؤمنين بقولها ، ومصدقين لما سمعناه منك في حقها قائلين :
أجل قد سمعنا ذلك من رسول الله » .

فرمقت وجهها وكفيها الى السماء وراحت تقول في حرارة وألم ممض .
« فاني أشهد الله ، وملائكته انكما أسخطتماني ، وما أرضيتماني ولئن لقيت رسول الله لأشكوكما اليه . » (١)

وغادرنا الدار ، وقد خبا أملنا في رضا بضعتك ،وعلمنا مدى الغضب الذي أثرناه في قلبها ، ومدى السخط الذي بثنا به .

أما عمر فقد عاوده ثانية ندمه على ما فرط في حقها فثاب الى الدمع يلوذ به ، عساه أن يلهمه الراحة .

وأما أنا فقد أحسست كأنما الدنيا قد ضاقت علي حتى لا أرى فيها مقاما ، وكرهت بعد ذلك الموقف ان يصيبني من الحياة شيء أو أصيب منها ، وبحسبي أن استطيع الانطواء على نفسي في داري لاعالج همي بعد أن حرمت رضا فاطمة

---

(١) الامامة والسياسة ١ / ١٤ ؛ اعلام النساء ٣ / ١٢١٤ ، الامام علي ١ / ٢١٧ .

الذي هو من رضاء الله [1] والذي هو نفحـــة عاطرة من رضاك يا رسول الله ، فحينئذ أسرعت الى الناس ان يقيلوني ببيعتهم فلم يسمحوا لي بذلك .

النبي يجيبه :

يا أبا بكر ان ذلك كان من خداعك ، وفذلتك ، إنك إن أخذت فدكا من فاطمة ، ومنعتها من الخمس والفيء كان ذلك بحجة شرعية فلا موجب للاعتذار ، ولا وجه لجزعك وجزع صاحبك ، ولكنك من دون شك أردت ان توهم على المسلمين بأنك نلت رضا فاطمة لتضفي على خلافتك ثوباً شرعياً ، لكن سيدة النساء لم يخف عليها أمرك فقابلتك بالغضب ، ولم تمنحك الرضا ، وقد عززت ذلك بوصيتها الى امير المؤمنين ان يواري جثمانها في غلس الليل البهيم حتى لا تحضر جنازتها والصلاة عليها ، حتى يستبين ذلك لجميع أمتي في جميع مراحل تأريخها ، وقد بوركت هذه الخطة الرشيدة فانها لم تدع لك ولا لحزبك مجالا في الاعتذار ، وقد بقيت وصمة عليك لا تمحى ، ولا تنسى .

يا أبا بكر : كان عليك أن تعلم ان فدك لم يكن لها أية أهمية ، عند بضعتي ، فانها قد نهجت نهجي وعاشت مطبوعة بطباعي ، وسارت على منوالي في العزوف عن عرض الدنيا ، ونشب الحياة ، ولكنها أرادت في واقع الحال ارجاع الخلافة إلى أمير المؤمنين (ع) ليسير بين المسلمين بسيرة قوامها العدل الخالص ، والحق المحض ، وحتى يستبين هدي الاسلام ، وتعم رحمته ، ونوره جميع ارجاء الارض ، ولكنها الاطماع ، وحب الدنيا قد صدتكم عن وعي ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

---

(1) اشارة الى الحديث المتواتر « ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك » جاء الحديث في مستدرك الحاكم ٣ / ١٥٣ ، أسد الغابة ٥ / ٥٢٢ ، تهذيب التهذيب ١٢ / ٤٤١ ، ميزان الاعتدال ٢ / ٧٢ ، كنز العمال ٦ / ٢١٩ .

سهم المؤلفة قلوبهم :

يا أبا بكر : لقد فرض الله تعالى سهماً من الزكاة للمؤلفة قلوبهم قال تعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » [1]

وقد دلت هذه الآية بوضوح على أن للمؤلفة قلوبهم سهما وحصة في الزكاة، وقد كنت أجريها عليهم ، وقد اعطيت بعض أصنافهم من سدس الخمس الذي يرجع لي ، وقد استمرت سيرتي على ذلك حتى لحقت بالرفيق الاعلى ، ولم أعهد الى أحد من بعدي باسقاط هذا السهم ، ولكنك لما وليت الامر جاءتك المؤلفة قلوبهم لاستيفاء سهمهم جريا على عادتهم .. فكتبت لهم بذلك ، فذهبوا الى خليفتك عمر ليأخذوا حصتهم منه ، فعرضوا عليه كتابك فخرقه ، وقال لهم : لا حاجة لنا بكم فقد أعز الله الاسلام ، وأغنى عنكم ، فان اسلمتم وإلا فالسيف بيننا وبينكم ، فهرعوا اليك ، وهم يتعثرون برداء الفشل والذل فقالوا لك :

« أأنت الخليفة أم هو ؟ » .

فقلت لهم : بل هو إن شاء الله تعالى [2] .

وأمضيت فعل عمر ، واستقر الأمر لديكما على ذلك ، فاية غاية وفائدة قد جنيتها من تلاعبك بنص كتاب الله ، وهو اجتهاد منك في قبال النص ، وهو من دون شك تغيير وتصرف في احكام الله .

يوم مالك بن نويرة :

يا أبا بكر :

---

(١) سورة التوبة : آية ٦١ .

(٢) النص والإجتهاد للامام شرف الدين نقله عن الجواهر النيرة على مختصر القدوري في الفقه الحنفي ص ١٦٤ من جزئه الاول .

يا خليفة المسلمين

أهكذا يكون التمسك بالاعوان والانصار ، والمحسوبين ؟

أهكذا تعمل الحزبية ؟ ! !

ما يوم البطاح ؟

فقد انتهكت فيه كرامة الاسلام، واستحل فيه ما حرمه الله ، واستبيحت أعراض المسلمين ودمائهم ، وأموالهم ، لقد ارتكب خالد كل موبقة واثم مع مالك بن نويرة التميمي .

كان مالك في بني تميم هامة الشرف ، وعرنين المجد ، ومن تضرب الامثال بفتوته نجدة ، وكرما ، وحفيظة ، وشجاعة ، وقد قيل فيه « لا فتى كمالك » .

وهو من أرداف الملوك أسلم ، وأسلم بنو يربوع باسلامه : ووليته على صدقات قومه ، ثقة به واعتماداً عليه .

ولما أنتقلت الى دار الحق أبى النزول على حكمك في أمر الزكاة وغيرها ، ولم يكن ذلك منه عن ارتياب في الدين،أو شق لعصا الطاعة بين المسلمين ، ولا لابتغاء فتنة ، وانما كان باحثا عن تكليفه الشرعي في ذلك ليؤديه حسب ما شرع الله ورسوله ، فقد عرف أني نصبت عليا خليفة على المسلمين ، ودللتهم عليه ، وقد سأل عن ذلك فقيل له الامر يحدث بعده الامر فاترعت نفسه بالشكوك من حكومتك .

بهذا لا بسواه تريث مالك في دفع الزكاة باحثاً عن براءة ذمته فيمن يدفعها اليه ، ولم يكن منكراً للزكاة ، ولا ممن يستحل ما حرم الله .

فبم استحللت دمه ، وأبحت لخالد بن الوليد أن يغدر به ويسفك دمه .

لقد زحف اليهم خالد فلما دنا منهم أذن مؤذن خالد ، وأقام للصلاة فاقتدى به مالك مع قومه ، وبعد الفراغ من الصلاة خفوا على أسلحتهم وشدوا وثاقهم ، وجيء بهم أسرى إلى خالد ، وكانت فيهم زوجة مالك ليلى بنت المنهال ، وكانت من أشهر نساء العرب بجمالها ، فافتتن بها خالد ، وقد تجادل في الكلام

مع مالك ، وهي واقفة الي جنبه فكان مما قاله خالد له :

– اني قاتلك .

– أو بذلك أمرك صاحبك ؟

– والله لأقتلنك .

وكان عبد الله بن عمر وأبو قتادة الأنصاري حاضرين ، فكلما نهيا خالدا في أمره فلم يستجب لقولهما ، فالتفت مالك قائلا « إبعثنا الى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا فقد بعثت اليه غيرنا ممن جرمه أكبر من جرمنا » .

وألح عبد الله بن عمر وأبو قتادة بأن يبعثهم اليك فأبى خالد ، وقال : لا أقالني الله إن لم أقتلـــه ، وأوعز الى ضرار بن الازور الاسدي شارب الخمر ، وصاحب الفجور [1] أن ينفذ حكم الاعدام في مالك ، وعرف مالك أن السبب في اصرار خالد على قتله فتنته بزوجته ، فقال له :

– هذه – وأشار الى زوجته – هي التي قتلتني .

– بل الله قتلك برجوعك عن الاسلام .

– إني على الاسلام .

فلم يعتن بذلك ، وقام الجلاد الاثيم فاطاح برأس مالك وتركه جثة هامدة يتخبط بدمه ، وانبرى الى زوجته فبنى بها في تلك الليلة ، وفي ذلك يقول أبو نمير السعدي :

ألا قل لحي أوطئوا بالسنابك	تطاول هذا الليل من بعد مالك
قضى خالد بغيـــا عليـــه لعرسه	وكان له فيهـــا هوى قبـــل ذلك
فأمضى هواه خـــالد غير عاطف	عنـــان الهوى عنها ولا متمالك
وأصبح ذا أهل وأصبح مالك	على غير شيء هالك في الهوالك
فمن لليتـــامى والأرامل بعـــده	ومن للرجال المعـــدمين الصعالك

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٧ / ٣٠ ، الاصابة ٢ / ٢٠٩ .

أصيبت تمـيم غثها وسمينهـا بفارسها المرجو سحب الحوالك[1]

وجعل رأسه اثفية القدر ، ولم يكتف بذلك وإنما سبى النساء المسلمات واستباح ما حرم الله من أموالهم وفروجهم ، وكنت اعلنت للمـلأ وأنت من بينهم مراراً وتكراراً بحرمة الدمـاء والاموال ، والأعراض ، وكان آخر تصريح لي في منى ان قلت :

« إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم ، وأعراضكم كحرمة يومكم في شهركم هذا ، في بلدكم هذا . »

ولما قفل خالد راجعاً الى يثرب دخل المسجد في عدة الحرب مرتاداً قباءاً له عليه صدأ الحديد ، وقد غرز في عمامته اسهما فثار في وجهه عمر ونزع الأسهم من رأسه ، وحطمها وهو يقول :

« قتلت أمرءاً مسلماً ثم نزوت على أمرأته ، والله لأرجمنك بالاحجار . »

ومشت الرعدة في أوصاله ، فدخل عليك ، وقص عليك قصته مع خالد ، فهدأت روعه ، وعفوت عنه ، فانطلق اليك عمر قائلاً :

« إن خالداً قدزنى ، فاجلده» .

فرددت عليه قائلا له :

« إنه تأول فاخطأ »

فقال لك :

« إنه قتل مسلما »

فلم تعتن بكلامه ، وقلت له :

« ما كنت لأغمد سيفاً سله الله عليهم . »[2]

بأي كتاب أم باية سنة ساغ لك تعطيل الحدود ، والعفو على المجرمين .

---

(١) تاريخ ابن شحنة هامش الكامل ٧ / ١٦٥ ، تاريخ أبي الفداء ١ / ١٥٨ .

(٢) يراجع في تاريخ الحادث المؤسف تاريخ ابن الاثير ٣/١٤٩ تاريخ ابن عساكر ٥/١١٥، تاريخ ابن كثير ٦/٢٢١ تاريخ ابي الفداء ١/ ١٨٥ تاريخ الخميس٢/١٣٣ .

ما ذنب أولئك المسلمين الذين قتلهم خالد صبراً ، وسبى ذراريهم ، فهل اكتسبوا إثماً او اقترفوا جرماً ، ألم يعلن مالك ، وقد شهر عليه السيف بأنه مسلم ، ومؤمن بما جئتُ به من عند الله ، وقد قلت : « لا يحل دم رجل يشهد أن لا إله إلا الله ، واني رسول الله إلا باحدى ثلاث ، النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة . »[1]

ومتى كان خالد سيفا من سيوف الله أفي هجومه علي يوم بيت علي على فراشي أم في واقعة أحد ، حينما هجم على المسلمين فأوسع فيهم قتلا ؟

وهل أن سيف الله تنهتك به حرمات المسلمين ، وينزو على المرأة المسلمة وهي في عدتها .

إن اعراضك عن خالد وتأويلك لجريمته انمـــا كان جزاءاً له على مسارعته لبيعتك في سقيفة بني ساعدة ، وارغامه النـــاس على ذلك ، وسوقه عليا بالعنف لأخذ البيعة منه ، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون .

سرية أسامة :

لقد نبذت يا أبا بكر أمري ، وتأولت قولي فتخلفت عن جيش أسامة ، وقد كنت مهتما به إهتماماً بالغاً ، فقد عبأته بنفسي ، وعقدت اللواء بيدي ، وقد عبأتك ووجوه المهاجرين والأنصار ، وقلت لاسامة :

« اغزو باسم الله ، وقاتل من كفر بالله »

فتثاقلت من الالتحاق أنت وحزبك ، ولما علمت ذلك جعلت أكرر قولي في الالتحاق بجيش اسامة وألعن المتخلف عنه قائلاً :

« نفذوا جيش اسامة لعن الله من تخلف عن جيش أسامة » .

---

(١) صحيح مسلم ٢ / ٣٧ ، سنن ابن ماجة ٢ — ٤٥٧ ، خصائص النسائي ص ٢٧ .

ولم يرهف عزيمتك هذا الاهتمام ، والتشديد ، فرحت تحكم قواعد سياستك، وتضع المخططات لصرف الخلافة عن أهل البيت .

لقد كنت أريد أن تخلو منكم عاصمتي حتى يصفو الأمر من بعـــدي لعلي بسهولة ، فشعرتم بذلك فتأخرتم عن الالتحاق بالجيش مخافة أن يتم الامر بعدكم لعلي فيصعب عليكم حل الخلافـة وإحداث الشغب والنزاع .

وهكذا نبذت أنت وحزبك قولي ، والقيتم الأمة في شر عظيم ونسفتم جميع المخططات التي وضعتها لسعادة الامة ونجاحها .

عهدك لعمر :

وعهدت يا أبا بكر بالخلافة من بعدك الى عمر ، كأنها ملك لك وأنت تعهد بها إلى من شئت وقد زعمت أني تركت الامة بلا خليفة لانه اصلاح لها ، فلماذا لم تتركها أنت من بعدك كذلك لتختار هي من تشاءه من المسلمين ، وهل لك الولاية عليهم حتى تعين صاحبك .

لقد نسيت او تناسيت عهدي بالخلافة الى علي ، ثم من بعده الى الأئمة من ولده فانهم سفن النجاة ، وعدلاء الذكر الحكيم . لا يضل من تمسك بها ، ولا يهتدي الى الحق من لم ينهج في الدين نهجها ، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، وقد جعلت العترة أمانا لأهل الارض من العذاب ، وشبهتهم بسفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق وهوى و كباب حطة من دخله غفر له .

فقد أبعدت عترتي ، وتأولت النصوص الصريحة التي أوجبت لهم الحق بالخلافة من بعدي .

ويسكت أبو بكر ، ولا يجد مجالا للدفاع عن نفسه ، فقد دانـــه النبي (ص) بما قدم له من الحقائق التي لا مجال للشك فيها وبهذا ينتهي المطاف عن حديث ابي بكر .

الرسول «ص» مع عمر

ويأتي دور الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فتشخص له الابصار ، وتتطلع اليه النفوس ، ويوجه اليه النبي خطابه قائلاً :

أيها الخليفة الثاني كيف ساغ لك أن تتقل الخلافة ، وفي الأمة من هو أفضل منك ، وأحق بها من غيره ، وهو الامام امير المؤمنين ، وقد سمعت مني كثيراً أني قلت :

« من تقدم على قوم من المسلمين ، وهو يرى من هو أفضل منه فقد خان الله ورسوله والمسلمين .. » [1]

لقد جعلت الحكم بيد أفضل شخص في أمتي صيانة لها ، وحفاظا على اصالتها ، ووقاية لها من الفتن والزيغ ، وأنت تعلم أن عليا أفضل امتي ، وادري من غيره باحكام الله ، واسرار التشريع فهو مني بمنزلة هارون من موسى ، وباب مدينة علمي ، وأقضي أمتي ، وقد بايعته أنت بالذات يوم غديرهم ، وقلت له : « بخ بخ لك أصبحت وأمسيت مولاي ، ومولى كل مؤمن ومؤمنة .. »

فكيف ساغ لك ان تحتل مقامه ، وتدفعه عن مركزه ، وتستلب عرشه !!

دفاع عمر :

ويقوم عمر فيقول يا رسول الله ان لي الحق في الدفاع عن نفسي .

– نعم لك الحرية التامة .

– لقد عينني الخليفة أبو بكر الذي زكته الأمة ، وجعلته من خيارها ،

---

(١) تمهيد الباقلاني : ص ١٩٠ .

وأجمعت على بيعته ، وهذا نص عهده إلي :

« هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة ، آخر عهده في الدنيا نازحا ، واول عهده داخلا بالآخرة ، إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن تروه عدل فيكم فذلك ظني به ، ورجائي فيه ، وإن بدل وغيّر فالخير أردت ، ولا أعلم الغيب « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » [١].

ولولا عهده ، ونصه علي لما ارتقيت منصب الخلافة فان كان هناك تبعة ، فهو المسؤول عنها دوني .

جواب النبي (ص) :

ويرد عليه النبي (ص) قائلا : انت تعلم ان ابا بكر قد تقمص الخلافة ، ولاحق له بها ، فقد كانت بيعته فلتة على حد تصريحك ، فأنت أول من وصمتها بذلك ، وأنت تعلم بأنها لم تكن جامعة لأهل الحل والعقد ، فقد تخلف عنها خيار المسلمين ، وقد لعبت وتيرتك في تكوينها وتحقيقها فقد أرغمت المسلمين على قبولها وقد قسرت العترة الطاهرة على البيعة فما استجابوا لها حتى حملت قبساً من النار تريد أن تحرق دار بضعتي ووحيدتي سيدة النساء فاطمة ، ومع هذا فهل تكون بيعته مشروعة حتى يصح له أن يعين أو يختار من يشاء لهذا المنصب العظيم ، ويضاف لذلك أنه قد اندفع إلى الانكار عليه في تعيينه لك جمهور المهاجرين والأنصار فقد بادروا إليه قائلين :

« نراك استخلفت علينا عمر ، وقد عرفته وعلمت بوائقه فينا وأنت بين أظهرنا ، فكيف إذا وليت عنا ، وأنت لاق الله عز وجل فما أنت قائل » [٢].

واندفع إلى الإنكار عليه طلحة فقال له :

---

(١) الإمامة والسياسة ١ - ١٩ ، تاريخ الطبري ، طبقات ابن سعد .

(٢) شرح النهج ٦-٣٤٣ .

« ماذا تقول لربك ، وقد وليت علينا فظاً غليظاً تفرق منـــه النفوس ، وتنفض منه القلوب » [1] .

ولما كتب إليك بولايتك من بعده أخذت الكتاب ، وأنت تهرول لتقرأه على الناس ، فاعترضك رجل من خيار المسلمين، فقال لك :

« ما في الكتاب يا أبا حفص ؟ » .

فقلت : « لا أدري ، ولكني أول من سمع وأطاع ».

فنظر إليك الرجل نظرة ريبة ، وأخبرك بما فيه قائلاً :

« ولكني والله أدرى ما فيه ، أمرته عام أول ، وأمرك العام » [2]

لقد تواطئت أنت وصاحبك ، ومعكما جمهرة من المعاديين لعترتي على صرف الخلافة عنها ، فحل بالاسلام ، وبالمسلمين من النكبات والشجون ما لا يعلم بمدى قسوتها ، وضراوتها إلا الله ، والآن أعرض عليك بعض ما ارتكبتهمن المخالفات لنصوص كتاب الله وسنته ، أطلب منك أن تجيبني عنها .

الحيلولة بيني وبين الكتاب:

عندما حضرتني الوفاة ، وكادت روحي أن تصعد إلى ربها راضية مرضية ، أردت أن أضع لأمتي منهاجاً صحيحاً يقيها من الفتن والأهواء ، ويضمن لهـــا السعادة والنجاح في جميع مراحل تاريخها فقلت :

« إئتوني بالكتف والدواة أكتب لـكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً .. » [3]

وقد علمت قصدي ، وعرفت غايتي أني سأوصي بالخلافة لأمير المؤمنين ، وأعزز ما أعلنته يوم غدير خم ، فتفوت بذلك أهدافك وينهار قصدك ، فقلت

---

(١) شرح النهج ١ — ٥٥.

(٢) الامامة والسياسة ١ — ٢٠

(٣) الرواية أخرجها الطبراني في الأوسط والبخاري ، ومسلم .

راداً عليّ :

« حسبنا كتاب الله » .

أتحترم مقامي ، ولم تراع ما أنا فيه من شدة الألم ، والمرض ، فرددت علي ، وقدانطلقت النسوة من وراء الحجاب فقلن لك ولأصحابك :

« ألا تسمعون ما يقول رسول الله (ص) » .

فصحت فيهن لئلا يفسد عليك الأمر قائلا :

« انكن صويحبات يوسف إذا مرض عصرتن أعينكن ، وإذا صحّ ركبتن عنقه » .

فأزعجني كلامك ، وقلت لكم :

« دعوهن فإنهن خير منكم » .

وكادت أن تفوز الجبهة التي أرادت تنفيذ إرادتي في إحضار الكتف والدواة ، فقلت ويا لهول ما قلت :

« إن النبي ليهجر ».[1]

وقد سددت لي سهماً بذلك ، وأنا في سكرات الموت ، أتحكم علي بأني أهذي وأهجر ، واني فاقد لرشدي ، وقد زكاني الله تعالى من ذلك ، في جميع أدوار حياتي إلى أن لحقت بالرفيق الأعلى وإني على سمت واحد ، لم أفقد رشداً ولا هديا ، وقد نطقت نصوص القرآن بذلك . قال تعالى : «ماضل صاحبكم وماغوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى » . وقال تعالى: « إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون » إلى غير ذلك من الآيات التي دلت على عصمتي من الهجر ، وغيره من ألوان النقص .

---

(١) ذكر البخاري الحادثة عدة مرات في ٤ - ٦٩ وص ٩٩ و في ج ٦ - ٨١ ، ولكنه كتم اسم القائل لهذه الكلمة ، وصرح ابن الأثير في نهاية غريب الحديث ان القائل هو عمر بن الخطاب ، وقد اعترف عمر في حديثه مع ابن عباس أنه صد النبي (ص) عن الكتابة في علي وعترته ، كما في شرح النهج المجلد الثالث ص ١١٤ .

لقد بعثني الله رحمة للعالمين ، وجعلني قدوة وهادياً للنـــاس أجمعين ، وقد نسبت لي الهجر طاعناً في كرامتي ، وناسباً لي ما لا يليق بشأني .

دفاع عمر :

ويندفع عمر فيقول : يا رسول الله لقد أردت بذلك أن أحول بينك ، وبين ما تكتب في شأن علي ، ولو كنت أحتمل أنك توصي بحماية الثغور أو بغير ذلك من شؤون الدين ، لما اندفعت إلى هذه الكلمة القاسية ، وما نسبت لك الهجر .

الرسول : لماذا كرهت خلافة علي ؟ .

عمر : إن قريش أبت أن تجتمع النبوة والخلافة في بيت واحد ، فيجحف أهل بيتك على الناس بجحاً ، واستجابة لعواطف قريش التي تحقد على أهل بيتك حلت بينك وبين ما أردت في الكتابة في حق علي .

ويتألم النبي (ص) ويندفع إلى الإنــكار عليه قائلاً له : « إن الله سبحانه هو الذي منح هذا البيت بالرسالة فاصطفاني لاداء رسالته وتبليــغ أحكامه ، وقد اختار من أهلي علياً فجعله خليفة لي ووزيراً ، ووصياً ، وقد كرهت قريش أن يكون من بني هاشم نبي ، فكفرت بي ، وحاربتني ، ونصبت لي العداء فجعلت تعذب كل من آمن بي ، حتى أضحى المؤمنون بالله وبرسوله إلى الهجرة من ديارهم وأوطانهم ، وقـــد كبسوني أنا وأسرتي في شعب من شعـــاب مكة ، وحرموا الاتصال بي ، وحرمونا من كل شيء ، وبعد فك الحصار صمموا على قتلي فهربت منهم ، وقد بات علي في فراشي ، فوقاني بروحه ، فأي مفاداة مثل مفاداته ؟ .

ولما استقر بي المقام في يثرب أخذت بتبليــغ رسالة الله فأثار ذلك أحقاد قريش ، وأضغانها ، فأخذت تسعى بقوى محمومة مستعدة إلى استنهاض القبائل ، وإثارة الأحقاد عليّ ، فخفت بجيوشها وعساكرها تناجز من الحرب فـكانت

واقعة بدر وأحد وغيرها » .

فأي حق لقريش في هذا الأمر ؟ وأي ميزة لها على غيرها حتى ترعى عواطفها وميولها ؟ .

لقد استجبت لرغبات قريش ، ولم تستجب لما أمرتكم به من التمسك بالثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي الذين هم معدن الحكمة ، وخزان الوحي ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، وهو المستعان على ما تصفون .

يا عمر ، لقد أدت استجابتك لرغبات قريش أن يؤلي أمر المسلمين إلى بني أمية فيبالغون في ارهاق عترتي والتنكيل بها حتى تقطعت أوصالها في صعيد كربلاء وقتل ريحانتي وسبطي الثاني الحسين ، قتلته بنو أمية طلباً بثارات بدر فشفوا بذلك غليلهم وأحقادهم .

وليس في دنيا الوجود خطب يضارع ما جرى على حفيدي الحسين فقد ذبحت أطفاله عطاشى ، وسبيت نساؤه التي هن كرائم الوحي من بلد إلى بلد ، وقد ربقن مع الأطفال بالحبال ، قد ألهبت السياط أبدانهم ، وأحرق المصاب قلوبهم .

وتتابعت بعد ذلك على عترتي أشق ألوان المصائب ، وأقسى أنواع المحن والخطوب ، كأنهم قد جنوا جناية على المجتمع لا تعدلها جناية ، فقضى الكثيرون منهم في ظلمات السجون والتعذيب ، يطاردهم الرعب ، ويلاحقهم الخوف .
هذا ما أرادته قريش لعترتي وأهل بيتي ، فهل ترضى بذلك يا أبا حفص ؟ .

الثقة بالدين:

ياعمر : لا يحق منصب الخلافة والامامة إلا لمن كان عالماً بسنن الشرع ، ومحيطاً بشؤون الدين ، وعارفاً بما تحتاج إليه الأمة في جميع مجالاتها ، وقد اعترفت على نفسك بقلة الفقه فقلت : « كل الناس أفقه منك يا عمر حتى ربات

الحجال»[1] . وكنت تعترف لعلي بالفضل على من سواه ، فقلت :

« لولا علي لهلك عمر » .

وقلت : « لولا علي لضللت » [2] .

وقلت : « لولا علي لافتضحت » .

وقلت « عقمت النساء أن تلدن مثل علي » .

وقلت : أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن » .

وقلت : « لا أبقاني الله لشدة لست لها، ولا في بلد لست فيه ومع اعترافك بفقهه كيف سانح لك أن تتقدم عليه ، وتحرم أمتي من التمتع بمواهبه وفضله وعبقرياته ، وقد خالفت في جملة من قضائك وأحكامك نصوص الكتاب ، وصريح السنة ، والآن أقرأ عليك جملة منها .

١ - تحريم متعة الحج :

لقد شرع الله الحج ، وجعله على ثلاثة أنواع حج القران وحج الافراد، وحج التمتع ، وقد فرض تعالى حج التمتع على من بعد عن مكة بثمانية وأربعين ميلا من كل جانب ، ، والقسمان الأولان فرض من بعد عنها دون المسافة ، وقد كنت في حياتي أعمل بها ، وقد نص عليها القرآن الكريم قال تعالى : « من تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى »[3] ولم تنزل آية بنسخها[4] وقد أبحت لمن حلّ منها أن يأتي بكل ما كان محرماً عليه من قبل الاحرام فجميع القيود

---

(١) الغدير ٦ - ٣٢٨ ، وذكر جملة من اعترافات عمر في عجزه ، وعدم فقهه منها قوله: « كل واحد أفقه منك حتى العجائز يا عمر » ومنها قوله : « كل أحد أفقه مني » ومنها قوله : « كل الناس أفقه من عمر حتى المخدرات في البيوت » .

(٢) الغدير ٦ - ٣٢٨ .

(٣) سورة البقرة : آية ١٩٦ .

(٤) صحيح مسلم ١ - ٤٧٤ ، تفسير القرطبي ٢ - ٣٦٥ .

التي كانت على المحرم في حـــال إحرامه بالعمرة قد وضعتهـــا عنه إذا حل من إحرامه ، وقد نهيت يا عمر عما أحله الله بعد الاحرام فقد اجتاز عليك رجل من الحجاج ، تفوح منه رائحة الطيب فقلت له :

— أمحرم أنت ؟

— نعم .

— ما هيأتك بهيأة محرم ، إنما المحرم الأشعث الأغبر الأذفر فقال لك ، وقد أخذته الرهبة والخوف منك :

« إني قدمت متمتعا ، وكان معي أهلي ، وانما أحرمت اليوم » .

وأصدرت فتياك فقلت :

« لا تتمتعوا في هذه الأيام فاني لو رخصت في المتعة لعرسوا بهن في الأراك ثم راحوا بهن حجاجاً »[1] .

لقد عمدت بذلك الى تحريم ما حلله الله بنص كتابه ، واستهنت بالسنة وقد أصررت على ذلك ، فقلت على منبري :

« متعتان كانتا على عهد رسول الله ، وأنا أنهي عنهما ، وأعاقب عليهما متعة الحج ، ومتعة النساء »[2] .

بأي حق جاز لك هذا التشريع ، وكيف سانح لك أن تحرم ما حلله الله ؟

إن سلطة التشريع ليست بيد أحد ، إنما هي لله تعـــالى ، فهو الذي شرع الأحكام ، وبين معالم الدين ، وليس لأحد مهما كان شأنه أن يسن سنة ، أو يلغي حكماً ، فان ذلك من التشريع الذي يعلم بالضرورة من الدين تحريمه .

---

(١) زاد المعاد لابن القيم ١ — ٢٢٠

(٢) سنن البيهقي ٧ — ٢٠٦ ، البيان والتبيين ٢ — ٢٢٣ ، أحكام القرآن للجصـــاص ١ — ٣٤٢ ، تفسير الرازي ٢ — ١٦٧ .

٢ – متعـــة النساء :

إن النكاح الذي حلله الله على ثلاث أنواع « الأول » الدائم وهو الذي يحتاج إلى الايجاب والقبول ، وذكر المهر ، ولا يحل عقده إلا الموت أو الطلاق «الثاني» المنقطع وهو يحتاج الى إيجاب وقبول ، إيجاب من الزوجة ، وقبول من الزوج، ويحتاج الى مهر ، وإلى تعيين مدة من الزمن ، وينحل بانتهائها ، ولا يحتاج إلى طلاق ، والزوجان ، لا يتوارثان ، وإن مات أحدهما في خلال المدة المعلومـة « الثالث » ملك اليمين ، فمن ملك امرأة جاز له ملامستهـا بغير عقد ، وهذه الأنواع الثلاثة قد شرعها الله ، وسارت عليها السنة ، وقد شرع تعـالى زواج المتعة تيسيراً على عباده ، وصيانة لهم من الفجور ، وقد نص القرآن الكريم على مشروعيتها قال تعالى : « فما استمعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضـة » [١]، وقد كان المسلمون يتمتعون بالقبضـة من التمر والدقيق على عهدي ، وعهد أبي بكر [٢] ، ومضيت على ذلك شطراً من خلافتك ، ثم حرمتها وقلت :

« إن الله عز وجل كان يحل لنبيه ما شاء ، وإن القرآن قـد نزل بنازله ، فافصلوا حجكم من عمرتكم،واتبعوا نكاح هذه النساء فلا أوتي برجل تزوج امرأة إلى أجل إلا رجمته » [٣] . لقد حكمت برجم المتمتع ، وهو لم يشرع إلا للزاني ، وليس ذلك من الزنا في شيء ، وإنما هو عقد أحله الله ، ولم يمنع عنـه ، ولو عمل بها المسلمون لما زني إلا شقي كما قال علي [٤] وقد أقر العمل بها جماعة من الصحابة والتابعين منهم :

١ – عبدالله بن مسعود .

٢ – أبو سعيد الخدري .

---

(١) سورة النساء : آية ٢٤ .

(٢) صحيح مسلم ١ - ٣٩٥ ، فتح الباري لابن حجر ٩-١٤١ ، كنز العمال ٨ - ٢٩٤ .

(٣) مسند أبي داود ص ٢٤٧ .

(٤) تفسير الطبري ٥ - ٩ ، الدر المنثور ٢ - ١٤٠ ، تفسير أبي حيان ٣ - ٢١٨ .

٣ — عبدالله بن عمر .

٤ — الزبير بن العوام .

٥ — خالد بن مهاجر .

٦ — عمرو بن حريث .

٧ — أبي بن كعب[١] .

٨ — سعيد بن جبير .

٩ — طاووس اليماني .

١٠ — السدي .

١١ — زفر بن أوس المدني .

١٢ — جابر بن عبدالله الأنصاري .

١٣ — علي بن أبي طالب .

إن هذه الجمهرة من الصحابة والتابعين وغيرهم رفضوا حكمك بالتحريم وأصروا على إباحتها ، وعدم تحريمها .

٣ — الطلاق الثلاث :

إن الطلاق الشرعي الذي يوجب تحريم الزوجة إلى أن تنكح زوجاً غيره هو أن يطلقها ثلاث طلقات بينها رجعتان ، وفي الطلاق الثالث يتحقق التحريم لقوله تعالى : « الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان » إلى أن قال تعالى : « فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره »[٢] .

واستمر الطلاق الثلاث واحدة في عهدي ، وكذا في عهد أبي بكر ، وسنتين من خلافتك يا عمر ، ولكن لما رأيت الرجال تتهافت على طلاق أزواجهم ثلاثاً

---

(١) الغدير ٦-٢٢٠-٢٢٢ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٣٠ .

بانشاء واحد فالزمتهم بذلك ، وقلت : « إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة ، فلو امضيناه عليهم ، ثم امضيته »[1] .

إن من الغريب أن يكون استعجال الناس موجباً إلى التلاعب بنص القرآن ، ونبذ أحكامه ، وقد نددت بمن ارتكب ذلك فقد بلغن عن رجل طلق امرأتـه ثلاث تطليقات جميعاً فمقت وأنا غضبان وقلت :

« أيلعب بكتاب الله ، وأنا بين أظهركم »[2] .

ألم تسمع ذلك مني فكيف سانح لك تغيير ما جاء به الله ، واستقرت عليه السنة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

٤ ــ صلاة التراويح :

ومن تشريعاتك صلاة التراويح جماعة فان الله لم يشرع أي نافلة جمـاعة إلا صلاة الاستسقاء،وإنما شرعت الجماعة في الصلوات اليومية ، وصـلاة الطواف، والعيدين ، وصلاة الجنائز ، ومـا عدا ذلك فلم تشرع فيها الجماعة ، ولكنك عمدت إلى تغيير هذه السنة ، فشرعت قبال ما جاء به الله ، كنت ترى الناس في المسجد يصلي كل واحد منهم على شاكلته ، فاستحسنت أن توحدهم بصلاة إمام واحد،فابرمت حكمك بصلاتها جماعة، وعممت أمرك إلى سائر البلاد الإسلامية، متحدياً السنة بالاستحسان عن عمد وإصرار ، وكنت تقول : « إنهـا بدعة ، ونعمت البدعة »[3] .

وكنت أحبذ صلاة النوافل في البيوت من دون جمـاعة حتى يتزود المصلي من الاتصال بالله ، ويقبل بقلبه عليه ، وتنشط أعضاؤه لطاعته ، يستقل منهـا أو

---

(١) صحيح مسلم ١-٥٧٤ ، سنن البيهقي ٧-٣٣٦ ، تفسير القرطبي ٣ - ١٣٠ ، مسند أحمـد ١ - ٣١٤ .

(٢) تيسير الوصول ٣ - ١٦٠ ، تفسير ابن كثير ١ - ٢٧٧ ، الدر المنثور ١-٢٨٣ .

(٣) صحيح البخاري ١ - ٢٣٣ ، صحيح مسلم ١ - ٢٨٣.

يستكثر فانها خير موضوع ، وقد قلت : « إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده فليجعل لبيته نصيباً من صلاته . وان الله جاعل في بيته من صلاته خيراً » (١)
وقلت «صلوا أيها الناس في بيوتكم فان أفضل صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة» (٢)
إلى غير ذلك من أقوالي ، ولكنك لم تعن بها ، والله تعالى يقول :
« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » .

٥- صلاة الجنـائز :

وقد شرعت الصلاة على الجنائز ، وكنت أكبر عليها خمساً ، لكنك يا عمر قد الغيت ما جئت به ، فجعلت التكبير أربعاً (٣) فهل لك سلطة في هذا التشريع ؟ أم أنك أعلم مني باحكام الدين .

٦ - ميراث الجد مع الأخوة :

وجعلت الجد كاب مطلقاً ، والحال انه يختلف من كان لأب عمن كان لأم ، كاختلاف الأخوة بعضهم عن بعض بالحصص ، وقد افتيت في هذه المسألة كثيراً ، وكل فتوى تناقض الأخرى (٤) وكان عليك أن ترجع في ذلك إلى باب مدينة علمي ، والعارف بسنتي علي (ع) لكنك أبيت .
وقد صدقت نبوءتي فيك عندما سألتني عن ميراث الجد مع الأخوة فقلت لك :

---

(١) رواه مسلم وابن خزيمة في صحيحه .
(٢) رواه النسائي وابن خزيمة في صحيحه .
(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٩٣
(٤) اخرج البيهقي في السنن الكبرى ٦ - ٢٤٥ عن عبيدة قال إني لأحفظ عن عمر في الجد مائة قضية كلها ينقض بعضها بعضا .

« ما سؤالك عن هذا يا عمر؟ إني أظنك تموت قبل أن تعلم ذلك ، وقدمتَ ، ولم تعرف ذلك [1] .

كيف سانح لك القضاء ، والحكم بين الناس ، وأنت لا تعلم ذلك ، وقد أوجبت على من يتصدى للقضاء أن يكون عالماً باحكام الدين ومحيطاً بشؤون القضاء .

٧ - توريث الاخوة مع وجود الولد :

وانما ترث الأخوة والأخوات مع عدم وجود الولد ذكراً كان أم أنثى ، وقد نطق بذلك الذكر الحكيم قال تعالى : « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة أن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ماترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك ، وان كانوا أخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم » [2] ولكنك يا عمر حملت الولد على الذكر دون الأنثى فساويت في الميراث بين البنت وأخته لأبيه وأمه ، فجعلت لكل منهما النصف مما ترك ، فأشركت العصبة مع البنت التي هي ولد لغة وشرعاً ، والله تعالى يقول : « وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » .

فكان حكمك في ذلك مصادماً لنص القرآن ، ومنافياً لما أثر عني في ذلك ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

٨ - اسقاط فريضة الصلاة لفاقد الماء :

وقد خفي عليك يا عمر أبسط المسائل ، فقد افتيت بسقوط فريضة الصلاة

---

(١) مجمع الزوائد ٤-٢٢٧ .

(٢) سورة النساء : آية ١٧٦

عمن فقد الماء ، فقد جاءك رجل فقال لك . إني أجنبت فلم أجد ماءً ، فقلت له لا تصل ، فقال لك : عمار يا أمير المؤمنين أما تذكر اذ أنا وأنت في سرية فأجنبنا فلم نجد ماءً فأما أنت فلم تصل ، وأما أنا فتمعكت في التراب ، وصليت ، فقال النبي (ص) انما كان يكفيك ان تضرب بيديك الأرض ، ثم تنفخ ، ثم تمسح بهما وجهك وكفيك ، فقلت له : اتق الله يا عمار، فقال لك : ان شئت لم احدث به[1]

وقد نطق القرآن بوجوب التيمم لفاقد الماء قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق ، وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنباً فاطهروا وان كنتم مرضي إو جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فيتمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه »[2] وقال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فيتمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم ان الله كان عفواً غفوراً »[3]

لقد خفيت عليك هذه المسألة وهي مما تعم بها البلوى، وقد بينتها مراراً وتكراراً للمسلمين .

٩ ـ شكوك الصلاة :

والشيء العجيب خفاء احكام الشك عليك في صلاتك، فقد سألت ابن عباس فقلت له :

«يا ابن عباس اذا اشتبه على الرجل في صلاته فلم يدر أزاد ام نقص ..» .

فقال لك ابن عباس : ما ادري ، ما سمعت في ذلك شيئاً .

---

(١) سنن ابي داود ص ٥٣ ،سنن ابن ماجة ١ ـ ٢٠٠ ، سنن النسائي ١ ـ ٥٩ .

(٢) سورة المائدة : آية ٦ .

(٣) سورة النساء : آية ٤١ .

فقلت له : والله ما ادري .
وبينا انت تتحدث مع ابن عباس في حكم المسألة اذ جاءكم عبد الرحمن بن عوف ، فقال لك:
« ما هذا الذي تذكران ؟ » .
فقلت له : ذكرنا الرجل يشك في صلاته كيف يصنع ؟
فعرفك بما سمعه مني في احكام الشك [1]
ان احكام الصلاة يجب على عموم المسلمين تعلمها ، وانت اولى من غيرك بالفقه بها والوقوف عليها .

١٠ ـ البكاء على الميت :

إن البكاء على الميت إذا كان عزيزاً وأثيراً على أهله من الضرورات الطبيعية للإنسان ، فإنه مجبول على الانقياد لغرائزه ، وعواطفه ، فقد تجيش عواطفه إذا مات خليله ، حتى يتمنى مفارقة الحياة ، والبكاء بطبعه يخفف من لوعة المصاب ، ويطفىء غائلة الخطب ، وذلك سنة من سنن الحياة لا يمكن التنكر لها. ولما توفي ولدي ابراهيم بكيت عليه ،وقلت : « إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلاما يرضي ربنا ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون »[2]
ولما استشهد عمي حمزة ، وجاءت أخته صفية بنت عبد المطلب تطلبه ، فحالت الأنصار بينها وبينه ، فقلت دعوها فجلست عنده ، فجعلت تبكي ، فكلما بكيت بكيت ، وإذا نشجت نشجتُ ،وقلت : لن أصاب بمثلك أبداً[3]
وكنت إذا زرت قبر أمي بكيت عليها [4] ولما توفيت رقية بنتي بكت النسوة

---

(١) مسند احمد بن حنبل ١ - ١٩٢ .
(٢) سنن أبي داود ٣ - ٥٨ .
(٣) امتاع المقريزي .
(٤) تاريخ الخطيب البغدادي ٧ - ٣٨٩ .

عليها فجعلت تنهاهن فزجرتك ، وقلت لك :

« مه يا عمر ؟ » .

وخاطبت النسوة فقلت لهن : « إياكن ونعيق الشيطان فإنه مهما يكن من العين ، والقلب فمن الرحمة ، وما يكون من اللسان واليد فمن الشيطان ، وأخذت بضعتي سيدة نساء العالمين تبكي على رقية فجعلت أمسح دموعها ، [1] ولو كان غير مشروع لنهيتها عنه » .

وقد رويت عني إني قلت : « ان الميت يعذب ببكاء الحي [2] وأخذت تضرب النساء الثواكل التي تخب قلبهن الحزن على فقيدهن فقد ضربت أم فروة بنت أبي قحافة حين مات أبو بكر [3] ، وحينما مات خالد بن الوليد اجتمع في بيت ميمونة نساء يبكين عليه ، فشددت عليهن بالدرة ، فسقط خمار امرأة منهن فقالوا لك : سقط خمارها ، فقلت دعوها ، فلا حرمة لها [4] فأي جناية جنت هذه المرأة حتى تسقط حرمتها، وأي ذنب اقترفته النسوة حتى تعلوهن بدرتك !!

وقد نسبت الظلم إلى الله لتعذيبه الموتى ببكاء الأحياء ، والله تعالى يقول في كتابه : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » [5] وقد جاء في الكتـــاب الكريم فيما اقتص من حزن يعقوب على ابنه يوسف ، وبكائه عليه حتى ذهب بصره من الحزن « وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم » . «قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين ، قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون » [6]

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ٤ - ٧٠

(٢) كنز العمال ٨ - ١١٩ ، الاصابة ٣ - ٦٠٦

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١ - ٦٠

(٤) كنز العمال ٨ - ١١٨

(٥) سورة الانعام : آية ١٦٤

(٦) سورة يوسف : آية ٧ - ٨ - ٨١

إن المنع عن البكاء لا يقره عقل ، ولا شرع وهو مجاف لسنن الحياة ومصادم لطبيعة الانسان التي تتصدع حينما تفقد عزيزاً ، وخليلا ، وإني — والحمد لله — ما جئت بشيء مجاف للطبيعة أو منحرف عن سنن الكون ونواميس الحياة ، وقد نسبت إليّ ما لم أشرعه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

١١ — التجسس :

ونهى الله عن التجسس لمجرد ظن السوء ، قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً »[١]

أمر تعالى بذلك حفظاً على كرامة الناس ، وصيانة لشرفهم ، ولكنك لم تعن بذلك فقد خرجت ليلة فاجتزت بدار فسمعت فيها صوتا فارتبت ، وتسورت الدار ، فرأيت رجلا عنده امرأة ، وزق خمر فقلت له :

« يا عدو الله أظننت أن الله يسترك ، وأنت على معصيته ؟ « فزجرك ، وبيّن لك موضع خطيئتك قائلا :

(لا تعجل ما إن كنت أخطأت في واحدة فقد أخطأت في ثلاث » . قال الله تعالى : « ولا تجسسوا » وقد تجسست ، وقال : « أتوا البيوت من أبوابها »[٢] وقد تسورت ، وقال : « إذا دخلتم بيوتاً فسلموا » [٣] وما سلمت) .

فلم تكن لديك مندوحة إلا ان قلت : وهل عندك من خير إن عفوت عنك؟ .

فقال : نعم والله لا أعود ..

فعفوت عنه .

لقد جافيت ما أثر عني من النهي عن التجسس ، والأخذ بالظن ، فقلت :

---

(١) سورة الحجرات آية ١٢ .

(٢) سورة البقرة . آية ١٨٩

(٣) سورة النور : آية ٦١

« إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ، ولا تناجشوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله إخوانا .. »[1]

لقد كان تقحمك بيوت الناس بغير حق ، وبغير وجه مشروع ، فقلت كنت تلج البيوت مفتشاً عن آثام الناس وعوراتهم ،أفهذامن سنتي ، ومن شرعتي ؟!!.

لقد خرجت في غلس الليل البهيم ومعك عبد الله بن مسعود ، فرأيت ضوء نار في بعض البيوت فاتبعته ، حتى دخلت الدار وحدك ، فإذا شيخ جالس ، وبين يديه شراب ، وقينة تغنيه ، فلم يشعر الشيخ بهجومك عليه ، فصحت في وجهه فقلت له :

« مارأيت منظراً أقبح من شيخ ينتظر أجله ؟!!».

فرفع الشيخ إليك رأسه ، ورد عليك قائلا :

« بلى صنيعك أنت أقبح مما رأيت مني ، إذ تجسست ، وقد نهى الله عن التجسس ، ودخلت بغير إذن ».

فتحيرت في الجواب ، والدفاع عن نفسك ، وقلت له : صدقت، ثم خرجت على ثوبك تبكي [2] .

وكان اللازم عليك ان تعاقب هؤلاء المتمردين بعدما اطلعت عليهم، ولكنك لم تتخذ معهم أي اجراءات ، فهل كان خروجك للتجسس لأجل النزهة ، وترويح النفس ، او التلذذ بمشاهدة المخمورين ، ان تسامح الحاكم يؤدي الى تمرد المجرمين في إجرامهم ، وانطلاقهم في ميادين الإثم .

١٢ ـ درؤك الحد عن المغيرة :

ومن الدواهي عدم إقامتك الحد على المغيرة بن شعبة لأنه كان أثيراً عندك ،

---

(١) الفتوحات الإسلامية ٢-٤٧٧ ، الرياض النضرة ٣ ٤٦ ، الدر المنثور ٦-٩٣.

(٢) كنز العمال ٢-١٤١ .

فقد شهد عليه بذلك كلا من أبي بكرة، وهو من فضلاء الصحابة في علمه وتقواه، وشهد نافع بن حارث ، وشبل بن معبد ، وكانت شهادتهم صريحة واضحة بأن المغيرة قد زنى بامرأة محصنة ذات بعل ، وهي أم جميل بنت عمرو القيسية زوجة الحجاج الجشمي، وكتبت الى زياد وهو الشاهد الرابع فلما حضر قلت له: إني أرى رجلا لا يخزي الله على لسانه رجلا من المهاجرين[1] .

وقد أفهمته بكلامه عدم رضائك باقامة الحد على المغيرة فوجل منك ، واندفع يشهد كما اردت ، وبذلك درأت الحد عن المغيرة ، وأمرته بان يقيم الحد على الشهود الثلاث .

بأي وجه اظهرت رغبتك إلى زياد بأن لا يفضح المغيرة ، وتعطيلك الحد عنه ، لقد مهدت الطريق بذلك الى تعطيل الحدود ، ودرئها بغير حق ، فلا حول ، ولا قوة إلا بالله .

١٣ ـ اقامتك الحد بغير وجه :

وأغرب من ذلك اقامتك على جعدة من بني سليم ، ولم تقم عندك البينة على ارتكابه جريمة الزنا ، فقد قدم عليك بريد فنثر كنانته فبدرت صحيفة فقرأتها فاذا فيها :

ألا أبلغ أبا حفص رسولا	فدا لك من أخي ثقة إزاري
قلائصنا هداك الله إنا	شغلنا عنكم زمن الحصار
فما قلعي وجدن معقلات	قفا سلع بمختلف البحار
قلائص من بني سعد بن بكر	وأسلم أو جهينة أو غفار
يعقلهن جعدة من سليم	معيداً يبتغي سقط العذار

فأمرت باحضار جعدة فجلدته مائة معقولا[2] فبأي وجه أقمت عليه الحد،

---

(١) مستدرك الحاكم ٣/٢٤٨ ، وفيات الاعيان ، فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٥٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣ ـ ٢٠٥ .

ولم تقم عندك البينة على أنه قد زنى ، سوى هـــذه الأبيات ، وهي لا تصلح للاعتماد عليها .

١٤ ـ نقصان الحد :

وأخذت تتصرف في حدود الله حسب ما شئت بغير وجه مشروع ، فقــد نقصت حد شارب الخمر ، فقد جيء لك بشارب فبعثت به الى مطيع بن الأسود ليقيم عليه الحد ، واجتزت عليه فرأيته يضربه ضرباً شديداً فقلت له :

« قتلت الرجل ، كم ضربته ؟ » .

« ستين » .

فقلت اقص عنه بعشرين ، فجعلت شدة الضرب قصاصاً بالعشرين التي بقيت من الحد [١] كيف سانح لك نقصان الحد ، واعفاءه عما بقي منه وهـــذا من الاجتهاد قبال السنة الذي لا يقره الشرع .

١٥ ـ ارث الاعاجم :

ومن غريب فقهك أنك أبيت ان تورث احـداً من الأعاجم الا من وُلد في بلاد العرب [٢] بأي كتاب أم بأية سنة ان العجمي لا يرث ؟ أليس المسلمون جميعاً على اختلاف قومياتهم وألوانهم سواء كاسنان المشط لا تفاوت لأحد على احد إلا بالتقوى ، وعمل الخير .

إن هـــذه الفتوى تتصادم مع ضروريات الاسلام ، وتتنافى مع جوهره وواقعه ، فاني قد جئت بالشريعة السمحاء التي هدمت جميع حواجز الجاهلية ،

---

(١) السنن الكبرى ٨ـ٣١٧ .

(٢) الموطأ ٢ ١٢

فقد ساويت بين جميع المسلمين ، وقد هتف القرآن الكريم بذلك قال تعالى : « يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

إن التفاخر بالعناصر ، والرجوع الى القوميات من الخلق الجاهلي وهو الطاعون الأسود الذي فرق بين أمتي ، فجعلهم أحزاباً وانواعاً ، وقد تناسوا ان كلمة الاسلام هي الجامع الواقعي التي تضم بين جميع المسلمين .

١٦ – رجم المضطرة :

ورفع الاسلام الحكم التكليفي في حال الاضطرار فلا عقاب ولا إثم على المضطر ، وقد قلت « رفع عن امتي ما اضطروا اليه » وقد جهلت ذلك يا عمر ، فقد جيء اليك بامرأة قد زنت ، وقد اقرت بذلك فأمرت برجمها ، فانبرى علي إليك فأنكر عليك ذلك ، وقال لعل لها عذراً ، ثم قال لها :

– ما حملك على الزنا ؟

قالت : كان لي خليط ، وفي إبله ماء ، ولبن ، ولم يكن في إبلي ماء ، ولا لبن فظمئت ، ، فاستسقيته ، فأبى أن يسقيني حتى أعطيه نفسي ، فأبيت عليه ثلاثاً ، فلما ظمئت ، وظننت أن نفسي ستخرج أعطيته الذي أراد فسقاني ، ولما سمع ذلك علي ، تلا قول الله تعالى : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم » .

٢٦ – المتزوجة في عدتها :

ومن أحكامك التي تتصادم مع واقع السنة انك حكمت في المرأة المتزوجة في

---

(١) كنز العمال ٣–٩٦ ، الطرق الحكمية ص ٥٣ .

عدتها بالتفريق بينهما ، وجعلت صداقها من بيت المال ، وقد بلغ ذلك علياً ، فأنكر عليك ، وقال :

« ما بال الصداق وبيت المال انهما جهلا فينبغي للامام أن يردها إلى السنة ».

وقد سئل عن السنة في ذلك فأجاب «الصداق بما استحل من فرجها ، ويفرق بينهما ، ولا جلد عليهما ، وتكمل عدتها من الأول »[1] .

٢٧ ـ رجم الحبلى :

ومن أحكامك التي تتصادم مع الشريعة الاسلامية حكمت على امرأة حبلى قد اقترفت جريمة الزنا فأمرت برجمها ، فدخل عليك علي فقال :

ـ لأي شيء ترجم هذه ؟

ـ ارتكبت جريمة الزنا .

فأنكر عليك ذلك ، وأفتى بما أنزل الله فقال :

« إن كان لك سلطان عليها ، فما لك سلطان على ما في بطنها » .

ولما رأيت الحق في جانبه قلت :

« كل أحد أفقه مني » [2] .

٢٨ ـ أحكام الصلاة :

ومن غريب أمرك خفاء أحكام الصلاة عليك فقد صليت المغرب فلم تقرأ في الركعة الأولى فاتحة ، وقرأتها مرتين في الركعة الثانية [3] . وقد أردت بذلك قضاءها ، وهي من الأجزاء التي لا تقضى وإنما اللازم سجدتا السهو .

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ١ ـ ٥٠٤ .

(٢) ذخاير العقبى ص ٨١ . الرياض النضرة ٢ ـ ١٩٦ .

(٣) فتح الباري ٣ ـ ٦٩ .

٢٩ – رجم المجنونة :

ومن احكامك التي خالفت بها السنة حكمت بالرجم على مجنونة قد زنت فأخذتها الجلاوزة لاقامة الحد، فاجتاز عليهم علي فسألهم عن أمرها فأخبروه فأمر بارجاعها إليك، وقال لك :

« أما تذكر ان رسول الله (ص) قال : رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المعتوه حتى يبرأ . وان هذه معتوهة بنى فلان لعل الذي أتاها، أتاها وهي في بلائها فخله سبيلها » .

فجعلت تكبر، وامرت باطلاق سراحها [١] .

٣٠ – رجم من ولدت لستة أشهر :

ومن غريب ما حكمت به انك قد حكمت برجم امرأة ولدت لستة أشهر فرد عليك علي حكمك، وقال لك : إن الله تعالى يقول : « وحمله وفصاله ثلاثون شهراً »، وقال تعالى : « وفصاله في عامين » فالحمل ستة أشهر والفصال في عامين، فتركت رجمها، وقلت « لولا علي لهلك عمر » [٢]

٣١ – المغالات في المهر :

ومنعت المسلمين من المغالات في المهور فقلت : ألا لا تغالوا في صداق النساء فانه لا يبلغن عن احد ساق اكثر من ساقه رسول الله او سبق اليه، الا جعلت

---

(١) سنن ابن ماجة ٢، ٢٢٧، الرياض النضرة ٢–١٩٦، إرشاد الساري للقسطلاني ١٠–٩، فيض القدير : ٧–٣٥٧ .

(٢) الدر المنثور ١ ٢٨٨، كنز العمال ٣–٩٦، تفسير الرازي ٧–٤٨٤، السنن الكبرى ٧ ٤٤٢، الرياض النضرة ٢ – ١٩٤، ذخائر العقبى ص ٨٢ .

فضل ذلك في بيت المال » . فنبهتك امرأة من قريش على خطأك فقالت لك :

— أكتاب الله أحق أن يتبع أو قولك ؟

— بل كتاب الله تعالى فما ذاك ؟

— نهيت الناس أن يغالوا في صداق النساء ، والله تعالى يقول في كتابه « وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً » .

فاعترفت على نفسك بالجهل وقلة الفقه فقلت : « كل أحد أفقه من عمر » [1] ومع اعترافك هذا كيف تتقدم للقضاء وللحكم بين الناس ؟ .

٣٢ — حد الخمر :

ولما ورد الناس من المدن والقرى ، قلت ما ترون في حد الخمر فقال لك عبد الرحمن بن عوف أرى أن تجعله كأخف الحدود ، فجعلت الجلد ثمانين [2]

إن من يكون خليفة على المسلمين ، وممثلاً لي لا بد أن تكون له دراية باحكام الشرع ، ومعرفة بشؤون الدين .

٣٣ — أخذ الدية بغير وجه مشروع :

ومن الأمور التي تجافي الشرع أنك أخذت الدية بغير وجه مشروع وذلك في قصة أبي خراش الهذلي، فقد أتاه نفر من أهل اليمن قدموا عليه حجاجاً فأخذ قربته ، وانطلق نحو الماء في ظلام الليل ليستقى لهم الماء ، وقبل أن يصل اليهم نهشته حية ، فأقبل مسرعاً حتى أعطاهم الماء، وقال : اطبخوا شاتكم ، و كلوا،

---

(١) كشف الخفاء ١ ٢٦٩ للعجلوني ، كنز العمال ٨ ٢٩٨ .

(٢) سنن الدارمي ٢-١٧٥ ، سنن أبي داود ٢-٢٤٠ ، سنن البيهقي ٨-٣١٩ .

ولم يعلمهم ما أصابه ، فباتوا على شأنهم حتى أصبحوا، وأصبح أبو خراش، وهو من الموتى ، وقال قبل موته :

لقد أهلكت حية بطن واد   على الاخوان ساقا ذات فضل
فما تركت عدواً بين بصري   إلى صنعـــاء يطلبه بذحل

ولما انتهى إليك خبره غضبت غضباً شديداً وقلت : لولا أن تكون سنـــة لأمرت أن لا يضاف يمـــان أبداً ، ولكتبت بذلك الى الآفاق ، وكتبت إلى عاملك باليمن أن يأخذ النفر الذين نزلوا على أبي خراش فيـــأخذ منهم الدية ، وينكل بهم جزاء لفعلهم[1] فبأي وجه استحق هؤلاء النفر التنكيل ، وبأي وجه أخذت الدية منهم .

٣٤ ـ اقامتك الحد ثانياً على ولدك :

ومن الأمور التي خالفت بها السنة اقامتك الحد ثانيـاً على ولدك عبد الرحمن فقد أقام عمرو بن العاص عليه الحد حينما شرب الخمر في مصر ، وذلك بمحضر من أخيه عبد الله فلما بلغك ذلك كتبت الى ابن العاص أن يحمله على قتب بغير وطأ وأن يشدد عليه ، فأرسله إليك بالحالة التي أمرته فيها ، وقد كتب إليك باقامته الحد عليه ، وبعث بالكتاب مع ولدك عبد الله فلما انتهي إليك وهو لا يستطيع المشي لمرضه ، وإعيائه ، وأبصرته أمرت باحضار السياط ، فقـــال لك عبد الرحمن بن عوف : أنه قد اقيم عليه الحد، وشهد بذلك اخوه عبد الله فلم تلتفت إليه ، واخذت السياط ، وجعلت تضر به وهو يستغيث ، ويقول:

« انا مريض ، وانت والله قاتلي » .

وبعد ان اقمت عليه الحد حبسته شهراً فمات [2] فبأي وجـــه اقمت عليه

---

(١) الاستيعاب في ترجمة أبي خراش الهذلي ،

(٢) شرح نهج البلاغة ٣ ـ ١٢٧ ، العقدالفريد ٣ـ ٤٧٠ ، ارشاد الساري ٩ـ٤٣٩،تاريخ الخطيب للبغدادي ٥ ٤٥٠ ، الرياض النضرة ٢ ـ ٣٢ .

الحد ثانياً ، على ان المريض لا يقام عليه الحد حتى يبل من مرضه ، بالاضافة الى ان حبسك له كان بغير وجه مشروع .

٣٥ ـ صلاة العيدين :

وخفى عليك مايقرأ في صلاة العيدين فأرسلت الى ابى واقداللليثي تسأله باي شيء كنت اقرأ في مثل هذا اليوم[١] وهل يليق بمن تصدى منصب الخلافة ان يخفى عليه ذلك ، الم تكن تصليها معي ، فكيف قد عزبت عنك .

الى غير ذلك من الموارد التى جهلتها ، ولا يصح ان يرتقي منصب الامامة و الخلافة ، من لادراية له باحكام الاسلام وفقهه .

و يستعرض النبي (ص) بعد هذا الى بعض الشؤون الاخرى التي سار عليها عمر في ايام حكومتــه و هي:

سياسة العنف والارهاق :

لقد بعثني الله رحمة للعــالمين ، فقد بنيت شريعتي على توطيد الاخلاق وعلى الرحمة ، و نشر الدعوة و الاطمنان بين الناس ، وقد هدمت بسلوكي سياسة العنف و الارهاق فقد جائني اعرابي ، وحينما رأى هيبتي ارتعدت اوصاله ، فزجرته ، و قلت له :

«انما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » .

و لما دخلت الى مكة فاتحا دخلت و انا مطرق برأسي كأن قريش هي التي

---

(١) صحيح الترمذي ١ -١٠٦ ، سنن البيهقي ٣ ـ ٣٩٤ ، موطأ مالك ١ ـ ١٤٧ ، سنن ابن ماجة ١ ـ ١٨٨ ، صحيح مسلم ١ ـ ٢٤٢ ، سنن النسائي ٣ ـ ١٨٤ .

ظفرت كل ذلك لأرى الناس ان الإسلام لايعرف العنف ولا الارهاق وأنت لما آل اليك الأمر سست بسياسة الارهاق ، والخوف وقد كلم الناس عبدالرحمن بن عوف في ان تلين لهم لأنك قد اخفتهم حتى أخفت الأبكار في خدورهن ، فذاكرك في ذلك فقلت له: « إني لا أجد لهم إلا ذلك انهم لو يعلمون حالهم عندي لأغذوا ثوبي من عاتقي » وهو اعتذار مهلهل منك ، فإن الواجب عليك أن تلين لهم ، ولا ترهقهم.

وبلغ من عظيم خوفك في النفوس أن امرأة تقدمت إليك فقالت :

« يا أبا عقر حفص الله لك » [1] .

وبعثت خلف امرأة تسألها عن أمر ، وكانت حاملاً فلشدة خوفها منك القت ما في بطنها فأجهضت به جنيناً ميتاً ، وقد استدعيت أكابر الصحـابة في ذلك فأشاروا أنه لا شيء عليك إنما أنت مؤدب ، فانبرى احدهم إليهـم يفند فتواهم في المسألة قائلاً لك :

« إن كانوا راقبوك فقد غشوك ، وإن كان هذا جهد رأيهم فقد أخطـأوا ، عليك غرة يعني عتق رقبة » [2] .

ومن ذلك تشددك على جبلة ، وقد فرح المسلمون باسلامه وباسلام من معـه ، وقد حضر الموسم معك فبينما يطوف في البيت إذ وطـأ ازاره رجل من فزارة فحله ، فلطمه جبلة ، فاستدعيت الفزاري ، وأمرت جبلة ان يقيده من نفسه أو يرضيه ، وقد شددت عليه في ذلك وضيقت عليه غاية التضييق حتى نفد صبره فخرج عن دين الاسلام ، وتنصر هو وقومه ، وقد احتفى بهم هرقل ، وأسدى عليهم من النعم والتكريم فوق ما يتصورونه ، وكان جبلة مـع ذلك يبكي أمر البكاء وأشده على ما فاته من الاسلام وهو يقول :

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ١ - ١٢٠ .

(٢) جمع الجوامع للسيوطي ٧ - ٣٠٠ ، سيرة عمر لابن الجوزي ص ١١٧ .

تنصرت الأشراف من أجل لطمة — وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني منها لجـاج ونخـوة — وبعت لها العين الصحيحة بالعور
فيـا ليت أمي لم تلدني وليتني — رجعت إلى القول الذي قال لي عمر
ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة — وكنت أسيراً في ربيعة أو مضر

وقد أردت ان تقوده في أول بادرة تبدر منه ببرة الصغار [1]. محـاولاً بذلك إذلاله، وتحطيم عزه، وسحق كرامته[2] وكان الأجدر بك ان تريه سماحة الاسلام، وكرامته فتسترضي الفزاري ليعفو عنه، ولا تجعله يخرج عن حظيرة الاسلام، ان عنفك، وشدتك، وإهانتك له أوجب ارتداده، وانقـلاب عن عقيدته.

ومن ذلك إهانتك لسعد بن أبي وقاص، فانك لما رأيته يشق الجموع ليصل اليك نزلت عن راحلتك، وأوسعته ضرباً بدرتك قائلاً له:

« إنك لم تأخذك هيبة السلطان ».

وبلغ من عظيم شدتك، وارهاقك للناس ان ابن عباس لم يستطـع ان تجهر برأيه في جواز المتعة، وحليتها الا بعد وفاتك.

وقد وصف شدتك، وقسوتك عثمان بن عفـان بقوله: « لقد وطئكم ابن الخطاب برجله، وضربكم بيده، وقمعكم بلسانه فخفتموه ». اهكذا العنف، والشدة، ولك كثير من امثال هذه البوادر.

سياستك المالية :

إن سياستي المالية التي سرت عليها توزيع المال على مستحقيه من دون ان افضل احداً على احد، فقد ساويت بين القريب والبعيد لم افضل احداً على احد

---

(١) البرة : حلقة من صفر توضع في أنف الجمل الشرود فيربق بها حبل ليقاد به الجمل .
(٢) العقد الفريد ١-١٨٧ .

في العطاء ، وقد سار على ذلك ابو بكر ، ولكن لما آل اليك الأمر انتهجت في سياستك الى ايجاد الطبقية فقدمت البدريين على من سواهم ، والمهاجرين على الأنصار ، وامهات المؤمنين على غيرهن[1] .

وقد استدعى فرض نظام العطاء تصنيف الناس بحسب قبائلهم واصولهم فنشط النسابون لتدوين الأنساب ، وتصنيف القبائل بحسب اصولها ، وقد تحددت معالم الرابطتين العدانية واليمانية ، وتحددت معالم الأصول القبلية .

وكان لهذا التدوين اثره في تمسك القبائل بانسابها ، وتعصبها لنسبها ، واعتزازها به ، وميلها الى من تربطها بها رابطة القربى ، فأدى ذلك من طريق غير مباشر إلى ظهور الروابط القبلية وشيوع المعارف النسبية ، واعقب ذلك ظهور العصبية في صورها المختلفة .

وإني قضيت على هذه الأمراض التي تنخر في جسم المجتمع ، وابدت جميع العنعنات العنصرية ، وقد ادت سياستك هذه الى ظهور تلك النزعات بجميع الوانها البغيضة .

تشطير أموال العمال :

كنت تحاسب عمالك في كل سنة وهو حسن الا انك كنت تشاطرهم أموالهم فقد دعيت عاملك على البحرين أبا هريرة فقلت له :

« علمت أنه استعملتك على البحرين ، وانت بلا نعلين ، ثم بلغني أنك ابتعت أفراساً بالف وستمائة دينار ؟ » .

فقال لك :

---

(١) الأموال لأبي عبيد ص ٢٢٤ .

(٢) يرجع في تفصيل ذلك الى العصبية القبلية تأليف الدكتور إحسان النص ص ١٩٠ .

« كانت لنا أفراس تناتجت وعطايا تلاحقت » .

فأجبته : إني قد حسبت الك رزقك ، ومئونتك وهذا افضل فاد .

فرد عليك قائلاً :

— ليس لك ذلك .

— بلى والله اوجع ظهرك

ثم قمت اليه بالدرة ، فضربته حتى أدميته ، فقال :

« ائت بها ، وأحتسبها عند الله » .

فأنكرت عليه قائلاً : ذلك لو اخذتها من حلال ، واديتها طائعاً أجئت من اقصى حجر البحرين ، يجبي الناس لك لا لله ،ولا للمسلمين ما رجعت بك أميمة[1] إلا لرعية الحمر[2] وقد شاطرت جميع عمالك حتى اخذت منهم نعلا ، وتركت لهم نعلا ، ونسوق اليك بعضهم :

١ — سمرة بن جندب .

٢ — عاصم بن قيس .

٣ — مجاشع بن مسعود .

٤ — جزء بن معاوية .

٥ — الحجاج بن عتيك .

٦ — بشر بن المحتفز .

٧ — ابو مريم بن محرش .

٨ — نافع بن الحرث .

٩ — عاصم بن قيس .

وغير هؤلاء ، وقد حفزك الى مشاطرتهم أبو المختـــار يزيد بن قيس في شعره إذ يقول لك :

---

(١) اميمة : أم أبي هريرة .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣-١٦٣ .

أبلــغ أمــير المؤمنين رســالة ... فــأنت أمين الله في النهي والأمر
وأنت أمــين الله ومن يكن ... أمينــا لرب العرش يسلم له صدري
فلا تدعن أهل الرساتيق والقرى ... يسيغون مال الله في الادم والوفر
فارسل الي الحجاج فاعرف حسابه ... وارسل الي جزء وارسل الي بشر
ولا تنسين النــافعين كليهــما ... ولا ابن غلاب من سراة بني نصر
وما عاصم منهــا بصفر عيــابه ... وذاك الذي في السوق مولى بني بدر
وارسل الى النعمان واعرف حسابه ... وصهر بني غزوان إني لذو خــبر
وشبلا فسله المــال وابن محرش ... فقد كان في أهل الرساتيق ذا ذكر
فقــاسمهم فــداؤك انهم ... سيرضون إن قاسمتهم منك بالشطر
ولا تدعوني للشهــادة إنني ... أغيب ولكني أرى عجب الدهــر
نؤوب اذا آبوا ونغزو اذا غزوا ... فأنى لهم وفر ولسنــا أولي وفر
اذا التاجر الداري جاء بفــارة ... من المسك راحت في مفارقهم تجري[1]

وعلى أثر ذلك شاطرتهم اموالهم ، واخذت نصفهــا ، والمؤاخذة عليك في ذلك .

ان هذه الأموال التي حصلوا عليها ان كانت سرقة من بيت المال فان الواجب إرجاعها بامرها ، ولا وجه للمشاطرة اصلاً ، كما ان اللازم اقصاؤهم عن الحــكم نظراً لثبوت فسقهم ، وعدم حريجتهم في أخــذ أموال المسلمين بغــير حق ، ولكنك لم تعزل احداً منهم سوى بعضهم ، وان كانت الأموال قــد اكتسبوها بوجه مشروع كالتجارة ، ونحوها فان اللازم عدم جواز اخذها إذ لا يحل أخذ مال امرىء مسلم الا برضاه ، وقد أخذتها منهم بالقسر والإكراه .

اعفاؤك عن معاوية :

كنت في كل سنة تحاسب عمالك ، وتشاطرهم أموالهم سوى معاوية تتواتر

---

(١) الغدير ٦ — ٢٧٥ — ٢٧٦ .

اليك الأخبار بانه يسرق من اموال المسلمين ، ويبذخ فيها فتعتذر عنه وتقول : « ذاك كسرى العرب » .

ومتى كان هـذا الصعلوك كسرى العرب ، فقد كان في أيامي مهان الجانب محقر الكيان ، قد أذله الاسلام ، وحطم شأنه .

وغريب أمرك في موالاتك وحبك له مع اني قـد لعنته ، ولعنت أباه[1] . وقد جاءتني امرأة تستشيرني في زواجه ، فنهيتهـا ، وقلت لها :

إنه صعلوك ، وقد حذرت منه المسلمين فقلت : « أذا رأيتم معاوية على منبري فاضربوا عنقه[2] » .

وكان اللازم عليك ان لا تستعمله والياً على الشام وتستعمل رجلاً من خيار المسلمين ممن تتوفر فيه النزعات الخيرة والمثـل الكريمة ليقوم بتهذيب المسلمين ، ونشر روح الثقة والفضيلة في نفوسهم .

ولولا تسديدك له ، ونزعك عنه قميص العار والخزي لما امكنه ان يعمل في الشام عمل من يريد الملك والسلطان ، وقد ذاكرك في موضوعه جماعة من خيار الصحابة ، وعرفوك بخروجه عن جادة العدل ، ولبسه للديباج والحرير واستعماله للذهب ، وغير ذلك فامتعضت وزجرتهم ، ونهيتهم عن ذمه فقلت :

« دعونا من ذم فتى من قريش ، من يضحك في الغضب ، ولا ينال ما عنده من الرضا ، ولا يؤخذ من فوق رأسه الا من تحت قدميه »[3] .

لماذا هذا التسديد ؟!!

لماذا هذا الحب ؟!!

ولم تكتف بهذا كله ، وانما نفخت فيه روح الطموح ، ودفعتـه الى الخلافة

---

(١) تأريخ الطبري ١١ - ٣٥٧ .

(٢) وقعة صفين ص ٢٤٧ .

(٣) الاستيعاب المطبوع على هامش الاصابة ٣-٣٧٧ .

وهددت به اعضاء الشورى فقلت لهم : « انكم إن تحاسدتم وتقاعدتم ، وتدابرتم وتباغضتم غلبكم على هذا معاوية بن أبي سفيان » [1] .

لماذا شدت بمعاوية دون بقية عمالك ؟

كيف ساغ لك أن تهدد أعضاء الشورى بسطوته ؟

لقد مهدت له الخلافة ، وعبدت له الطريق ليكون حاكماً في أمتي ، وقد أسفرت الأحداث الرهيبة التي توالت على أمتي عن مصير الخلافة إلى هذا الباغي ، فانه حينما استتب له الأمر ، حكم بسياسة العنف والبطش فقتل خيار المسلمين ، وطارد المصلحين ، فقتل سبطي وريحانتي الإمام الحسن فدس اليه سماً قاتلاً على يد زوجته جعدة بنت الأشعث ، وقتل حجر بن عدي ، وهو من أكابر أصحابي في تقواه وورعه ، وفرض سب وصيي علي ، وأهل بيتي على المنابر ، وتتبع شيعتهم تحت كل حجر ومدر فاشاع فيهم القتل ، والتنكيل [2] .

لولا تأميرك اليه على الشام ، وتأييدك له ، ومبالغتك في تسديده . لما حدث في الاسلام ما حدث ، وما جرى على المسلمين ما جرى من النكبات والويلات ، وانتهاك الحرمات ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

اثارة الاحقاد على علي:

واكتفيت بأخذ الخلافه من علي ، وتقمصك لحقه ، فقد رحت تثير عليه الاحقاد ، وتوغر عليه الصدور ، فقد دخل عليك ، ومعك جماعة من الموتورين الذين وترهم الاسلام بسيف علي ، فقلت لاحدهم هذا قاتل عمك ، وقلت لآخر هذا قاتل اخيك ، وقلت لثالث هذا قاتل ابيك ، وهكذا اخذت تذكرهم بما صنعه الامام بآبائهم واخوانهم واقربائهم في سبيل اقامة هذا الدين ، فانبرى اليك علي فقال لك : مالك تثير على احقاد قوم قد وترهم الاسلام ، فاني لم أصيب منهم ما أصبت إلا من أجل الاسلام وإعلاء كلمة الله .

---

(١) نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ ـ ١٨٧

(٢) تجد عرضا مفصلا في أحوال معاوية واحداثه في حياة الامام الحسن للشيخ القرشي .

إن الضغائن التي أثرتها على علي كانت من دون شك منبثقة عن كراهيتك له، وكنت تغمر في دخائل نفسك حقداً عارماً على أهل بيتي، وكنت تبالـــغ في عدائهم فقد جائتني أم هـــاني بنت أبي طالب فقالت: يا رسول الله ان عمر بن الخطاب لقيني فقال لي: إن محمداً لا يغني عنـــك شيئاً، فغضبت، وقمت خطيباً فقلت:

« ما بال أقوام يزعمون أن شفاعتي لا تنال أهل بيتي، وان شفاعتي لتنال بين حاء وحكم » [1].

قلة الفقه في اللغة:

يا أبا حفص لقد نشأت في قريش وهي أفصح قبائل العرب وأبلغها وأفقهها في اللغة، ولكنك قـــد خفى عليك الكثير من مفردات الألفاظ، ولم تفقه كنايات العرب وأسوق اليك جملة منها:

١ ـ كنت جالساً بين أصحابك فتلوت قوله تعالى: « فانبتنا فيها حبـــاً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلباً وفاكهـــة وأباً » [2] والتفت إلى أصحابك فقلت لهم:

« هذا كله قد عرفناه فما الأب؟ ».

ثم قلت: (هذا لعمر الله التكلف فخذوا أيها الناس بما بُين لكم فاعملوا به وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربه) [3].

لقد خفيت عليك كلمة (الأب) وهي المرعى، والكلأ، الذي لم يزرعه الناس مما تأكله الأنعام.

---

(١) قبيلتان في اليمن، الحديث أخرجه الطبراني في الكبير.

(٢) سورة عبس: آية ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢.

(٣) مستدرك الحاكـــم ٢ ـ ٥١٤، الرياض النضرة ٢ ـ ٢٤٩، الموافقـــات للشاطبي ١ ـ ٢٢٠ الدر المنثور ٦ ـ ٣١٧، كنز العمال ١ ـ ٢٢٧، فتح الباري.

٢ ـ إن قوماً أخبروك أن رجلاً يسأل عن تأويل مشكل القرآن فقلت اللهم مكني منه ، فبينما أنت تتناول الطعام إذ جاء الرجل فانتظرك إلى أن فرغت فقال لك :

« يا أمير المؤمنين ما معنى قوله تعالى: «والذاريات ذرواً فالحاملات وقراً».

فقمت اليه ، وقد حسرت عن ذراعيك ، فلم تزل تجلده حتى سقطت عمامته ، وقلت له : والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك ، ثم أمرت ان يلبسوه ثيابه ، ويحملوه على قتب ، ويخرجوه الى بلاده ، وأمرته ان يخطب في قومه ويقول : إن صبينا ابتغى العلم فاخطأه ، وقد ألبست الرجل ثوب العار حتى هلك ، وكان سيداً في قومه [1]

فبأي شيء استحق الجلد والضرب ، والتوهين ؟ أليس الاسلام دين العلم ، والفضل ؟ !!

ألم آمر بالعلم ، وأحثهم على التعلم ، قد جعلت طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ؟!!

٣ ـ وجاءك رجل فسألك ما الجوار الكنّس ؟ فطعنته بمخصرة معه حتى ألقيت عمامته ، وقلت له : والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لأنحيت القمل عن رأسك [2] .

إذا كنت بهذه الصفة ، فكيف احتللت مقامي مع وجود من هو افضل منك ، وهو علي الذي هو باب مدينة علمي الذي خصصته بكل مكرمة ، وحبوته بكل فضيلة .

٤ ـ وخفي عليك المراد من الكنايات العربية التي يفتهمها من له أدنى تتبع في كلام العرب فقد جاءتك امرأة تشكو زوجها اليك ، قائلة :

« إن زوجي يصوم النهار ، ويقوم الليل » .

---

(١) شرح النهج لابن ابي الحديد ١٢/١٠٢ ، دار احياء الكتب العربية .

(٢) كنز العمال ١/٢٢٩ .

فلم تفهم المقصود من كلامها فرددت عليها قائلاً :

« نعم الرجل زوجك » .

فنبهك رجل في مجلسك على الغاية من كلامها قائلاً لك: إنها تشكو من زوجها في أمر مباعدته إياها عن فراشه ، فطلبت منه ان يحكم بينهما [1] .

إذ اللازم على من يتعدي لمنصب الإمامة والحكم بين الناس أن يعرف أساليب الكلام ، وأفانين الحديث ليصلح للقضاء والحكم .

٤ - وسألت رجلاً عن حاله فقلت له : كيف أنت ؟ فقال لك :

« إنه ممن يحب الفتنة ، ويكره الحق ، ويشهد على ما لم يره » .

فأمرت به إلى السجن ، وكان علي حاضراً فأمر برده ، وقال لك : إنه صدق في قوله : فقلت له كيف صدقته ؟ قال : إنه يحب المال والولد ، وقال الله تعالى: (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) ،ويكره الموت،وهو الحق،ويشهد أن محمداً رسول الله (ص) وهو لم يره فعند ذلك أمرت باطلاقه وطفقت تقول في علي :

« الله أعلم حيث يجعل رسالته فيمن يشاء » [2] .

٥ - وخفيت عليك أوضح كلمة في كتاب الله وهي كلمة الحرج في قوله تعالى :

« ما جعل عليكم في الدين من حرج» فقلت ادعو لي رجلاً من بنى مدلج فلما دعي لك قلت له : ما الحرج فيكم ؟ فقال لك : الضيق [3] .

٦ - وقرأت قول الله تعالى : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » [4] فتحيرت في معنى كلمة الظلم فسألت أبي بن كعب فقلت له :

« أينا لم يظلم ؟ ».

---

(١) الغدير ٦-١٠٧

(٢) الطرق الحكمية ص ٤٦ .

(٣) كنز العمال ١ - ٢٥٧ .

(٤) سورة الحج : آية ٧٨ .

فأوضح لك معنى الكلمة ، وبيّن لك المقصود منها قائلاً :

« يا أمير المؤمنين : إنما ذاك الشرك ،أما سمعت قول لقمان لابنه يابني لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم »[1] . إلى غير ذلك من الأمور التي جهلتها من لغتك فلم تفهم معانيها ولا المقصود منهـــا ، وقد اضطررت بأن تعلن للملاء أن لا يسألوك عما لم يكن ، معتذراً بأن الله قد بيّن ما هو كائن[2] ، والسبب في ذلك عدم علمك ودرايتك ، وقد تحاملك الناس فلم يسألوك عن شيء .

المنع عن تدوين الحديث :

إن المنع عن تدوين ماأثرعني من السنن والأحكام قد سبب للمسلمين المضاعفات السيئة ، وأخلد لهم الفتن والمصاعب ، وجرّ لهم الويلات والخطوبـــة فقد كثر الوضع علي ، وكثرت الأحاديث الموضوعة التي شوهت معالم الدين ، وقد نسبوا إلي من الأقوال ما لم أفد بها .

لقد عمد أبو بكر إلى جميع بعض الأحاديث فأحرقهـــا[3] ولما آل الأمر اليك استشرت عامة الصحابة في تدوين ما أثر عني فأشار عليك عامتهم بذلك وحبذوه لك ، ولبثت مدة تفكر في الأمر ثم عدلت عنه ، وقلت :

« إني قد ذكرت لكم من كتاب السنن مـــا قد علمتم . ثم تذكرت فإذا اناس من أهل الكتاب قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتبـــاً فأكبوا عليها ، وتركوا كتاب الله ، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً ، ثم تركت ذلك وعدلت عنه[4] وهو تعليل غير وثيق لأن حديثي لا يشذ عن كتاب الله ، ولا يخالفه ، وليس تدوينه موجباً لهجر القرآن الكريم ولا مستلزماً للاعراض عنه ، ولو أنك بادرت الى ذلك لصنت المسلمين من الاختلاف ، ولسددت باب الوضع ، فقد عمد (كسرى العرب) معاوية بن أبي سفيان إلى لجان تفتعل الأحـــاديث ،

---

(١) مستدرك الحاكم ٣ ــ ٣٠٥ .

(٢) سنن الدارمي .

(٣) تذكرة الحفاظ ١ ــ ٥ .

(٤) تقييد العلم ص ٥٠ ، وقريب منه في طبقات ابن سعد ٣ ــ ١ ص ٢٠٦ .

وتضع الأخبار تارة للحط من كرامة العترة الطاهرة وأخرى لتمجيد الصحـابة والثناء عليهم وثالثة للاشادة بالأمويين ، وقد رووا في ذلك الشيء الكثير ، فقد روي ابن العاص أني قلت في آل أبي طالب :

« إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء إنما ولي الله وصالح المؤمنين » [1] .

وروى سمرة بن جندب ان الآية الكريمة وهي «ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيـا ويشهد الله على مـا في قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد » [2] انها نزلت في علي ، وقد أخذ عوض ذلك الشيء الكثير من بيت مال المسلمين [3] وقد كان أبو هريرة في طليعة الوضاعين فقد روى المئات من الأحاديث عني ، وفي الكثير منها خروج على حكم المنطق والعقـل ، ونسبها لي ، وكذلك المغيرة بن شعبة ، وعمرو بن العاص، وغيرهم من الوضاعين وقد نسوا قول الله تعالى في كتابه الكريم « إنمـا يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكافرون » [4] وجافوا قولي : « من كذب علي متعمداً ليحل حراماً ، أو يحرم حـلالاً ، أو يضل الناس بغير علم فليتبوء مقعده من النار » [5] .

بلى والله لقد سمعوا ذلك ، ولكن حليت لهم الدنيا ، وراق لهم زبرجها ، فانطلقوا وراء شهواتهم وملاذهم ، وعمدوا إلى الكذب والإغراء ، والتضليل في سبيل مصالحهم الضيقة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وعلى أي حال لقد كان منعك من تدوين أحاديثي موجباً إلى رزية الأمـة ومحنتها في جميع مجالاتها العقائدية ، فلو كان الحديث مدوناً ، ومحفوظاً لما تمكن الوضاعون والمنحرفون عن دينهم من الكذب علي ، ومن افتراء الحديث وأنت قد شددت على المسلمين في رواية الحديث عني ، فقلت لهم :

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٥/٣ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٠٣ و ٢٠٤ .

(٣) النصائح الكافية ص ٢٥٣ .

(٤) سورة النحل : آية ١٠٥ .

(٥) الكامل لابن عدى صورة فوانغرافية في مكتبة الامام أمير المؤمنين .

« جردوا القرآن ، ولا تفسروه ، وأقلوا الرواية عـــن رسول الله ، وأنا شريككم »[1] .

فلماذا منحت المسلمين من رواية حديثي ؟

ولماذا صددتهم عن تدوين سنتي ؟.

الحصار على الصحابة :

وقد منح الاسلام الحرية التامة لكل مواطن ، فجعل له حرية القول والعمل والسكن ما لم يجاف أحكام الله ، ولكنك لما آل اليك الأمر فرضت الحصار على صحابتي فلم تسمح لهم بمغادرة يثرب ، ولم تتركهم وشأنهـــم في السفر إلى أي بلد أحبوه.

ما هو السبب في ذلك ؟

ما هي الدواعي التي حفزت إلى ذلك ؟

إن الحاكم في الإسلام الذي يرتدي ثوب النيابة عني يجب عليه أن يمثل سيرتي وهديي ، وسلوكي بين الناس ، أفهل رأيتني أني فرضت الإقامه الجبرية في عاصمتي على أحد من أصحابي حتى تفعل ذلك ، ولكن إنا لله وإنا اليه راجعون ، وهو المستعان على ما تصفون .

فرارك من الزحف:

وأذكرك في أيام حياتي حينما دهمتنا قوى الشرك والالحاد ، في واقعة أحد ، فقد انهزمت ، وكذلك فررت من واقعة خيبر، وقد كنت بعثت قبلك أبا بكر فرجع بالجيش منهزماً وبعثت بعدكما علي بن ابي طالب ففتح الله على يده ، ورجع بالغنائم والأسرى .

---

(١) شرح أبن أبي الحديد ٣/١٢٠ .

وقد جاء النص صريحاً عن الفرار عن الزحف قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ورسوله ومأواه جهنم وبئس المصير »[1] .

عصيان أمري بقتل ذي الثدية :

وعجب المسلمون بتعبد ذي الثدية واجتهاده فحدثني عن أمره جماعة من أصحابي ، وبينما نحن في حديثه إذ أقبل فقال المسلمون :

هو هذا ، فقلت لهم :

« انكم لتخبروني عن رجل في وجهه سفعة[2] من الشيطان » .

وأقبل ذو الثدية فلم يسلم ، فانكرت عليه أمره ، وقلت له :

« أنشدك الله ، هل قلت حين وقفت على المجلس ما في القوم أفضل مني أو خير مني ؟ » .

(نعم) .

ثم انصرف ذو الثدية ، وقد أعلمني ربي بأنه سيكون رأس المارقة في الإسلام ، فأردت استئصال شأفته فندبت المسلمين إلى قتله فانبرى اليه أبو بكر ، فوجده يصلي فقال :

« سبحان الله أقتل رجلاً يصلي ؟ وقد نهى رسول الله (ص) عن قتل المصلين » .

لقد أغترّ أبو بكر بصلاته ، وخشوعه ، ولم يذعن لقولي في قتله ، وأقبل أبو بكر فقلت له :

(ما فعلت ؟)

---

(١) سورة الانفال : آية ١٥ - ١٦ .

(٢) السفعة : العلامة .

« كرهت أن أقتله وهو يصلي » .

فندبت المسلمين مرة أخرى الى قتله فقلت لي: أنا له يا رسول الله، وانطلقت اليه فوجدته واضعاً جبهته على الأرض فقلت :

« أبو بكر أفضل مني فلم تقتله » .

وجئت إلى فأخبرتني بعدم قتلك له ، فندبت المسلمين إلى قتله فانبرى اليه علي، فلم يظفر به فأخبرني بذلك فقلت: «لو قتل ما أختلف من أمتي رجلان»[1].

لقد خدعك ذو الثدية ، كما خدع صاحبك أبا بكر فآثرت ذلك على أمري وقد كشفت الأحداث من بعدي أمر هذا الانسان الغريب ، فقد كان داعية ضلال ، وصاحب بدع وأهواء ، قد عمل على فساد أمر المسلمين وتصديع وحدتهم وشملهم .

اجتهادك في الخمر :

ولما نزلت الآيات التي حرم الله فيها الخمر شربتها وأنت غير معتن بالتحريم ، وقد شججت رأس عبد الرحمن بن عوف وجلست وأنت ثمل تنوح على قتلى بدر وتنشد شعر الأسود بن يعفر تقول :

وكأن بالقليب قليب بدر ... من الفتيان والعرب الكرام

أيوعدني ابن كبشة ان سنحيى ... وكيف حياة أصداء وهام

أيعجز أن يرد الموت عني ... وينشرني إذا بليت عضامي

ألا من مبلغ الرحمن عني ... بأني تارك شهر الصيام

فقل لله يمنعني شرابي ... وقل لله يمنعني طعامي

ولما بلغني ذلك خرجت وأنا مغضب أجر ردائي وكان بيدي شيء فضربتك به ، فقلت أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله ، فنزل قوله تعالى : « إنما يريد

---

(١) الاصابة في ترجمة ذي الثدية ، وأسد الغابة .

الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله فهل أنتم منتهون »[1] فقلت : أنتهينا انتهينا[2] .

وكنت مدمناً على شرب النبيذ لم تفارقه حتى النفس الأخير من حياتك[3] .

وجاءك أعرابي فشرب من شرابك فأقمت عليه الحد فأنكر عليك ذلك فقال انما شربت من شرابك ، ودعيت بماء فكسرته ثم شربته ، مجتهداً أن كسره بالماء يذهب حرمته ،[4] وقد قلت في الخمر « ما أسكر كثيره فقليله حرام »[5] .

وقلت : « حرمت الخمر لعينها القليل منها والكثير ، والمسكر من كل شراب »[6] .

فعلى أي حجة اعتمدت في شربك المسكر ، وبأي وجه حللت النبيذ ، والأمر لله تعالى وحده وهو المستعان على ما تصفون .

الشورى :

وأعظم ما مني به المسلمون أحداثك للشورى بوضعها الهزيل التي سببت للمسلمين كثيراً من الفتن والخطوب ، وهي مؤامرة دبرتها لصرف الخلافة عن أهل بيتي ، وجعلها في بني أمية ، وكان ذلك منك بأسلوب بارع دل على عمقك ، وسعة فكرك ، وسياستك البالغة في صرف الخلافة عن أهل بيت النبوة ، ومعدن الحكمة ، وخزان العلم وسدنة التوحيد ، وذلك حينما طعنك أبو لؤلؤة طعنته

---

(١) سورة المائدة : آية ٩١ .

(٢) المستطرف ٢/٢٩١ .

(٣) الامامة والسياسة .

(٤) أحكام القرآن للجصاص ٢/٥٦٥ .

(٥) مسند احمد ٢/١٦٧ ، صحيح الترمذي ١/٣٤٢ ، مصابيح السنة ٢/٦٧ تأريخ الخطيب ٣/٣٢٧ .

(٦) جامع مسانيد أبي حنيفة .

الميتة وصرت تنتظر ركب الموت ليسير بك إلى دار الحق أخـــذت تطيل التفكير ، وتمعن النظر فيمن يتولى شؤون الحكم من بعدك ، وتذكرت أقطاب حزبــك الذين شاركوك في تمهيــد الأمــر فطافت بــك الآلام والهواجس لأنه لم يكن أحد منهم الا اختطفته يد المنون فجزعت عليهــم ، وقلت بنبرت الآسف :

« لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته لأنه أمين هذه الأمة ، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لاستخلفته لأنه شديد الحب لله تعالى .. »

لقد أسفت على هلاك أبي عبيدة وهو حفار للقبور، وكان من أبطال المؤامرة الكبرى في قلب الحكم عن أهل بيتي ، وسالم كان مولى ، وقــد كنت ترى أن الخلافة لا تكون إلا في قريش لأنها أقرب الناس لي ، وأمسهم بي رحماً ، وبهذا المنطق أحتج أبو بكر على الأنصار وتغلب عليهـم ، فما الذي حــداك عن العدول عنه .

لقد فتشت في سجل الأموات، عمن هو أهل للخلافة، ونسيت أمير المؤمنين الذي هو نفسي ، وباب مدينة علمي ، وأقضى امتي ، وأبو سبطي ، وناصري في جميع المواقف والمشاهد ، فقد جعلته أحد أعضاء الشورى ، ورجحت عليه عبد الرحمن بن عوف .

لقد جعلت الخلافة شورى بين ستة أنفار ، علي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، وعثمان بن عفان ، وأمرت باحضارهم فلما مثلوا عندك قلت لهم :

« أكلكم يطمع بالخلافة بعدي ؟ » .

فوجموا عن الكلام فاعدت القول عليهم ثانياً فانبرى اليك الزبــير فرد عليك قائلاً :

« وما الذي يبعدنا عنها .. وليتها أنت فقمت بها ولسنا دونك في قريش ، ولا في السابقة ، ولا في القرابة » .

وطفقت تخبرهم عن نفسياتهم فقلت :

« أفلا أخبركم عن أنفسكم ؟ » .

فأجابوك : « إنا لو استعفيناك لم تعفنا » .

فخاطبت الزبير فقلت له :

«أما أنت يا زبير فوعق لقس[1] مؤمن الرضا ، كافر الغضب ، يوماً إنسان ، ويوماً شيطان ، ولعلها لو أفضت إليك ظلت يومك تلاطم بالبطحاء على مدمن شعير ! ! أفرأيت إن أفضت إليك فليت شعري من يكون للناس يوم تكون شيطاناً ، ومن يكون يوم تغضب ، وما كان الله ليجمع لك أمر هذه الأمة ، وأنت على هذه الصفة » .

لقد جرحت الزبير ، فوصمته بأنه يوم انسان ، ويوم شيطان ، وانه مبتل بالبخل والشح ، ويلاطم بالبطحاء على مد من شعير ، وإذا كانت نفسيته بهذه الصفة من الضعة والهوان فكيف ترشحه للخلافة ، وتجعله من اعضاء الشورى ، وهل هذا من النصيحة للأمة ، ومن الحيطة على أمرها ؟

وأقبلت على طلحة فقلت له !

« أقول أم أسكت »

فزجرك طلحة ورد عليك قائلا !

« إنك لا تقول من الخير شيئاً »

فأجبته وقد كشفت عن نفسيته واتجاهه قائلا :

« أما إني أعرفك منذ أصيبت إصبعك يوم أحد وائياً[2] بالذي حدث لك ، ولقد مات رسول الله «ص» ساخطاً عليك بالكلمة التي قلتها يوم أنزلت آية الحجاب . »

وإذا كنت تعترف بأنه قد متُّ وأنا ساخط عليه ، فكيف ترشحه للخلافة على المسلمين ، ونائباً عني في ادارة شؤون المسلمين ، مع أنك قد زكيت أعضاء الشورى ، وقلت فيهم : إن رسول الله مات وهو عنهم راض ، وتقول لطلحة

---

(١) الوعق : الفجر المتبرم ، اللقس : من لا يستقيم على وجه

(٢) وائياً : غاضباً .

ان رسول الله مات وهو ساخط عليك أليس هذا من التناقض والهجر في القول؟

وأقبلت على سعد بن أبي وقاص فقلت له :

« إنما أنت صاحب مقنب [1] من هذه المقانب ، تقاتل به ، وصاحب قنص وقوس ، وأسهم ، وما زهرة والخلافة وأمور الناس !! » .

إن سعد بن أبي وقاص – حسب اعترافك – رجل حرب ، وصاحب قنص وقوس ، فلا يصلح للخلافة ، وليس خليقاً بها هو وأسرته فكيف ترشحه للخلافة وتجعله من أعضاء الشورى ؟

وأقبلت على عبد الرحمن بن عوف فقلت له :

« أما أنت يا عبد الرحمن فلو وُزن نصف إيمان المسلمين بايمانك لرجح ايمانك به ، ولكن ليس يصلح هذا الأمر لمن فيه ضعف كضعفك ، وما زهرة وهذا الأمر !! » .

إن عبد الرحمن – حسب رأيك – يرجح ايمانه على نصف ايمان المسلمين ، ومن ايمانه الذي أضفيته عليه عدو له عن انتخاب العترة الطاهرة وتسليم قيادة الأمة بأيدي الأمويين وهم خصوم الإسلام واعداؤه ، وقد اعترفت بأنه ضعيف لا يصلح لادارة شؤون الخلافة لأنها تتوقف على الحزم وعلى قوة الشخصية ، وهو فاقد لذلك فكيف رشحته للخلافة ، وجعلته من أعضاء الشورى ؟؟ !!

والتفت إلى علي فقلت له :

« لله أنت لولا دعابة فيك ، أما والله لئن وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح ، والمحجة البيضاء » .

ومتى كانت لأمير المؤمنين الدعابة ، وهل أبقت نوائب الدهر وكوارث الزمن من دعابة له ، فقد صار قلبه موطناً للهموم ومركزاً للأحزان لغصب حقه ، ونهب تراثه ، وعزله عن الأمة .

وقد اعترفت بأنه لو ولي الأمر لحمل المسلمين على الحق الواضح وعلى

---

(١) المقنب : جماعة الخيل .

الحجة البيضاء ، فهل من الانصاف العدول عنه ، وجعله من اعضاء الشورى؛
فلا حول ولا قوة إلا بالله ، وهو المستعان على ما تصفون .

وأقبلت على عثمان فقلت له !

« هيها إليك كأني بك قد قلدتك قريش هذا الأمر لحبها إياك ، فحملت بني أمية ، وبني أبي معيط على رقاب الناس وآثرتهم بالفيء ، فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب ، فذبحوك على فراشك ذبحاً ، والله لئن فعلوا لتفعلن ، ولئن فعلت ليفعلن ، ثم أخذت بناصيته ، فقلت له : فاذا كان ذلك فاذكر قولي ».

ومع علمك بأنه يحمل بني أمية ، وبني أبي معيط على رقاب الناس ويؤثرهم بالفيء كيف ترشحه للخلافة فتعرض الأمة للنكبات والازمات ، وإذا عرفت من نفسه اللين والضعف ، ودرست خفايا ذاته ، ودخائل نفسه ، وهو بهذه الصفة من الانقياد بعواطفه ، كيف ترشحه للخلافة .

وليست قريش هي التي قلدته هذا الأمر وانما قلدته أنت وألبسته ثوب الخلافة ، واي حق لقريش في شؤون المسلمين وهم الذين نصبوا العداء للاسلام ، وحاربوا المسلمين .

فأي منطق هذا الذي أدليت به ؟؟

والتفت بعد حديثك إلى الجمهور فقلت لهم :

« إن رسول الله «ص» ، مات وهو راض عن هؤلاء الستة من قريش وقد رأيت أن أجعلها شورى بينهم ليختاروا لأنفسهم واحداً منهم . »

وأحكمت أمر الشورى ، وأبرمته فقد عهدت إلى السلطة التنفيذية بتحقيقه فقلت لأبي طلحة الأنصاري !

« يا أبا طلحة ، إن الله أعز الإسلام بكم فأختر خمسين رجلاً من الأنصار

« فالزم هؤلاء النفر بامضاء الأمر وتعجيله .. »

وعهدت إلى المقداد بن الأسود بتنفيذ الأمر فقلت له :

« إذا اتفق خمسة ، وأبى واحد منهم فاضربوا عنقه ، وإن اتفق أربعة

وأبى اثنان فاضربوا عنقيهما ، وإن اتفق ثلاثة منهم على رجل ، ورضي ثلاثة منهم برجل آخر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس ..

وما هو الموجب لضرب عنق المتخلف ، فهل أن ذلك ارتداد في الإسلام أو مروق عن الدين ، وعلم أمير المؤمنين مخططك في صرف الخلافة عنه فطفق يقول لعمه العباس :

« يا عم لقد عُدلت عنا » .

فنادى إليه العباس قائلاً :

« ومن أعلمك بذلك ؟ » .

وكشف له الامام الوجه في ذلك ، ودله على غايتك ، وقصدك قائلاً له :

« لقد قرن بي عثمان .. وقال : كونوا مع الأكثر ، ثم قال : كونوا مع عبد الرحمن بن عوف ، وسعد لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن ، وعبد الرحمن صهر لعثمان .. وهم لا يختلفون ، فاما أن يوليها عبد الرحمن عثمان ، أو يوليها عثمان عبد الرحمن .. »[1]

وقد كورث هذه الصورة المؤلمة قلب علي فراح يقول بعد سنين : « حتى إذا مضى ـ يعني عمر ـ لسبيله جعلها في جماعة زعم أني أحدهم ، فيالله وللشورى متى اعترض الريب فيّ مع الأول منهم حتى أقرن إلى هذه النظائر .. »

أجل والله متى اعترض الشك والريب فيه مع أبي بكر حتى صار يقرن بأعضاء الشورى ، وهل في المسلمين من هو مثله في دينه وتقواه ، وعلمه ، وجهاده ، وسابقته للاسلام ، وإنما قرن علي نفسه بأعضاء الشورى ليظهر تناقض أقوالك ، لأنك قلت غير مرة « لا تجتمع النبوة والخلافة في بيت واحد » ولهذا السبب انضم إلى أعضاء الشورى ليدل على مخالفتك لما قلت .

---

(١) تاريخ الطبري ٥/٣٥ .

آفات الشورى :

والشورى التي فتلت حبلها ، وفرضتها على المسلمين لم تستند إلى الأساليب الصحيحة ، ولم تبتن على الاسس الوثيقة ، وإنما غرضها ، وباعثها صرف الخلافة عن أمير المؤمنين ، وحرمان المسلمين من التمتع بعدله ، وعلمه ، وفقهه ، فهي لم تكن شورى واقعية ، وإنما انبعثت عن الأحقاد ، والأضغان ، وفيما يلي عرض لبعض آفاتها :

١ ـ ان هذه الشّورى التي فرضتها قد ضمت أكثر العناصر المعادية لأمير المؤمنين ، والحاقدة عليه ، ففيها طلحة التميمي ، وهو من أسرة أبي بكر الذي صرف الخلافة عنه ، وضمت الشورى عبدالرحمن بن عوف ، وهو صهر عثمان ، وهو بالذات من الحاقدين على أمير المؤمنين ، فقد كان من جملة الذين هجموا عليه داره وراموا في إحراقها ، لتخلفه عن بيعة أبي بكر ، وضمت الشورى سعد ابن أبي وقاص، وكان يحقد على الامام من أجل أخواله أمية الذين وترهم الامام في سبيل الإسلام ، ولهذا السبب تخلف عن بيعة علي التي قام عليها إجماع المسلمين، واحتوت الشورى على عثمان شيخ الاسرة الأموية التي عرفت بالعداء والنصب للاسلام وبالحقد على أهل بيتي .

لقد وضعت الشورى بهذا الإطار لئلا تؤول الخلافة إلى علي ، كل ذلك استجابة لعواطف قريش التي وترها الامام من أجل هذا الدين .

٢ ـ وحفلت هذه الشورى بإقصاء جميع العناصر الموالية لأمير المؤمنين فلم يجعل لها نصيب في الاختيار والانتخاب ، فلم ترشح أحداً من الأنصار وهم الذين نصروني وآووني أيام غربة الإسلام ومحنته . وقد أوصيت بهم ، وألزمت المسلمين بمراعاتهم . أليس الواجب كان يقضي بأن يكون للانصار ضلع أو يد في هذه الشورى ، وإنما أقصيتهم لأنك عرفت ميلهم مع علي ، كما أنك لم تجعل في هذه الشورى نصيباً لعمار بن ياسر ، وهو أحد المؤسسين في بناء الاسلام ، وكذلك أقصيت العبد الصالح أباذر شبيه المسيح عيسى بن مريم في تقواه وصلاحه لأنك عرفت أنه شيعة لعلي .

لقد قصرت الشورى على جميع العناصر المنحرفة عن الامام والمعادية له .

٣ ـ ومن غريب أمر هذه الشورى أنك جعلت الترجيح للجهة التي تضم عبد الرحمن بن عوف فيما إذا اختلف الأعضاء وغضضت الطرف عن علي فلم تعره أي اهتمام ، وهو صاحب المواهب والعبقريات ، الذي دافع عن هذا الدين بجميع طاقاته ، مضافاً إلى ورعه وتقواه وعلمه فأنت ترجح الغير عليه ، والله تعالى يقول : « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

٤ ـ ومن المؤاخذات التي تواجه هذه الشورى أنها أوجدت التنافس والصراع بين أعضائها ، فقد أصبح كل واحد منهم يرى نفسه أنه ند للآخر ، ولم يكونوا قبل ذلك على هذا الرأي ، فقد كان سعد بن أبي وقاص تابعاً لعبد الرحمن ، وعبد الرحمن تابعاً لعثمان ، والزبير شيعة لعلي وهو القائل : « والله لو مات عمر بايعت علياً » . ولكن الشورى قد نفخت فيه روح الطموح وحب الخلافة والرئاسة ففارق أمير المؤمنين وخرج عليه يوم الجمل .

وقد تولدت في نفوس القوم الأطماع والأهواء ، ورجا الخلافة وتطلبها من ليس أهلاً لها ، وقد ضجت بلاد المسلمين بالفتن والاختلاف ، واضطربت كلمة المسلمين ، وتصدع شملهم ، وقد صرح (كسرى العرب) معاوية بن أبي سفيان بهذا الواقع المرير ، وذلك في حديثه مع أبن حصين الذي أوفده زياد لمقابلته يقول له معاوية :

« بلغنى أن عندك ذهناً ، وعقلاً ، فأخبرني عن شيء أسألك عنه ؟

ـ سلني عما بدا لك ..

ـ أخبرني ما الذي شتت أمر المسلمين وملأهم ، وخالف بينهم

ـ قتل الناس عثمان

ـ ما صنعت شيئاً ..

ـ مسير علي اليك وقتاله إياك

ـ ما صنعت شيئا .

ـ مسير طلحة والزبير وعائشة ، وقتال علي إياهم .

ـ ما صنعت شيئاً .

ـ ما عندي غير هذا ..

ـ أنا أخبرك أنه لم يشتت بين المسلمين ، ولا فرق أهواءهم إلا الشورى التي جعلها عمر إلى ستة نفر ، وذلك أن الله بعث محمداً بالهدى ، ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

وأضاف يقول بعد ذلك ، واستخلف ـ يعني أبو بكر ـ عمر ، فعمل بمثل سيرته ، ثم جعلها شورى بين ستة نفر فلم يكن رجل منهم إلا رجاها لنفسه ، ورجاها له قومه ، وتطلعت إلى ذلك نفسه ، فلو أن عمر استخلف عليهم ، كما استخلف أبو بكر ما كان في ذلك خلاف .. »[1]

هذه بعض آفات الشورى التي فرضتها على المسلمين ، وقد فتحت باب الفوضى والنزاع بين أبناء الأمة ، وتركت الطلقاء وأبناءهم يتسابقون إلى ميدان الخلافة ، وينزون على منابر المسلمين ، ويستأثرون بالفيء ، وينكلون بأخيار المسلمين وصلحاءهم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، وهو المستعان على ما تصفون.

الانتخاب المزيف :

وأحاط البوليس بأعضاء الشورى ، وأرغمهم على الاجتماع لينفذوا وصيتك، وتداول الأعضاء الحديث فيما بينهم عن من هو أحق بالأمر وأولى به لقابليته ، وقدرته على إدارة شؤون الخلافة ، وانبرى إليهم إبو الحسن فأخذ يذكرهم بسابقته إلى الإسلام ، ويدلي عليهم بمواهبه ، ويحذرهم مغبة ما يحدث في البلاد من الفتن والاضطراب إن هم عدلوا عنه قائلاً لهم :

« لم يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق ، وصلة رحم ، وعائدة كرم ، فاسمعوا قولي ، وعوا منطقي ، عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا اليوم تنتضي فيه السيوف ، وتخان فيه العهود حتى يكون بعضكم أئمة لأهل الضلال ، وشيعة لأهل

---

(١) العقد الفريد ٣/٧٣ ـ ٧٤ .

الجهالة »[1].

ولم يعوا منطق الامام فانطلقوا مدفوعين وراء أطماعهم ، وأهوائهم ، وقد كشف الزمن بعد حين صدق ما أخبر به علي ، فقد شهروا السيوف وأراقوا دماء المسلمين ، وخانوا العهود ليصلوا إلى صولجان الحكم والسلطان ، وصار بعضهم أئمة لأهل الضلال ، وشيعة لأهل الجهالة .

وكثر النقاش ، وعم الجدل ، فلم يسفر الاجتماع عن أية نتيجة ، وأخذت فترة الزمن التي حددتها تضيق فأشرف عليهم أبو طلحة يهددهم قائلاً :

« والذي ذهب بنفس عمر . لا أزيدكم على الأيام الثلاثة التي أمرت » .

وراح الأجل الذي ضربته للاختيار يتقلص ، وآراؤهم بين مد وجزر لا توصلهم إلى شاطىء الاختيار إلى أن فاجأهم عبد الرحمن بما رآه حلاً قائلاً :

« أيكم يخرج منها نفسه على أن يوليها خيركم » .

فبهتوا جميعاً لحله الكسيح الغير الموفق ، إذ كيف يتنازل أحد منهم عن حقه ، ويجعل مقدراته بيد الآخرين . وتمهل عبد الرحمن قليلاً فقال :

« أنا أنخلع منها » .

وطفق عثمان يؤيد هذه الخطوة قائلاً :

« أنا أول من رضي » .

وتابعه القوم سوى علي فإنه علم بما دبر له ، وقد وهب سعد بن أبي وقاص حقه لعبد الرحمن ، فصار عبد الرحمن صاحب القول الفصل ، والحكم العدل ، واضطرب علي فقال له :

« اعطنى موثقا لتؤثرن الحق .. ولا تتبعن الهوى ، ولا تخص رحم ، ولا تأل الأمة » .

« على ميثاق الله » .

واستشار عبد الرحمن القرشيين في الأمر فزهدوه في علي ، وحببوا له عثمان ،

---

(1) نهج البلاغة محمد عبده ٢ - ٣١ .

فدفعوه إلى اختياره ، وانتخابه .

وحلت الساعة الرهيبة التي تغير فيها مجرى التأريخ ، فقال عبد الرحمن لابن أخته ميسر : إذهب فدع لي علياً وعثمان ، فانطلق ميسر فأحضرهما ، وحضر المهاجرون والأنصار ، وازدحمت الجماهير في الجامع لتأخذ القرار الحاسم ، فالتفت عبد الرحمن إلى علي قائلاً :

« هل أنت مبايعي على كتاب الله ، وسنة رسوله ، وفعل أبي بكر وعمر؟»

فرمقه علي شزراً ، وأجابه بمنطق الايمان ، ومنطق الأحرار قائلاً :

« بل على كتاب الله ، وسنة رسوله ، واجتهاد رأيي » .

ولو كان ابن أبي طالب يروم الملك ، ويبغي السلطان ، لأجابه إلى ذلك ، ولكنه آثر رضاء الله ، والاتباع للحق ، وقد علم غاية عبد الرحمن في هذا الشوط أن الامام لايجيبه إليه لأنه لا يداهن في دينه .

إن مصدر التشريع في الإسلام هو كتاب الله ، والسنة فعلى ضوء نهجهما تسير الدولة ، وتعالج مشاكل الرعية ، وليس فعل أبي بكر ، وفعلك يا عمر من مصادر التشريع ، على أن سياستك تختلف عن سياسة أبي بكر سواء في السياسة المالية وغيرها ، فعلى أي منهج من سياستك يسير ربيب الوحي ، وباب مدينة العلم ، وهو غني أي غناء عن سيرتك وسيرة صاحبك .

واختلى ابن عوف بعثمان فكاشفه بما اشترطه في دستور الدولة الجديد .. فلباه عثمان مبتهجاً ، وبايعه على كتاب الله ، وسنة رسوله ، وعمل الشيخين .

وقبل الفجر من اليوم التالي ، سمع الناس النداء « الصلاة جامعة » فانحدروا صوب المسجد زرافات ووحداناً ، فملأوا رحباته ، وانتشرت في الفضاء جموع الناس ينتظرون إشراقة الشمس على الرئيس الجديد الذي يحقق آمالهم وأمانيهم .

وولى عبد الرحمن وجهه شطر المسجد الحرام . والناس سكوت ينتظرون الساعة الحاسمة التي يتقرر بها المصير الحاسم ، فلم تطل بهم الصلاة حتى اعتلى عبد الرحمن المنبر . ووجم الناس ، وتقطعت أنفاسهم في صدورهم كأنما على رؤوسهم الطير ، وانبرى عبدالرحمن فقال :

« إن الناس أحبوا أن يلحق أهل الأمصار بأمصارهم، وقد عرفوا أميرهم».

وانطلق سعيد بن زيد رافعاً عقيرته قائلاً :

« إنا نراك لها أهلاً » .

فقال عبد الرحمن : بل أشيروا عليّ بغير هذا ، وأضاف يقول :

إني قد سألتكم سراً وجهراً ، فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين : إما علي وإما عثمان .

فجاء النداء عالياً من عمار بن ياسر الطيب ابن الطيب «إن أردت أن لا يختلف الناس فبايع علياً » .

ورفع الناس أصواتهم بالتأييد لعمار قائلين :

« بايع علياً » .

وجاء من بين الأصوات صوت المقداد .

« صدق عمار . وإن بايعت علياً سمعنا وأطعنا » .

وانبرى للدفاع عن الأمويين وعن القوى المنحرفة عن الإسلام دعي لعثمان ربطه وإياه ثدي امرأة هو عبـــد الله بن أبي سرح أخو عثمان من الرضاعة فخاطب عبد الرحمن :

« ياعبد الرحمن إن أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان » .

وأيده عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي فقال :

« صدق إن بايعت عثمان سمعنا وأطعنا » .

وانبرى إليه ابن الإسلام البار عمار بن ياسر فرد على ابن سرح مقالته قائلا:

« متى كنت تنصح للاسلام ؟ » .

وصدق عمار متى كان ابن ابي سرح يقيم للاسلام وقاراً أو ينصح المسلمين ، ويهديهم إلى سواء السبيل ، وقد كان من أعدى الناس لله ولرسوله ، ولما فتحت مكة أمرت بقتله وإن كان متعلقاً باستار الكعبة [1] . وذلك لما لاقيت منه من

---

(١) الاستيعاب ٢/٣٧٥ .

الأذي والاضطهاد أمثل ابن أبي سرح يتدخل في شؤون المسلمين ؛ ولكنك أنت الذي مهدت الطريق له ولأمثاله بالتدخل في أمورهم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وتكلم بنو هاشم ، وبنو أمية ، واحتدم النزاع والجدال بين الأسرتين ، فانطلق ابن الإسلام البار عمار بن ياسر فخاطب القوم قائلاً :

« أيها الناس إن الله أكرمكم بنبيه ، وأعزكم بدينه ، فإلى متى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم !! » .

لقد كان كلام عمار حافلة بمنطق الإسلام الذي وعاه قلبه الطاهر ، فإن قريشاً وسائر العرب إنما أعزها الله بدينه ، وأسعدها برسوله ، أفهل من الانصاف والعدل أن تصرف الخلافة عن أهل بيته ، وتضعون تارة في تيم وأخرى في عدي ، وثالثة في أمية التي عملت جاهدة على حربي ومحو هذا الدين ، وقلع جذوره ، ومحو سطوره .

وانبرى لعمار رجل من مخزوم قائلاً له :

« لقد عدوت طورك يابن سمية .. وما أنت وتأمير قريش لأنفسها » .

لقد أترعت نفس هذا الرجل بروح الجاهلية فراح يندد بابن سمية الذي حالف الحق ، ونصر الإسلام ، وحامى عن هذا الدين ، ويرى أنه تعدى طوره ، وتجاوز حده لتدخله في شؤون قريش ، وأي حق لقريش في هذا الأمر وهي التي لم تترك وسيلة من وسائل الهجوم والحرب علي وعلى المسلمين إلا اعتمدت عليها ، فليس لقريش أي حق في التدخل في أمور المسلمين وشؤونهم ، لو كان هناك منطق أو حساب عند القوم .

وكثر الجدال والنزاع بين القوم فأهاب سعد بن أبي وقاص بعبدالرحمن يحثه على تعجيل الأمر لئلا ترجع إلى القوم حوازب أحلامهم فيفسد مخططهم فقال له :

« يا عبد الرحمن افرغ قبل أن يفتتن الناس » .

وللمرة الثانية ، دعا عبدالرحمن علياً وعثمان ليسمع منهما الجواب الحاسم على شرطه فقال لعلي :

« هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وسيرة الشيخين » .

فأجابه علي بكل صراحة :

« بل على كتاب الله ، وسنة رسوله ، واجتهاد رأيي » .

فأعرض عبد الرحمن عنه ، والتفت إلى عثمان فاشترط عليه مثل ذلك فاندفع يقول :

« نعم . نعم » .

فصفق عبد الرحمن بكفه على يد عثمان وقال :

« اللهم إني قد جعلت ما في رقبتي من ذاك في رقبة عثمان » .

وعلا الصخب والضجيج بين المسلمين فقد فازت أمية بالحكم ، وآلت أمور الخلافة الإسلامية بأيدي غلمان الأمويين ليستأثروا بالفيء ، ويتخذوا عباد الله خولاً ، ومال الله دولاً .

وانطلق أمير المؤمنين فخاطب ابن عوف قائلاً :

« والله ما فعلتها إلا لأنك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه ، دق الله بينكما عطر منشم » .

والتفت إلى القرشيين فقال لهم :

« ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا ، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون » .

واندفع ابن عوف الذي خان الله ورسوله ، وخان المسلمين فجعل يهدد الامام قائلاً :

« ياعلي لا تجعل على نفسك سبيلا »

وغادر المظلوم المهتضم الامام علي المسجد وهو يقول :

« سيبلغ الكتاب أجله » .

وارتعدت مفاصل عمار ، وبلغ به الألم إلى قرار سحيق ، وطفق يخاطب ابن عوف قائلا له :

« يا عبد الرحمن..أما والله لقد تركته ، وانه من الذين يقضون بالحق ، وبه

كانوا يعدلون .. »

وخرج المقداد وهو مثقل الخطا قد أترعت نفسه بالألم والحزن وهو يقول بنبرات الأسى :

« تالله ما رأيت مثل ما أتى إلى أهل هـــذا البيت بعد نبيهم !! واعجبا لقريش !! لقد تركت رجلاً ما أقول ، ولا أعلم أن أحـداً أقضى بالعدل ، ولا أعلم ، ولا أتقى منه : أما لو أجد أعواناً .. »

وقطع ابن عوف كلامه قائلا :

« اتق الله يامقداد ، فإني خائف عليك الفتنة » [1]

وخرج عثمان من المسجد أميراً متوجا تحف به آل امية ، وآل أبي معيط ، وتصفق له القوى المنحرفة عن الإسلام ،والحاقدة عليه ، وتصاب القوى الإسلامية بالذل والأسي والهوان .

لقد كان تدبيرك الرائع في صرف الخلافة عن أهل بيتي بهـــذا الأسلوب عاد بالأضرار البالغة على الاسلام والمسلمين .

اعتراف عمر :

ويصارح عمر النبي «ص» بغلظته المألوفة فيقول له : « ان تعييني لعثمان بطريقة غير مبـــاشرة لأني صممت على صرف الخلافة عن علي وولده من بعده ، وفكرت كثيراً في قابلية المهاجرين والأنصار فلم أر مَن به الكفاءة والمنفعـــة ليقف سداً حائلاً دون تطاول بني هاشم وشموخهم سوى بني أمية لكثرة مالهم ، ووفرة رجالهم ، وكثره قابلياتهم على المكر والخداع ، بالاضافة لعـــدائهم الموروث من أبيهم عبد شمس لأخيه هاشم ، وانتقاله إلى أحفاده ، وقد كان

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١/١٩٤

أبو سفيان وسائر بني أمية من ألد أعدائك ، وقد اعتنقوا الأسلام كرهاً ونفاقاً، وقد جعلتهم من المؤلفة قلوبهم .

إن تعييني لعثمان خليفة من بعدي بجعل الشورى بين ستة نفر لم يكن ابتكاراً مني ، أو لاجتهادي برأيي ، فقد سبقني إلى ذلك الخليفة الأول أبو بكر عندما أراد تعيين خليفة من بعده فقد استدعى صحبه كل واحد منهم على انفراده ليستشيرهم في أمر الخلافة حتى يكتسب اختياري صفة شرعية ، فدعا إليه عبد الرحمن بن عوف يسأله عن الخليفة من بعده قائلاً :

« أخبرني عن عمر » .

وقد عرف ابن عوف مراده فقال له :

« يا خليفة رسول الله . هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل ولكن فيه غلظة . »

فرد عليه أبو بكر قائلاً :

« ذلك لأنه يراني رقيقاً . ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً مما هو عليه . يا أبا محمد . إني قد رمقته فرأيتني إذا غضبت على الرجل في شيء أراني الرضا عنه . وإذا لنت له أراني الشدة عليه » .

وهمّ أن يقوم ابن عوف فقال له أبو بكر محذراً :

« يا أبا محمد .. لا تذكر مما قلت لك شيئاً .. »

ثم دعا إليه عثمان بن عفان يسأله قائلاً :

« يا أبا عبد الله .. اخبرني عن عمر »

« أنت أخبر به يا خليفة رسول الله » .

فأكد عليه بأن يخبره عني ، فعرف عثمان غايته ، وأدرك قصده فقال له :

« اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته ، وان ليس فينا مثله .. »

فتفرجت أسارير الشيخ وراح يقول له :

« رحمك الله يا أبا عبد الله .. لو تركت عمر لما عدوتك » .

ثم أوصاه أن يكتم ما دار بينهما من الحديث ، ولما اشتد به المرض وخشي

أن يموت قبل أن يعهد إليّ بالأمر بعث إلى عثمان بن عفان يستكتبه العهد ، فلما جاء راح يملي ما هذا نصه :

« هذا ما عهد به عبد الله إلى المسلمين . آخر عهده بالدنيـــا وأول عهده بالآخرة . في الساعة التي يبر فيها الفاجر ، ويسلم فيها الكافر » .

ثم وهن منه الصوت قبل أن يتم املاؤه ، وأغمي عليه ، فرفع ابن عفان يده عن الصحيفة وأخـــذ يتطلع قلقاً نحو صاحبه ، فإذا الرجفة تأخـــذه إذ يراه مهيضاً . وقد خشي أن يكون الخليفة قد فارقته الحياة قبل أن يتم عهده ، وخاف من الناس أن يختلفوا على الأمير بعده ، فسارع يكتب متمماً الوصية بما نصه :

« أما بعد فإني قد استخلفت عليكم ابن الخطاب » .

وأفاق أبو بكر بعد قليل فاطمأن عثمان وقرأ عليه ما كتب فقال له أبوبكرمبتهراً :

« أنى لك هذا ؟ »

« ما كنت لتعتدوه »

« أراك خفت أن يختلف الناس إن اقتلتت نفسي في غشيتي » .

« نعم يا خليفة رسول الله » .

« الله أكبر . أصبت فجزاك الله خيراً عن الإسلام اتم كتابك » .

وعاود الإملاء ، وأبرم بعد قليل العهد الذي أراده أبو بكر فتم لي الأمر بعده.

إن أبا بكر هو الذي رشح عثمان للخلافة من قبل ، إذ قال له :

« لو تركت عمر لما عدوتك يا أبا عبد الله » .

وان تعييني لعثمان عن طريق خفي كان رداً لجميله ، ومقابلة إحسانه بإحسان.

ولغلوي في الكراهية لعلي فقد صممت على إبعاد الخلافة عنه وحرمانه منها حتى لو لم يكن عثمان موجوداً لرشحت غيره ، فقد تمنيت أن أوصي بها لأبي عبيدة بن الجراح لو كان حياً .. ووصفته بأنه أمين هذه الأمة ، أو أوصي بها لسالم مولى أبي حذيفة لو كان حياً ، ونعته بأنه شديد الحب لله .. وسالم هذا لم

يكن من العرب ولا من قريش ، وإنما هو أعجمي ، وكان عبداً مملوكاً لزوجة أبي حذيفة بن عتبة ، مع علمي بعدم جواز انعقاد الامامة لمثله ، وقد أمرت ان يصلي صهيب الرومي على جنازتي ، وان يصلي بالناس الصلوات الخمس ، كل ذلك لأغض من كرامة علي وأن لا يصل إلى مركز الخلافة ، وذلك لبغض قريش له ، وحقدها عليه ، فقد راعيت عواطفها ، وحفضت اواصر الرحم ، ففتلت حبل الشوري لإبعاده عن امر الخلافة والتحكم في شؤون المسلمين .

ويتأثر النبي «ص» من هذه الصراحة ، ويبهر الجميع من هـــذا القول الذي كشف ابو حفص الغطاء عن حقيقته .

الرسول «ص» مع عثمان

وبعد ما أنهى النبي (ص) سؤاله مع الخليفة الثاني، واستمع الجميع إلى الاتهامات الموجهة حوله، واعترافه بها، جيء بالخليفة الثالث عثمان بن عفان فأوقف بين يدي النبي (ص) فانبرى (ص) إليه قائلاً :

وأنت يا عثمان كيف قبلت الخلافة بهذا الشكل الهزيل ؟ وكيف وافقت على أن تكون ممثلاً عني، وحاكماً على الأمة ؟ مع وجود من هو أعلم منك وأفضل وأقدر على إدارة دفت الحكم وتحقيق العدل بين الناس .

رمن المؤسف أنك لما قمت بالأمر « قمت نافجاً حضنيك بين نثيلك ومعتلفك، وقام معك بنو أبيك يخضمون مال الله خضمة الابل نبتة الربيع إلى أن انتكث عليك عملك، وكبت بك بطنتك »[1] فكانت الفتنة الكبرى التي هزت أرجاء العالم الإسلامي، وتركت المسلمين يتخبطون في ظلام لا بصيص فيه من النور .

وحينما حباك ابن عوف بالخلافة خرجت من المسجد، وأتباعك يهللون لك ويكبرون ... وبنو أمية يهتفون بحياتك قد غمرتهم المسرات لأنك الواضع للحجر الأساسي لبناء دولتهم المرتقبة، والموطد لكيانها، وقد أخبرت عنها متنبئاً، يحكمها ثلاثون من بني أمية، وهم كما وصفتهم من التمرد والتوغل بأموال الناس ودمائهم، وأعراضهم، فقلت فيهم « إذا بلغ آل أبي معيط ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً وعباد الله خولا » وقد تحقق ذلك على مسرح الحياة كما أخبرت به، فقد كانوا حكاماً جائرين، وجبابرة طاغين، خارجين عن الدين، متمرسين على الفسق والفجور، وحائدين عن العدل، يأمرون بالمنكر، وينهون عن المعروف

---

(١) قطعة من الخطبة الشقشقية التي يشجب الامام فيها سيرة الخلفاء، ويدلي بمظلوميته، وتعتبر من أهم خطب الامام التي كشفت الغطاء عن الخلفاء .

قد تنكر لكل ما جاء به الاسلام من المثل العليا ، والقيم الانسانية الرفيعة، وعطلوا حدود الله ، وعبثوا في حرمات المسلمين .

ودبّ الفساد ، وانتشر الظلم والجور في جميع أرجاء البلاد حتى صار كل مسلم غير آمن على عرضه ، وماله ، ودمه ، واندكت الحياة الإسلامية ، وبلغ الظلم أقصاه .

ولنعد إلى سياستك الرعناء التي جافت الكتاب ، وابتعدت عن سنن العدل، وطريق الحق ، وفيما يلي عرض لذلك :

السياسة المالية :

إن السياسة المالية التي شرعها الإسلام تقضي بصرف أموال الخزينة على مصالح المسلمين وعلى مكافحة الفقر ، ومطاردة البؤس ، وإبعاد الحرمان ، والقيام بإعالة الضعيف والإنفاق على العاجز ، وسد خلة كل محتاج من ذوي البؤس ، والزمن ، وتعاهد الأرامل والأيتام ، والإنفاق عليهم بما يحتاجون ، وليس لرئيس الدولة أن يصطفي من أموال المسلمين أي شيء وليس له أن ينفق منها قليلاً أو كثيراً في غير صالح المسلمين ، وقد كانت هذه سيرتي حينما كنت حياً .

ولكنك جافيت سنتي ، وعدلت عن طريقتي ، فاستأثرت بالفيء، وسلطت بني أمية وآ ل أبي معيط على الخزينة المركزية يهبون منها لمن شاؤوا ، ويمنعون عنها من شاؤوا كأنها ملك لهم ، وقد قاموا بدورهم باستغلال المسلمين، والتلاعب بمقدراتهم ، وقد تكدست عندهم الأموال الضخمة فحاروا في صرفها وفي إنفاقها ، وأخذوا يسرفون في الملذات ، ويفعلون كل ما حرم الله .

وقد أدت سياستك الملتوية إلى نشر الفاقة والحرمان بين صفوف المجتمع الإسلامي ، وإليك أرقاماً عن هباتك إلى الأمويين وإلى غيرهم من الوجوه والأعيان .

أبو سفيان

وفي أول يوم من حكمك أخذ بنو امية يتوافدون عليك من كل حدب وصوب، وعلى رأسهم شيخهم أبو سفيان قائد القوى المشركة في موقعة بدر، وأحد والأحزاب فقد جاء يتعثر بخطاه لعمى بصره وبصيرته ليخطط دستور دولتك الجديدة رافعاً عقيرته بقوله: «يا بني امية تلاقفوها تلاقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان مازلت أرجوها لكم، ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة ..»

وخاطبك بقوله: «اللهم اجعل الأمر أمر جاهلية، والملك ملك غاصبية، واجعل أوتاد الأرض لبني أمية.»[1] ولم تنهره على كلامه، ولم تعاقبه على هفواته، وإنما رحبت به، وأدنيته منك ومنحته مائتي الف من بيت المال[2].

فبأي كتاب أم بأية سنة تهب أموال المسلمين إلى هذا المنافق الذي أترعت نفسه بروح الجاهلية، ولم يؤمن بالله طرفة عين، فهل هذه الأموال ملك لك حتى تنفقها على هذا البغي الأثيم ؟!

عبد الله بن سعد

وأعطيت عبد الله بن سعد أخاك من الرضاعة جميع ما أفاء الله من فتح افريقية بالمغرب من طرابلس الغرب إلى طنجة، ولم تشرك في عطائه أحداً من المسلمين[3].

وعبد الله بن سعد هو أحد اعلام المشركين، واحد الذين كفروا بالإسلام وبغوا عليه، كما سنوضح حاله الى المجتمع. فبأي وجه ساغ لك أن تهبه هذه الأموال الطائلة التي رصدت للمسلمين، لتنفق على تطوير حياتهم وعلى نشر السعة

(١) تاريخ ابن عساكر ٦ — ٤٠٧
(٢) شرح النهج ١ — ٦٧.
(٣) شرح النهج ١ — ٦٧.

في ربوعهم .

سعيد بن العاص

ووهبت سعيد بن العاص مائة الف درهم [1] وهو من فساق الأمويين ومن فجارهم ، وكان ابوه من اعلام المشركين قتله علي يوم بدر [2] . فعلى اي وجه اعتمدت في إعطائك له هذا المال الكثير ، وهو ليس بأهل لأن يمنح أي شيء!

الوليد بن عقبة

وسلطت الوليد بن عقبة على خزانة الكوفة فاستقرض منها ما شاء ، ثم طالبه عبد الله بن مسعود خازن بيت المال فكتب الوليد إليك بذلك فكتبت إلى ابن مسعود « إنما أنت خازن لنا فلا تحرض للوليد فيما أخذ من المال » فلما انتهى إليه كتابك طرح المفاتيح وقال : « كنت أظن أني خازن للمسلمين فأما إذا كنت خازناً لكم فلا حاجة لي في ذلك » . ثم استقال من منصبه [3]

هل ان هذه الأموال ملك بني أمية ولآل أبي معيط حتى تهبها لهم ، أو ليست هي أموال المسلمين فكيف ساغ لك أن تبددها ؟ وتصرفها بغير وجه مشروع ؟؟!!

مروان بن الحكم

ومروان بن الحكم هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون [4] . وكان رأساً من رؤوس المنافقين ، ووجهاً من وجوه أهل الضلالة ، ما آمن بالله ، ولا دخل

---

(١) الأنساب ٥ - ٥٨
(٢) أسد الغابة ٣ - ٣١٠
(٣) الانساب ٥ - ٣٠
(٤) مستدرك الحاكم ٤ - ٤٧٩ .

الإسلام في قلبه ، وقد جعلت هـذا الخبيث وزيراً لك ، ومستشاراً لك في جميع أمورك لا تعدو رأيه ، ولا تخالف أمره فكان في الحقيقـة والواقع هو الخليفة لا أنت ، وبأي وجه اعتمدت عليه فهل له رأي أصيل ، وعقل ثاقب ، ومكانة بين المسلمين ؟ . لقد سلطته على أموال الله فأخذ يتصرف فيها تصرف الملاك في أملاكهم ، ونسوق إليك الأموال الضخمة التي وهبتها له ؟ .

١ ــ أعطيته خمس غنائم أفريقيـة ، وقد بلغت خمس مائة الف دينار ، وقد أثار ذلك سخط المسلمين ، وتذمرهم ، وقد هجاك بذلك عبد الرحمن بن حنبل بقوله :

سأحلف بالله جهـد اليميـ	ـن ما ترك الله أمراً سدى
ولكن خلقت لنا فتنة	لكي نبتلي لك أو تبتـلى
فإن الأمينين قد بينـا	منار الطريق عليه الهدى
فما أخـذا درهماً غيلة	وما جعلا درهماً في الهوى
دعوت اللعـين فأدنيته	خلافا لسنة من قد مضى
وأعطيت مروان خمس العبا	د ظلماً وحميت الحمى[1]

٢ ــ أعطيته مائة الف من بيت المال ، فجـاءك زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يديك ، وهو غارق في البكاء ، فنهرته وقلت له :

« اتبكي إن وصلت رحمي ؟ »

فأجابك بلا مواربة ولا مداهنة قائلاً :

« ولكن أبكي لأني أظنك أنك أخذت هذا المال عوضاً عما كنت أنفقته في سبيل الله في حياة رسول الله (ص) لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً .. »

وقد دلك على الخير ، وأرشدك إلى الهدى فلم تستجب له ، فزجرته وصحت

---

(١) تأريخ أبي الفداء ١ ــ ١٦٨

به قائلاً : « الق المفاتيح يابن أرقم فإنا سنجد غيرك »[1]

٣ — ومن هباتك لهذا الوزغ أنك اقطعته فدكا ، ووهبتها له [2] وقد كنت منحتها لبضعة سيدة نساء العالمين فاطمة ، فظن عليها أبو بكر ، واستلبها منها ، وروي عني أني قلت إنها صدقة للمسلمين ، وعلى كلا الحالين فبأي وجه ساغ لك أخذها واعطائها لمروان .

هذه بعض عطاياك له ، فأي خدمة أسداها مروان للأمة حتى يستحق هذه الأموال الطائلة ، وأي مأثرة صدرت منه حتى تمنحه هذا الثراء العريض ؟ ؟.

الحارث بن الحكم

وأجزلت بالعطاء الى الحارث بن الحكم فأعطيته ثلاثمائة الف درهم[3] ووردت إبل الصدقة الى المدينة فوهبتها له [4] واقطعته سوقاً في يثرب يعرف بتهروز بعد أن تصدقت به على جميع المسلمين[5] بماذا استحق الحارث هذه الأموال الطائلة ؟ فهل أسدى خدمة عامة للمسلمين ؟ وهل قام بعمل ايجابي نفع به المسلمين حتى تمنحه هذه الأموال الطائلة ؟ .

وبأي وجه منحته إبل الصدقة ، ويجب أن تعرف على الجهات التي خصت لها ، وليس الحارث من مصاديقها ، وكيف اقطعته السوق ، وقد تصدقت به على جميع المسلمين .. ان هذه الهبات لا تتفق مع الشريعة ، وتتنافى مع مصالح الأمة .

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١ — ٦٧

(٢) تاريخ أبي الفداء ١-١٦٨ ، المعارف ص ٨٤

(٣) انساب الاشراف ٥ — ٥٢

(٤) انساب الاشراف ٥ — ٢٨

(٥) شرح النهج ١ — ٣٧

ونفيت هذا الرجس الخبيث الى الطائف ، وقلت لا يساكنني [1] وذلك لما لاقيت منه من الاعتداء والاستهانة بكرامتي ، وقد حارب الاسلام ، ومنع الناس من الدخول في دين الله [2] وقد حذرت المسلمين منه فقلت فيه : « إن هـــذا سيخالف كتاب الله وسنة نبيه ، وستخرج من صلبه فتن يبلغ دخانها السماء » فقال لي بعض أصحابي : هو أقل وأذل من أن يكون هذا منه ، فقلت لهم بلى وبعضكم يومئذ شيعته[3]

وظل هذا الخبيث منفياً طيلة خلافة الشيخين ، وقد توسطت عندهمـــا في إطلاق سراحه فلم يستجيبا لك ، وظل مبعداً منفياً يلاحقه الخزي والعار .

ولما آل الأمر إليك أصدرت قرارك بالعفو عنه فقفل راجعاً الى يثرب وهو يسوق تيساً ، والناس ينظرون الى رثة ثيابه وسوء حاله فدخل دارك ثم خرج من عندك وقد كسوته جبة خز ، وطيلسان [4] وأعطيته مائة الف [5]

ولم تكتف بهذا الإحسان عليه ، فقد وليته صدقات قضاعة ، وقد بلغت ثلاث مائة الف درهم فوهبتها له [6] .

لقد آويت طريدي ،ومنحته أموال الصدقة التي جعلها الله للفقراء والمحرومين وذوي الحاجة فكيف ساغ لك ذلك ، والأمر لله ، وهو المستعان على ماتصفون .

هذه بعض هباتك وعطـــاياك للأمويين ، ولآل أبي معيط ، وقد خالفت بذلك سنتي ، وصددت عن شريعتي فإني لم أجز بأي حال لولي الأمر أن ينفق

---

(١) انساب الاشراف ٥ – ٢٨
(٢) تأريخ ابن كثير ٨ – ٧٠
(٣) كنز العمال ٦ – ٣٩
(٤) تأريخ اليعقوبي ٢ – ٤١
(٥) المعارف ص ٨٤
(٦) انساب الأشراف ٥ – ٢٨

أموال المسلمين على ارحامه وعلى المحسوبين ، وانما يجب أن تصرف حسب المنهج الذي قررته الشريعة .

دفاع عثمان :

يا رسول الله اني أوصلت رحمي ، وأنفقت عليهم الأموال الطائلة مبتغياً في ذلك الأجر والثواب ، وليس في ذلك علي مأثم أو مخالفة للشرع ، فقد ندبت إلى صلة الأرحام ، وحثثت على الإحسان إليهم والبر بهم ، وقد اندفعت بذلك إلى رضاء الله ، ومغفرته فأي بأس علي في ذلك ؟ .

الجواب عنه:

إن هـــذا منطق مفلوج لا يتفق مع الشرع ، ولا يلتقي مع سنن الإسلام ، وذلك لوجهين : «الأول» إن هذه الأموال التي أنفقتها عليهم لم تكن من أموالك الخاصة حتى يباح لك التصرف فيها كيفما شئت ، وإنما هي أموال المسلمين فيجب أن تنفق على مصالحهم وسائر شؤونهم ، وليس لرئيس الدولة أن يتصرف فيها بقليل ولا بكثير ، وقد كانت سيرتي على ذلك ، وقد اقتدى بي الامـــام أمير المؤمنين حينما آل إليه أمر المسلمين فإنه لم يصطف لنفسه من أموال المسلمين شيئاً، ولم يخص أحداً من أقربائه بشيء منها ، فقد ورد عليه أخوه عقيل من يثرب وهو بائس مضطر قد أخذ منه الفقر أي مأخذ فطلب من أخيه علي أن يوفي عنه دينه فقال له الامام :

— كم دينك ؟
— أربعون الفاً .
— ما هي عندي ، ولكن أصبر حتى يخرج عطائي فادفعه إليك .
— بيوت المال بيدك وأنت تسوفني بعطائك ؟

ـ أتأمرني أن أدفع إليك أموال المسلمين، وقد أئتمنوني عليها [1].

هذا هو منطق الإسلام، وهذا هو عدله، وهذه هي مساواته، ان الواجب على من يلي أمور المسلمين أن لا يفرق بين القريب والبعيد في العطاء وفي غيره.

« الثاني » ان أسرتك التي بررت فيها، وان الذوات التي أغدقت عليهم بالثراء العريض إنما هم خصوم الإسلام وأعداؤه، وقد قلت لأبي العاص بن أمية: « إنكم الشجرة الملعونة في القرآن » [2].

وأنت تعرف دوافع أسرتك، وما انطوت عليه نفوسهم من العداء للاسلام، والحقد عليه، وانها لم تؤمن بالله طرفة عين.

أفيصح لك أن تهب أموال المسلمين إلى أعدائهم وخصومهم؟ وقد حرم الله مودة المعادين له، وحرم مواصلتهم قال تعالى: « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم » [3].

لقد كنت شديد الحب لاسرتك، لم تألو جهداً في تقوية نفوذهم، واعلاء أمرهم، وبلغ من عظيم حبك لهم انك قلت: « لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيتها بني أمية حتى يدخلوا عن آخرهم » [4] ولم يكفك أنك أعطيتهم خزائن بيت مال المسلمين، وسلطتهم على الفيء وجميع المقدرات الاقتصادية، انك تريد أن تهبهم مفاتيح الجنان ليتبوؤن منها حيثما شاؤوا، وهيهات فإنه لا ينالها إلا المتقون المتحرجون في دينهم.

---

(١) أسد الغابة ٣/٤٢٣.

(٢) الدر المنثور ٤/١٩١ رواه عن عائشة

(٣) سورة المجادلة: آية ٢٢.

(٤) مسند احمد ١/٦٢.

هباتك للأعيان :

ووهبت أموال المسلمين بسخاء إلى الأعيـــان والوجوه ، وذوي النفوذ ممن تخشى سطوتهم عليك ، فقد وصلت طلحة بمائتي ألف دينار [1] وكانت لك عليه خمسون ألفاً فوهبتها له [2] ووصلت الزبير الذي ثار عليك ، بستمائة ألف دينار ، ولما قبضها حار في صرفها فسأل عن خير المال ليستغل صلته فدل على اتخاذ الدور في الأقاليم والأمصار [3] فبنى إحدى عشر داراً بالمدينة ودارين بالبصرة وداراً بالكوفة ، وداراً بمصر [4] .

ووهبت الأموال الضخمة لزيد بن ثابت حتى بلغ به الثراء العريض وإنه لما توفي خلف من الذهب والفضـــة ما يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الأموال والضياع ماقيمته مائة ألف دينار [5] .

فبأي وجه تصحح هذه الهبات ؟ وكيف ساغ لك أن تمنحها لذوي النفوذ ، وقد جعلها الله للفقراء والمحرومين لتنقذهم مما هم فيه من محنة الزمن وخطوب الدهر .

إنك لم تهبهم هذه الأموال إلا لأجل تقوية نفوذك ، وبسط سلطانك غير مبال بصالح المسلمين ، ورعاية أمورهم .

استئثارك بالأموال :

واستترفت بيوت الأموال فاصطفيت منها ماشئت لنفسك وعيالك ، وقد بالغت في البذخ والاسراف ، فبنيت داراً في يثرب ، وقد شيدتهـــا بالحجر والكلس ، وجعلت أبوابها من الساج والعرعر ، واقتنيت أموالاً وجنـــاناً في

---

(١) طبقات ابن سعد .
(٢) تأريخ الطبري ٥/١٣٩
(٣) طبقات ابن سعد .
(٤) صحيح البخاري ٥ — ٢١
(٥) مروج الذهب ١ — ٤٣٣

يثرب [1] وكنت تنضد أسنانك بالذهب ، وتلبس ثياب الملوك ، وأنفقت أكثر بيت المال في عمارة ضياعك ودورك [2] ، ولما قتلت كان عند خازنك ثلاثون الف الف درهم ، وخمسمائة الف درهم ، وخمسون ومائة الف دينار ، وتركت ألف بعير وصدقات ببراديس ووادي القرى قيمة مائتي الف دينار [3] .

انك لم تتقيد في سياستك المالية لا بكتاب الله ولا بسنتي ، وقد اتخذت السلطة وسيلة للثراء تتمتع بملاذ الحياة فادهنت في دينك ، وسلكت غير الجادة ، وشذذت عن السنة الموروثة .

وكان من العدل والانصاف ما أصدره علي من القرار الحاسم في هذه الأموال التي استأثرت بها ، والتي وهبتها لأرحامك واقربائك أنه قال :

« ألا أن كل قطيعة أقطعها عثمان ، وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال ، فإن الحق القديم لا يبطله شيء ، ولو وجدته قد تزوج به النساء ، وفرق في البلدان لرددته الى حاله فإن في العدل سعة ، ومن ضاق عنه الحق فالجور عنه أضيق » [4]

وكان هذا الاجراء الذي اتخذه أمير المؤمنين على وفق العدل الإسلامي الذي حدد صلاحية المسؤولين ، ولم يطلق لهم العنان في التصرف بأموال الأمة أو الاستئثار بها .

ولاته على الأمصار :

وكان اللازم عليك ان تستعمل على الأقاليم الإسلامية في خيرة المسلمين في تقواهم وورعهم ونزاهتهم ليقوموا بتهذيب المسلمين ، ونشر الفضيلة والهدي

---

(١) مروج الذهب ١-٤٣٣

(٢) السيرة الحلبية ٢-٨٧ .

(٣) طبقات ابن سعد ٣-٥٣ .

(٤) نهج البلاغة محمد عبده ١-٤٦

الاسلامي بين الناس ، ولكنك لم تعن بذلك فقد استعملت بني أمية وآل أبي معيط حكاماً وولاة على الاقاليم الاسلامية فأشاعوا في البـــلاد الجور والفساد ، اواستحلوا ما حرم الله ، وجعلوا يتلاقفون مقدرات الأمة تلاقف الكرة بأيدي الصبيان كما اوصاهم عميدهم أبو سفيان ونشير إلى بعض ولاتك مع عرض موجز لبعض شؤونهم ، وهم :

الوليد بن عقبة :

واستعملت الوليد بن عقبة على الكوفة بعد ان عزلت عنهـــا سعد بن أبي وقاص .

هل كان الوليد خليقاً بأن يعهد اليه أمر هذا المصر العظيم ، كيف ساغ لك ان تأتمنه على أموال المسلمين ، وتعهد اليه بأمر الصلاة والقضاء ؟ وهو لم يفهم من الإسلام أي شيء .

لقد نشأ الوليد نشأة جاهلية ، ولم يدخل بصيص من نور الإسلام في قلبه ، فقد كان أبوه من ألد أعدائي فكان هو وابو لهب يأتيان بالفرث فيطرحانه على باب داري [1] ، وقد بصق هذا الأثيم في وجهي فقلت له : إن وجدتـك خارجاً من جبال مكة أضرب عنقك صبراً ، فلما كان يوم بـــدر ، وخرج أصحابه امتنع من الخروج خوفاً من القتل فما زال أصحابه يلحون عليه حتى خرج فلما هزم الله المشركين كان عقبة من جهة الأسرى فعهدت إلى علي بضرب عنقه[2] وقد اترعت نفس الوليد بالحقد والعداء لي لأني قد ذكرته بأبيه ، ولما لم يجد بداً من الدخول في الاسلام وهو مكره ، وقلبـه مطمئن بالكفر والنفاق .

وقد نطق القرآن الكريم بفسقه وعدم إيمانه وذلك حينما تفاخر مع أمـير المؤمنين (ع) فقال له الوليد :

---

(١) طبقات ابن سعد ١ - ١٨٦ ط مصر .

(٢) الغدير ٨ - ٢٧٣ .

« واسكت فانك صبي ، وأنا شيخ ، والله إني أبسط منك لساناً ،وأحد منك سناناً ، وأشجع منك جناناً ، وأملأ منك حشواً في الكتيبة » . .

فرد عليه أمير المؤمنين قائلاً :

« اسكت فانك فاسق » .

فأنزل الله تعالى فيهما « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً » [1] ، وقد غشني وكذب علي حينما أرسلته في بني المصطلق فعاد إلي يزعم انهم منعوه الصدقة فخرجت اليهم غازياً فتبين لي كذبه ، ونزلت عليّ الآية بفسقه وهي قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » [2] .

ومع إعلان القرآن بفسقه ، وتجريده عن صبغة الإيمان كيف ساغ لك أن تجعله حاكماً على المسلمين .

ولما استعملته والياً على الكوفة بالغ في الاستهتار والتهتك والمجون ، فلم يرجو لله وقاراً ، وقد اقترف أفحش جريمة ، وأفظع ذنب ، فقد ثمل وصلى بالناس صلاة الصبح أربع ركعات ، وصار يقول في ركوعه وسجوده «اشرب واسقني» ثم قاء في المحراب وسلم ، وقال هل أزيدكم ؟ فقال له ابن مسعود : لا زادك الله خيراً ، ولا من بعثك الينا وأخذ فروة نعله ، وضرب بها وجه الوليد ، وحصبه الناس فدخل القصر ، والحصباة تأخذه ، وهو مترنح [3] ويقول الحطيئة جرول ابن أوس العبسي في فعله :

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه ... إن الوليد أحق بالغدر
نادى وقد تمت صلاتهم ... أأزيدكم ثملاً ولا يدري

---

(١) تفسير الطبري ٢١/٦٢ .

(٢) سورة الحجرات : آية ٦ يقول ابن عبد البر في الاستيعاب ٢/٦٢ لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت أن الآية نزلت في الوليد .

(٣) السيرة الحلبية ٢/٣١٤ .

ليزيدهم خـيراً ولو قبلوا منـه لزادهم على عشر
فأبوا أبا وهب ولو فعـلوا لقرنت بـين الشفع والوتر
حبسوا عنانـك إذ جريت ولو خلوا عنانك لم تزل تجري[1]

وقد أسرع قوم من الكوفيين بعد اقترافه إلى هذه الجريمة فعرضوا عليك انتهاكه لحرمة الله ، وقد صحبوا معهم خاتمه الذي انتزعوه منه ، وهو في حالة السكر ، ولما شهدوا عندك زجرتهم وقلت لهم :

« وما يدريكم انه شرب الخمر ؟ » .

فقالوا لك : « هي الخمر التي كنا نشربها في الجاهلية » .

وأخرجوا لك خاتمه الذي انتزعوه منه ، وهو في حال سكره ، فتميزت من الغيظ ، ودفعت في صدورهم ، وقابلتهم بأمر القول ، وأقساه ، وليس للحاكم أن يفعل ذلك ، وهرعوا فزعين إلى أمير المؤمنين يشكونك اليه ، فأقبل اليك وهو ثائر غضبان فقال لك :

« دفعت الشهود ، وأبطلت الحدود ؟ » .

فخشيت ، وحاذرت واجبته على كره قائلا :

« ما ترى ؟ » .

« أرى ان تبعث إلى صاحبك ، فإن أقاما الشهادة في وجهه ولم يدل بحجة أقمت عليه الحد » .

فاستجبت له على كره ، وأرسلت خلفه فلما مثل عنـدك أمرت باحضار الشهود فأقاموا عليه الشهادة ، ولم يدل الوليد بحجة ، وقد وجب عليه الحد فلم يقم أحد عليه خوفاً منك ، فلما رأى أمير المؤمنين ذلك اندفع فأخذ السوط ودنا منه ، فسبه الوليد ، وأخذ يراوغ عنه فاجتذ به الإمام ، وضرب بـه الأرض ، وعلاه بالسوط فثرت وقد علاك الغضب فقلت له :

« ليس لك ان تفعل هذا به .. » .

---

(١) الأغاني ٤/١٧٨ — ١٧٩ .

« بلى وشر من هذا إذا فسق ، ومنع حق الله أن يؤخذ منه »[1] .

وأقام عليه الحد ، وكان اللازم بعد ارتكابه لهذا الجرم ، وانتهاكه لحرمة الاسلام أن تبعده ، وتجافيه حتى يرتدع هووغيره من ارتكاب الفسق والفساد ، ولكنك لم تعن بذلك فقد عطفت عليه ، ووليته صدقات كلب ، وبلقين [2] ، وكيف ساغ لك أن تأتمنه على صدقات المسلمين وأموالهم بعد ما ثبت فسقه وارتكابه للاثم .

سعيد بن العاص

وبعد أن اقترف الوليد جريمته النكراء أقصيته عن الكوفة على كره منك ، وقد عمدت إلى إسناد الحكم إلى سعيد بن العاص فوليته أمر هذا المصر العظيم ، وقد استقبله الكوفيون بالكراهية والاستياء وعدم الرضا لأنه كان شاباً مترفاً[3] لا يتحرج من الإثم ، ولا يتورع من الافك ، كما كان طاغياً جباراً ، قال لأصحابه بعد أن ولي الكوفة : « من رأى منكم الهلال ؟ » فقال له هاشم بن عتبة المرقال: أنا رأيته فوجه إليه لاذع القول وأقساه ، فقال له :

« بعينك هذه العوراء رأيته ؟ » .

فالتاع هاشم وأجابه :

« تعيرني بعيني ، وإنما فقئت في سبيل الله ـ وكانت عينه أصيبت يوم اليرموك — » .

وفي استهتاره قوله : « إنما السواد — اي سواد الكوفة — بستان لقريش » . وقد أثار ذلك سخط الأخيار والمتحرجين في دينهم ، فانبرى إليه مالك

---

(١) مروج الذهب ٢/٢٢٥

(٢) تأريخ اليعقوبي ٣-١٤٢

(٣) طبقات ابن سعد ٥- ٢١ ، تأريخ ابن عساكر ٦ – ١٣٥

الأشتر فأنكر عليه ذلك قائلاً :

« أتجعل مراكز رماحنا ، وما أفاء الله علينا بستاناً لك ولقومك ؟ ، والله لو رامه أحد لقرع قرعاً يتصأصأ منه » .

وانضم إلى الأشتر قراء المصر وهم ينكرون على عاملك هـــذا الاستهتار ، فغضب صاحب شرطته فرد على القوم رداً غليظاً ، فقاموا إليه فضربوه ضرباً منكراً حتى أغمي عليه ، وأخذوا يطلقون ألسنتهم بنقده ، ويذكرون مثالبك وجرائم بني أمية ، وكتب سعيد إليك يخبرهم فأمرته أن يعتقلهم في الشام ، وينفيهم عن مصرهم ، وهم لم يرتكبوا إثماً أو فساداً ، ولم يقترفوا جرماً حتى يستحقوا هذا التنكيل ، وانما نقدوا عاملك لأنـــه شذ عن الطريق ، وقال غير الحق .

وأخرجهم سعيد عن أوطانهم بالعنف فأرسلهم إلى الشام إلى بلد لم يألفوه ، ولا يسكنون إلى من فيه ، وتلقاهم معاوية فأنزلهم في كنيسة ، وأجرى عليهم بعض الرزق ، وجعل ينــاظرهم ، ويحاججهم ، وهم مصرون على منطقهم إن السواد ليس ملكاً لقريش فأي ميزة يمتاز بها الشرك إلا القليل منهم .

ولما يئس عاملك وقريبك معاوية منهم كتب إليك يستعفيك من ابقائهم في الشام خوفاً من أن يفسدوا أهلها عليه فأمرته أن يردهم الي الكوفة فعادوا إليها وهم مصرون على نقد عاملك وعلى نقد سياستك ، فأعاد سعيد عليك الكتابة يطلب منك ابعادهم عن مصرهم فأمرته أن ينفيهم الى حمص فنفاهم إليهـــا ، واستقبلهم عبد الرحمن بن خالد عامل معاوية بالعنف والشدة ، وسامهم سوء العذاب ، وقابلهم بأغلظ القول وأفحشه ، فكان اذا ركب أمرهم بالمسير حول ركابه مبالغة في توهينهم وإذلالهم ، ولما رأوا تلك القسوة البالغة والعذاب المهين أظهروا الطاعة ، وطلبوا منه أن يصفح عنهم ، فعفـــا عنهم ، وكتب إليك يسترضيك ، ويسألك العفو عنهم فأجبته الى ذلك ، وأمرت بردهم الى الكوفة ، ونزح سعيد من الكوفة الى يثرب لمواجهتك فوجد القوم عندك يشكونه إليك ، ويسألونك عزله ، فامتنعت من إجابتهم ، وأصررت على ابقائه في عمله ، فرجع

القوم إلى مصرهم قبله ، وقد احتلوا الكوفة ، وأقسموا أن لا يدخلها عاملك الأثير عندك ، ولما توجه سعيد منعوه من دخول المصر ، وأجبروك على عزله فاستجبت لهم على كره[1]

لقد نكلت بالأخيار والصلحاء من أجل مارق خبيث مستهتر متهور فسلطته على رقاب المسلمين وأموالهم وأعراضهم لأنه من أسرتك وذويك .

فأي سياسة رعناء سست بها البلاد ؟ لقد سلطت شرار خلق الله على أمتي فأخذوا يسومونها سوء العذاب فنكلوا بأخيارها ، وطاردوا صلحاءها .

ياذا النورين :

يامن تستحي الملائكة منه !

أهكذا تسلط الفساق وشذاذ الآفاق على المسلمين لينتزعوا منهم حريتهم ، ويشيعون في ربوعهم الظلم والجور والاستبداد والأمر لله فهو الحاكم في عباده ، وهو ولي الأمور .

واخترت ابن خالك عبد الله بن عامر فوليته البصرة وهو ابن اربع أو خمس وعشرين سنة [2] وهو كما وصفه أبو موسى الأشعري بقوله : « ولاج خراج » ، وقد سار في ولايته في البصرة سيرة ترف وبذخ فهو أول من لبس الخز في البصرة ، وقد لبس جبة وكناء فقال الناس : « لبس الامير جلد دب » فغير لباسه ، ولبس جبة حمراء[3]

وقد أنكر المسلمون سياسته ، وسخطوا على اوضاعه ، كما عابوا عليك اعمالك ، وقد اجتمع الأخيار والمؤمنون فتذاكروا أحداثك فأجمعوا أن يبعثوا إليك رجلاً يكلمك بما احدثه في المسلمين فأرسلوا إليك عامر بن عبد الله

---

(١) الأنساب ٥ - ٣٩ - ٤٣ ، تأريخ الطبري ٥ - ٨٨ تأريخ أبي الفداء ١٦٨ .

(٢) الاستيعاب المطبوع على هامش الاصابة ٢ - ٢٥٣ .

(٣) اسد الغابة ٣ - ١٩٢

التميمي الزاهد العابد ، ولما انتهى اليك وعظك وأرشدك إلى طريق الحق قائلاً:

«إن ناساً من المسلمين اجتمعوا فنظروا في أعمالك فوجدوك قد ركبت أموراً عظاماً ، فاتق الله عز وجل ، وتب اليه ، وانزع عنها » .

فاحتقرته ، وبالغت في توهينه فقلت لمن حولك :

« إنظروا إلى هذا فإن الناس يزعمون أنه قارىء ثم هو يجيء فيكلمني في المحقرات ، فوالله ما يدري أين الله » .

فانطلق لك العبد الصالح وقد أسخط قولك فقال لك :

ــ انا لا أدري أين الله ؟.

ــ نعم .

ــ إني لأدري ان الله بالمرصاد .

فلذعك قوله ، ولكنك لم تستجب لندائه ، وقد أرسلت خلف مستشاريك وأعوانك من بني أمية فعرضت عليهم الأمر فأشار عليك عبد الله بن عامر قائلاً:

« رأيي لك يا أمير المؤمنين ان تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك ، وان تجمرهم في المغازي حتى يذلوا لك ، فلا يكون همة أحدهم وما هو فيه من دبر دابتـــه ، وقمل فروته » .

وقد أشار بالظلم والجور وبالتضييق على الناس وقد أخذت بقوله ، وتركت رأي الآخرين فأمرت بتجمر الناس في البعوث ، وعزمت على تحريم أعطياتهم حتى يطيعوك [1] .

ولما عاد إلى البصرة عبد الله بن عامر عمل إلى التنكيل بعامر بن عبد الله ، فأوعز إلى عملائه وأذنابه أن يشهدوا عنده بأن عامراً قـــد خالف المسلمين في أمور قد أحلها الله ، فهو لا يأكل اللحم ، ولا يرى الزواج ، ولا يشهد الجمعة [2] فشهدوا له بذلك ، ورفع بذلك تقريراً اليك فأمرت بنفيه إلى الشام على (قتب)

---

(١) تاريخ الطبري ٥ ـ ٩٤ ، تاريخ ابن خلدون ٢ ـ ٣٩ .

(٢) الفتنة الكبرى ١ ـ ١١٦ .

فحُمل اليها وأنزله معاوية الخضراء ، وبعث اليه بجارية وأمرها ان تتعرف على حاله ، ويكون عيناً عليه ، فرأته رجل تقوى وصلاح يقوم في الليل متعبداً ، ويخرج من السحر فلا يعود إلا بعد العتمة ، ولا يتناول من طعام معاوية شيئاً فكان يجيء بالكسر من الخبز ، ويجعلها بالماء ويشرب من ذلك الماء ، فأخبرت معاوية بشأنه فكتب اليك بأمره فأوعزت اليه بصلته [1] .

وقد نقم المسلمون عليك لأنك نفيت رجلاً من خيار المسلمين وصلحائهم [2] ولم يكن له ذنب سوى انه نقد عاملك وعاب عليه أعماله ، وليس لولي الأمر الصلاحية في نفي أحد من المسلمين فإنه لم يشرع إلا لمن حارب الله ورسوله ، وسعى في الأرض فساداً .

وقد ظل عبد الله بن عامر والياً من قبلك على البصرة إلى ان قتلت فلما سمع بمقتلك نهب ما في بيت المال وسار إلى مكة فوافى بها طلحة والزبير وعائشة فأمدهم بالأموال وأعانهم على التمرد والخروج على حكومة أمير المؤمنين .

فلا حول ولا قوة إلا بالله .

عبد الله بن سعد :

وحبوت أخاك من الرضاعة عبد الله بن سعد بن أبي سرح بولاية مصر ، ومنحته إمارة هذا القطر العظيم وجعلت بيده أمر صلاته ، وخراجه [3] وقبل ذلك منحته بالأموال الطائلة ، ووهبته الثراء العريض فخصصته بخمس غنائم افريقية ، ولم يكن خليقاً بذلك فإن له تاريخاً أسوداً حافلاً بالآثام والموبقات فقد ارتد مشركاً بعد اسلامه وسار إلى قريش ساخراً مني ، ومستهزأ بي ، وكان يقول لهم :

---

(١) الاصابة ٣ - ٨٥ .

(٢) اسد الغابة ٣ - ١٩٢ .

(٣) الولاة والقضاة ص ١١ .

« إني أصرفه حيث اريد » .

وقد أهدرت دمه يوم الفتح ، وإن وجد متعلقاً باستار الكعبة ، ففر اليك، وأستجار بك فآويته ، وغيبته وبعد ما أطمأن أهل مكة ، جئت بـه إلي تطلب مني العفو عنه فصمت طويلاً ثم آمنته ، وعفوت عنه ، فلما انصرفت قلت لأصحابي . ما صمت إلا ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه ، فقال لي رجل من الأنصار :

« هلا أومأت إلي يا رسول الله ؟ » .

فقلت له : « إن النبي لا ينبغي ان تكون له خائنة الأعين » [1] .

ونزلت آية من القرآن بكفره وذمه وهي قوله تعالى : « ومن أظلم ممن أفترى على الله كذبا وقال أوحي إلي ولم يوح اليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله [2] » .

وسبب نزول هذه الآية أنه نزل قوله تعالى : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين » دعوته إلى كتابتها فلما انتهى إلى قوله تعالى : « ثم انشأناه خلقاً آخر » عجب عبد الله في تفصيل خلق الانسان ، فقال : تبارك الله أحسن الخالقين ، فقلت له هكذا نزلت علي ، فشك عبد الله في نبوتي ، وقال كلمة الكفر قال لئن كان محمد صادقاً لقد أوحي إلي كما أوحي اليه ، وإن كان كاذباً لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين [3] .

أمثل هذا المرتد يكون والياً على المسلمين ، ومؤتمناً على أموالهم ودمائهم ؟ إن هذا والله هو الرزء القاصم الذي يذيب لفائف القلوب ، وتذوب النفوس من هوله أسى وحسرات أتمنح أقطار المسلمين إلى الذين لم يألوا جهداً في البغي على الاسلام والكيد له .

وقد مكث عبد الله والياً على مصر سنين، وكلف المصريين فوق ما يطيقون،

(١) تفسير القرطبي ٧ ـ ٤٠ ، تفسير الشوكاني ٣ ـ ١٣٤ ، سنن أبي داود ٢ ـ ٢٢٠ .
(٢) سورة الانعام : آية ٩٣ .
(٣) تفسير الخازن ٢ ـ ٣٧ ، الكشاف ١ ـ ٤٦١ ، تفسير الرازي ٤ ـ ٩٦ .

وساسهم سياسة عنف وجور فخف أخيـارهم إليك يشكون جهدهم وعناءهم منه فبعثت إليه رسالة تأمره فيها بالاستقامة والعدل فلم يستجب لقولك ، وعمد إلى التنكيل بمن شكاه اليك حتى قتله ، وقد اضطرب النـاس من ذلك فخرج سبع مائة رجل من مصر الى يثرب فنزلوا الجامع وشكوا الى أصحابه ماصنع بهم ابن أبي سرح فانبرى اليك طلحـة فكلمك بكلام شديد، وأرسلت إليك عائشة تطلب منك انصاف القوم ، ودخل عليك أمير المؤمنين فقال لك :

« إنما يسألك القوم رجلا مكان رجل ، وقد ادعو قبله دما فأعز له عنهم واقض بينهم فان وجب عليه حق فانصفهم منه .. »

فاستجبت لذلك على كره ، وقلت لهم : اختاروا رجلاً أوليه عليكم مكانه ، فأشار الناس عليك ، وعليهم بمحمد بن أبي بكر فكتبت إليه عهده على مصر ، ووجهت جماعة من المهاجرين ، والأنصار ينظرون فيما بينهم وبين أبي سرح [1] ، ونزحوا عن يثرب فلما بلغوا الى المحل المعروف (بحمس) وإذا بقادم من المدينة تأملوه وإذا هو ورش غلامك فتفحصوا عن أمره وإذا بـه يحمل رسالة الى ابن أبي سرح يأمره بالتنكيل بالقوم ، تأملوا الكتاب وإذا هو بخط مروان فقفلوا راجعين الى يثرب ، وقد صمموا على خلعك أو قتلك .

لقد كان قصدك من وراء هذه الأعمال الشاذة المنافية لروح العـدل والاسلام أن تدعم الحكم في بني أمية وتجعل الدولة بايديهم ، وتحملهم على رقاب الناس ، وتؤثرهم بالفيء ، ولم تعن بأي صالح من مصالح المسلمين .

معاوية بن أبي سفيان :

ومعاوية بن أبي سفيان من أكثر ولاتك حظاً عندك ، ومن أعظمهم نفوذاً ، بسطت في رقعة سلطانه فضممت اليه حمص ، وقنسرين ، وفلسطين ، والأردن

---

(١) الانساب ٥ - ٢٦

حتى أصبح من أعظم الولاة قوة ، ومن أكثرهم منعة ونفوذاً ، وقد عبدت له الطريق ، وأتحت له الفرصة على منازعة من يأتي من بعدك .

ولم تلتفت أنت ولا صاحبك عمر من قبل الى ما يرتكبه معاوية من الموبقات والآثام ، وقد عمدت بصراحة الى مخالفة أمري وعصيان قولي فيه ، فقد قلت : « إذا وجدتم معاوية على منبري فاقتلوه » .

وقد ارتكب هذا الوغد الأثيم من الموبقات والجرائم ما سود به وجه التاريخ الاسلامي فقد سم ريحانتي وولدي الإمام الحسن وقتل خيار الصحابة كحجر بن عدى وعمرو بن الحمق الخزاعي ، وغيرهم وفرض سب عترتي وأهل بيتي على المنابر والمآذن ، واستحل كل ما حرم الله .

فمن هو المسؤول عن جرائمه غيرك ، وغير صاحبك عمر الذي بالغ في تسديده ، وتأييده فقال فيه : « إنه كسرى العرب » .

هؤلاء بعض عمالك وولاتك ، وانك لم تستعملهم إلا محاباة واثرة وانقياداً الى عصبيتك القبلية ، وقد شذذت بذلك عن العدل وخنت الله ورسوله والمسلمين.

التنكيل بالصحابة :

عمدت إلى التنكيل بخيار صحابتي الذين أبلغوا في الاسلام بلاء حسناً ، وساهموا في بناء الاسلام واقامة قواعده فقد اضطهدتهم ، وبالغت في ارهاقهم لأنهم عابوا عليك سياستك الرعناء ، وطلبوا منك أن تسير على المحجة البيضاء ، وتهتدي بسنتي ، وتقتفي بأثري ، ولكنك لم تستجب لنصحهم ، ولم تثب لإرشادهم ، وأنزلت بهم سوط عذابك ، وبالغت باضطهادهم وارهاقهم وهم :

عمار بن ياسر :

إن عمار بن ياسر علم من أعلام الاسلام ، وقطب من أقطاب الدين صاحبي

وخليلي لقي في سبيل الاسلام أعظم الجهد ، وأقسى ألوان البـــلاء والخطوب عُذّب مع أبويه أعنف التعذيب ،فقد صبت عليهم قريش ألواناً مريعة من العذاب الأليم فألهبت أبدانهم بمكاوي النار ، وضربتهم ضرباً موجعـاً ، ووضعت على صدورهم الأحجار الثقيلة ، وصبت عليهم قرباً من المـــاء وكنت اجتاز عليهم فأرى ما هم فيه من مزيد المحنـــة والعذاب فتذوب نفسي أسى وحزناً عليهم فقلت لهم :

« إصبروا آل ياسر موعدكم الجنة . » [1] .

ودعوت لهم مرة فقلت :

« اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت » [2] .

وبقيت هذه الأسرة العظيمة مصرة على الايمان غير حـافلة بعذاب قريش ، وهي تسخر بأوثانها وأصنامها فورم من ذلك أنف أبي جهل ، وانتفخ سحره ، وجعلت عيناه تقدحان شرراً وغيظاً فعمد الى سمية فطعنها في قلبها فماتت وهي أول شهيدة في الاسلام ، وعمد الأثيم بعد ذلك إلى ياسر فقتله .

وظل عمار يعاني آلام التعذيب قد مزق الحزن قلبه على فقد أبويه ، وأضناه التعذيب فعرضت عليه قريش سبي فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً ،فأخبرت أن عماراً قد كفر .

فقلت (كلا) : إن عماراً ملىء إيماناً من قرنه إلى قدمه ، واختلط الايمان بدمه ولحمه .

وأقبل عمار علي وهو يبكي فجعلت أمسح عينيه وقلت له :

« إن عادوا لك فعدلهم بما قلت » .

وأنزل الله تعالى فيه « من كفر بالله بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان » [3] .

---

(١) مجمع الزوائد ٩-٢٦٣ .

(٢) مسند أحمد ١-٦٢ .

(٣) سورة النحل : آية ١٠٦ ، ذكر نزولها في عمار الواحدي في أسباب النزول ص٢١٢ ، والطبري في تفسيره ١٤-١٢٢ ، وابن سعد في طبقاته ٣-١٧٨ .

لقد ملئت نفس عمار بالإيمان فكان الدين عنصراً مقوماً لمزاجه ، وذاتياً من ذاتياته ، وقد أنزل الله تعالى في حقه غير آية من كتابه كلها تمجيد له ، وثناء عليه فهو المعني بقوله تعالى : « أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة »[1] .

وقال تعالى فيه : « أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس »[2] .

ونزلت آية في الثناء عليه وفي ذم الوليد وهي قوله تعالى : « أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين »[3] .

وقد اهتممت في شأنه ، وقدمته على غيره من صحابتي وذلك لما لمست فيه من عظيم الثقة والإيمان بالله ، فقلت في حقه : « من عادى عماراً عاداه الله ومن أبغض عماراً أبغضه الله »[4] .

وجرت بينه وبين شخص مشادة فقال من عمار ، فلما سمعت ذلك غضبت وقلت في حقه :

« ما لهم ولعمار، يدعوهم إلى الجنة ، ويدعونه إلى النار ، إن عماراً جلدة ما بين عيني وأنفي فاذا بلغ ذلك من الرجل فاجتنبوه »[5]

وقلت فيه :

---

(١) سورة الزمر : آية ٩ نص على نزولها في عمار القرطبي في تفسيره ٣/٤٠٣ وابن سعد في طبقاته ٣/١٧٨ .

(٢) سورة الأنعام : آية ١٢٢ نص على نزولها في عمار السيوطي في تفسيره ٣/٤٣ ، وابن كثير في تفسيره ٢/١٧٢ .

(٣) سورة القصص : آية ٦١ نص على نزولها في عمار والوليد الواحدي في أسباب النزول ص ٢٥٥ ، والزمخشري في تفسيره ٢/٣٨٦.

(٤) مسند أحمد ٤/٨٩ .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/١٦٤ .

« ما خير عمار بين أمرين إلا أختار ارشدهما »[1] .

إن منزلة عمار عندي لا تساويها منزلة أحد من أصحابي وذلك لأنه مع الحق، والحق معه يدور الحق حيثما دار .

وقد نقم عليك عمار لما سلكت غير الجادة ، وشذذت عن طريق العدل ، وقد نكلت به واعتديت عليه ولم تحفظ وصيتي فيه وحبي له لقد أنكر عليك في مواضع وهي كما يلي :

١ - ان اعلام الصحابة لما رفعوا إليك مذكرة سجلوا فيها أحداثك وبدعك رفع إليك المذكرة فاندفعت إليه وأنت مغيظ محنق قائلاً له :

أعلي تقدم من بينهم ؟

- إني أنصحهم لك .

- كذبت يا ابن سمية .

- أنا والله ابن سمية ، وابن ياسر .

فأمرت غلمانك فمدوا بيديه ورجليه ، ثم ضربته برجليك في الخفين على مذاكيره فاصابه الفتق ، وكان ضعيفاً فأغمى عليه[2] ولم ترع شيخوخته ، ولا عظيم بلائه ، وعنائه في الإسلام فاعتديت عليه وأهنته ، وهلا كانت هذه الاندفاعات منك على الأمويين الذين استباحوا ما حرم الله، وانتهكوا الكرمات، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

٢ - لما نفيت الصحابي العظيم أبا ذر صاحبي وخليلي إلى الربذة وتوفى فيها غريباً بائساً ، وجاء نعيه إلى يثرب قلت أمام جماعة من الناس مستهزءاً به .

« رحمه الله » .

فقال عمار : « نعم رحمه الله من كل أنفسنا .. »

فورم أنفك ، وانتفخت أوداجك ، وقابلت عمار بافحش القول فقلت له :

---

(١) مصابيح السنة ٢٨٨/٢ ، سنن ابن ماجة ٦٦/١ .

(٢) الانساب ٤٩/٥ ، العقد الفريد ٢٧٢/٢ .

« يا عاض إير أبيه اتراني ندمت على تسييره » .

يا ذا النورين ، يا من تستحي الملائكة منه - كما يقولون - أهكذا تفحش بالقـــول ؟

ان هذا المنطق لا ينبغي أن يصدر من خليفة المسلمين ، وأميرهم .

وأمرت غلمانك فدفعوا عماراً ، وأهانوه ، كما أمرت بنفيه إلى الربذة ليحل فيها محل صاحبي أبي ذر ، فلما تهيأ للخروج اقبلت بنو مخزوم الى أمير المؤمنين فسألوه أن يذاكرك في شأنـه فانطلق إليك علي وهو مروع مذهول فقال لك:

« إتق الله ، فإنك سيرت رجلاً صالحــاً من المسلمين فهلك في تسييرك ، ثم أنت الآن تريد أن تنفي نظيره » .

فثرت في وجهه ، وانطلقت تقول له بغـــير هدى ولا وعي .

« انت أحق بالنفي منه » .

« إفعـل إن شئت ذلك » .

واجتمع المهاجرون فعذلوك ولاموك فاستجبت لقولهم وعفوت عن عمار[1] .

٣ - ولما استأثرت بالسفط ، ووهبته لبعض نسائك تتزين به ، أنكر عليك امير المؤمنين ، وايد عمار معارضته فغضبت من عمار وقلت له : يا بن المتكاء[2] تجترىء علي ؟ وأوعزت إلى شرطتك بأخذه ، فأخذوه ، وأدخـــلوه عليك فضربته حتى غشي عليه وحمل إلى منزل أم سلمة ، وهو مغمى عليه فلم يفق من شدة الضرب حتى فاتته الصلاة الظهرين والمغرب، فلما أفاق توضأ وصلى العشاء، وقال بنبرات حزينة :

« الحمد لله ، ليس هذا أول يوم أوذينا فيه في الله . »

وغضبت عائشة من أجل ذلك فاخرجت شعراً من شعري ، وثوباً من ثيابي،

---

(١) تأريخ اليعقوبي ٢/١٥٠ الانساب ٥/٥٤

(٢) المتكأ العظيم البطن ، والتي لا تمسك البول ، فحيا الله عثمان على هـذه الآداب ، وهذه الأخلاق .

ونعلاً من نعالي ، ثم قالت : ما اسرع ما تركتم سنة نبيكم ، وهـذا شعره وثوبه ونعله لم يبل بعد [1] .

اهكذا تلاقي عمار بالاهانة والتحقير ، و هو جلدة ما بين عيني، وانفي، لأنه امرك بالعدل ، ونصحك الى الاقتداء بسنتي .

أبـــو ذر :

أبو ذر : جندب بن جنادة الغفاري، خـــامس خمسة في الاسلام ومن أكابر العلماء والزهاد ، وأول من نادى في البيت الحرام بأعلى صوته بكلمـة التوحيد « أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » وأول من حياني بتحية الاسلام ، وهو مبعوثي الشخصي إلى قبيلته (غفـار) فأسلمت ، كما تسبب باسلام قبيلة (أسلم) فقلت فيهما :

« وغفار غفر الله لها .. واسلم سالمها الله » .

كان أبو ذر من أبرز الصحابة في علمه وتقواه ، وزهده وتحرجه في الدين ، وقد قلت في حقه :

« ما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر ، من سره أن ينظر الى زهد عيسى بن مريم فلينظر الى أبي ذر [2] » .

وكنت أئتمنه حيث لا ائمن احداً ، واسر إليه حيث لا اسر الى احد ، [3] وهو احد الثلاثة الذين احبهم الله ، وامرني بحبهم [4] كما انه احد الذين تشتـاق لهم الجنة .

---

(١) الانساب ٥ - ٤٨
(٢) سنن ابن ماجة ١ - ٦٨
(٣) كنز العـــمال ٨ - ١٥
(٤) مجمع الزوائد ٩ - ٣٣٠

يا عثمان لما استأثرت بالفيء ، وخصصت بني امية بأموال المسلمين ومنحتهم الثراء العريض ، فكنزوا لأنفسهم ، واكثروا من شراء الضياع والقصور اندفع هذا الصحابي العظيم إلى الإنكار عليك وإلى معارضتك ، فكان يقف على الذين منحتهم بأموال المسلمين فيتلو قوله تعالى : « الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » ورفع مروان بن الحكم اليك أمره فنهيته عن ذلك فاندفع يقول :

« اينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله . فوالله لأن أرضى الله بسخط عثمان أحب إلي وخيرٌ لي من أن أسخط الله برضاه » .

وظل أبو ذر يقظ الضمير ، قد وقف لك بالمرصاد ينقد سياستك ويعيب أعمالك ، ويشجب عطاءك الوفير إلى بني أمية وإلى آل أبي معيط .

ولما ضاق بك أمره نفيته إلى الشام ، وأبعدته عن حرمي وأهل بيتي ، ولما صار إلى الشام رأى أحداث معاوية وموبقاته وإسرافه في بيت المال ، فأنكر عليه بناء الخضراء التي أنفق عليها الأموال الطائلة فكان يقول له :

« يا معاوية إن كانت هذه الدار من مال الله فهي الخيانة ، وإن كانت من مالك فهذا الإسراف ؟ » .

وأخذ يوقظ النفوس ، ويوجد الوعي الاسلامي ، ويبعث روح الثورة على حكم عميلك معاوية فكان يقول لأهل الشام :

« والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها . والله ما هي في كتاب الله ، ولا في سنة نبيه ، والله إني لأرى حقاً يطفأ ، وباطلاً يحيى ، وصادقاً يكذب ، وإثرة بغير تقى ، وصالحاً مستأثراً عليه .. [1] » .

وخاطبه معاوية يوماً بقوله :

« يا عدو الله ، وعدو رسوله » .

---

(١) الانساب ٥ / ٥٢ .

فأجابه أبو ذر : « ما أنا بعدو الله . بل أنت وأبوك عدوان لله ولرسوله ، أظهرتما الاسلام ، وأبطنتما الكفر . وقد لعنك رسول الله ، ودعا عليك أن لا تشبع » .

وكان ينادي بأعلى صوته في الشام : « أيها الناس : سمعت رسول الله (ص) يقول : « إذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا دين الله دخلاً ، وعباد الله خولاً ، ومال الله دولاً » .

وثقل وجوده على معاوية فكتب اليك : « ان أبا ذر أعضل [1] بي ، وقد اجتمعت عليه الجموع ، ولا آمن أن يفسدهم عليك فإن كان لك بالقوم حاجة فأحمله اليك » .

فكتبت اليه أن يحمله لك على أخشن مركب ، فحمله على بعير عار ووكل به خمسة رجال من الصقالبة [2] يطوون به الطريق ليلاً ونهاراً حتى تسلخت بواطن أفخاذه ، وكاد أن يتلف ، ولم يتريثوا به حتى يستريح ، ولما بلغ يثرب مضى في دعوته إلى الله ، فكان ينكر على سياستك أشد الإنكار فكان يقول لك : « تستعمل الصبيان ، وتحمي الحمى [3] وتقرب أولاد الطلقاء » ..

والشيء الذي كان يزعجك به ، وينغص عليك عيشك بيانه لفضائل أمير المؤمنين واظهاره لما سمعه مني في تكريمه والاشادة به فكان يقف على بئر زمزم في البيت الحرام ، وينادي أمام حجاج بيت الله الحرام :

« أيها الناس ، من عرفني ، فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا جندب بن جنادة أبو ذر الغفاري ، سمعت رسول الله بهاتين وإلا صمتا ، ورأيته بهاتين وإلا

---

(١) اعضل : ضيق وشدد .

(٢) الصقالبة : تتاخم بلادهم بلاد الخزر .

(٣) أشاد بذلك الى منح عثمان المراعي التي حول المدينة الى بني أمية لترعى فيها أغنامهم ، وحمي مواشي المسلمين عنها ، وهو مناف للسنة الاسلامية فانها قد جعلت المراعي التي لا مالك لها لجميع المسلمين ، وقد أثر عن النبي (ص) أنه قال : « الناس شركاء في الكلأ والماء والنار » .

فعميتا ، يقول : علي قائد البررة ، وقاتل الكفرة ، منصور من نصره، ومخذول من خذله » .

وكان يحدث المسلمين بفضائل أبي الحسن فكان يروي عني ما قلته في حقه .

« علي أول من آمن بي ، وصدقني ، وهو أول من يصافحني يوم القيامة ، وهو الصديق الأكبر ، وهو فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل . وهو يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب الظالمين [1] .. »

ورأيت ان تقضي عليه ، وتميته فتنفيه إلى بعض المجاهـل والقرى فأرسلت خلفه فلما حضر بادرك بالكلام قائلاً :

ويحك يا عثمان !! أما رأيت رسول الله، ورأيت أبا بكر وعمر ، هل رأيت هذا هديهم ؟ إنك لتبطش بى بطش الجبارين ..

فقطعت عليه كلامه ، ولم ترع مقامه ، وصحت به :

ــ أخرج عنا من بلادنا .

ــ أتخرجني من حرم رسول الله ؟

ــ نعم وأنفك راغم .

ــ أخرج إلى مكة ؟

ــ لا .

ــ إلى البصرة ؟

ــ لا .

ــ إلى الكوفة ؟

ــ لا .

ــ إلى أين أخرج ؟

ــ إلى الربذة حتى تموت فيها .

---

(١) فيض القدير ٣٥٨/٤ ، كنز العمال ١٥٦/٦ .

وأوعزت إلى مروان بإخراجه فوراً إلى الربذة ، وقد حرمت على المسلمين مشايعته ، وتوديعه ، فلم يشايعه إلا أهل بيتي ، وبعض المؤمنين من صحابتي ، وبادر وزيرك مروان بن الحكم إلى سبطي الأول الإمام الحسن (ع) فقال له :

« إيه يا حسن !! الا تعلم أن عثمان قد نهى عن كلام هذا الرجل فإن كنت لا تعلم ذلك فاعلم » .

وحمل عليه امير المؤمنين ، وقد نخب الحزن قلبه فصاح به :

« تنح يا مروان نحاك الله إلى النار » .

فبادر اليك مروان أن يخبرك بالأمر ، فانتفخت أوداجك ، وورم أنفك ، تحاول الانتقام من علي .

ومضى علي ، وهو مثقل الخطا حزين النفس يلقي على أبي ذر نظرات الأسى والحزن فألقى عليه كلمات كانت للغريب المعذب سلوى في تلك الأرض الجرداء قال له :

« يا أبا ذر ، إنك غضبت لله فارج من غضبت له ، إن القوم خافوك على دنياهم ، وخفتهم على دينك ، فاترك في أيديهم ، ما خافوك عليه ، واهرب بما خفتهم عليه ، فما أحوجهم إلى ما منعتهم ، وما أغناك عما منعوك ، وستعلم من الرابح غداً والأكثر حسداً ؟ ولو أن السموات والأرض كانتا على عبد رتقا ، ثم اتقى الله لجعل الله منهما مخرجاً ، لا يؤنسك إلا الحق، ولا يوحشنك إلا الباطل، فلو قبلت دنياهم لأحبوك ، ولو قرضت منها لآمنوك » .

يا لها من كلمات رائعة حددت موقف أبي ذر، وموقفك يا عثمان فقد خافك أبو ذر على دينه لما رآك قد عمدت إلى أماتة الحق واقصاء سنتي ، فرأى أن السكوت على المنكر ما هو إلا اقرار له فثار عليك منكراً لسياستك ، وقد خفته على دنياك وسلطانك وملكك ، فعمدت إلى التنكيل به .

وبيّن علي في كلماته نفسية أبي ذر واتجاهه فإنه لا يؤنسه إلا الحق ، ولا يوحشه إلا الباطل، ولو انه انحرف عن اتجاهه فوادع القوم لأحبوه وأخلصوا له، ولكنه أبى إلا أن يرضى ضميره ودينه ، فثار عليك وعلى أعوانك .

وبادر سبطي الأول وريحانتي الإمام الحسن إلى أبي ذر فصافحه وودعه ، وألقى عليه كلمات تنم عن قلب حزين على فراق عمه قائلاً له :

« يا عماه لولا أنه ينبغي للمودع أن يسكت ، وللمشيع أن ينصرف لقصر الكلام ، وإن طال الأسف ، وقد أتى القوم اليك ما ترى ، فضع عنك الدنيا بتذكر فراغها ، وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها ، واصبر حتى تلقى نبيك وهو عنك راض » .

والتفت الصحابي العظيم إلى أهل بيتي فألقى عليهم نظرة مقرونة بالتفجع والآلام ، ودموعه تتبلور على وجهه حزناً وموجدة على فراقهم قائلاً :

« رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة ، إذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وآله ، مالي بالمدينة سكن ولا شجن [1] غيركم ، إني ثقلت على عثمان بالحجاز ، كما ثقلت على معاوية بالشام ، وكره أن أجاور أخاه ، وابن خاله بالمصرين [2] » .

فأفسد الناس عليهما ، فسيرني إلى بلد ليس لي به ناصر ، ولا دافع إلا الله ، والله ما أريد إلا الله صاحباً ، وما أخشى مع الله وحشة » ..

وانصرف أبو ذر عن عاصمتي مفارقاً لمن يحبه ويهواه ، وخرج شريداً طريداً في خلوات الأرض يحوط به الذل والهوان .

لقد أقصيته عن حرمي إلى الربذة ليموت فيها جوعاً ، وفي يدك ذهب الأرض تصرفه بسخاء على بني أمية ، وآل أبي معيط ، وتبخل به على صاحبي ، وخليلي شبيه المسيح عيسى بن مريم في هديه ، وورعه وسمته .

ولما رجع أمير المؤمنين من توديع أبي ذر استقبلته جماعة من الناس فأخبروه بغضبك وموجدتك عليه لأنه خرج لتوديع أبي ذر فقال (ع) . « غضب الخيل

---

(١) السكن : الأهل ، الشجن : من يحبه ويهواه .

(٢) المصرين : البصرة ومصر ، كان والي البصرة عبد الله بن عامر ابن خال عثمان : ووالي مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخو عثمان من الرضاعة .

على اللجم »[1] وبادرت اليه وأنت مغيظ محنق فقلت له :

– ما حملك على رد رسولي ؟

– أما مروان فقد استقبلني يردني، فرددته عن ردي، وأما أمرك فلم أرده .

– أولم يبلغك أني قد نهيت الناس عن تشييع أبي ذر ؟

– أو كل ما أمرتنا به من شيء يُرى طاعة الله ، والحق في خلافه اتبعنا فيه أمرك ؟!!

– أقد مروان ؟

– وما أقيده ؟

– ضربت بين أذني راحلته .

– أما راحلتي فهي تلك ، فإن أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فليفعل ، وأما أنا فوالله لئن شتمني لأشتمنك أنت بمثلها بما لا أكذب فيه ، ولا أقول إلا حقاً .

– ولم لا يشتمك إذ شتمته ، فوالله ما أنت عندي بأفضل منه .

– أهكذا تقول لعلي ، وهو مني بمنزلة هارون من موسى اتعدل بينه وبين الوزغ الأثيم الذي لعنته ولعنت أباه .

علي ليس بأفضل من مروان عندك ، فهل من الدين والإيمان هذا القول ؟ والأمر لله وحده وهو الحاكم الفصل فيما أحدثت من هذه الأمور النكراء .

والتفت علي اليك ، وقد التاع من كلامك فقال لك :

« إلي تقول هذا القول ؟ وبمروان تعدلني ؟ ! فأنا والله أفضل منك ، وأبي أفضل من أبيك ، وأمي أفضل من أمك ، وهذه نبلي قد نثلتها » ..

وخرج علي ونفسه مترعة بالحزن والأسى لأنك لم ترع مقامه ، ولم تلحظ جانبه ، كما تألم أشد الألم وأقساه على فراق صاحبي وخليلي أبي ذر .

---

(١) يضرب مثلا لمن يغضب غضباً لا ينتفع به .

عبد الله بن مسعود :

وعبد الله بن مسعود الفقيه الخبير أشبه الناس هدياً وسمتاً بي [1] ، وقلت فيه : « من سره أن يقرأ القرآن غضاً أو رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد [2] وقد هاجر الهجرتين إلى الحبشة ، والمدينة ، وشهد بدراً وما بعدها.

وقد نزلت فيه الآية الكريمة « استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم »[3] ونزلت الآية الكريمة «ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين [4] » .

وقد أخذته بعد اسلامه ، واختصصت به فكان يلج علي ، ويلبسني نعلي ، ويمشي معي ، ويسترني إذا اغتسلت ، وقد عرف أبو بكر وعمر مقامه ، فقد سيره عمر في عهده إلى الكوفة مع عمار بن ياسر ، وكتب لأهلها كتاباً جاء فيه:

« إني قد بعثت عمار بن ياسر أميراً ، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً وهما من النجباء من أصحاب رسول الله (ص) ، من أهل بدر فاقتدوا بهما ، واطيعوا ، واسمعوا قولهما ، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي [5] » ..

فكان ابن مسعود يعلمهم القرآن ، ويفقههم في الدين ، وكان أميناً على بيت المال .

ولما آل الأمر اليك بعثت الوليد والياً على الكوفة فجرت بينهما مشادة وخصومة ، أوجبت أن يستقيل ابن مسعود من منصبه ، وبقي في الكوفة ثم غادرها متجهاً إلى عاصمتي ، فشيعه الكوفيون ، وحزنوا أشد الحزن على فراقه وقالوا له عند وداعه :

---

(١) كنز العمال ٧ — ٥٥ ، حلية الأولياء ١ — ١٢٦ ، مسند أحمد ٥ — ٣٨٩ .

(٢) سنن ابن ماجة ١ — ٦٣ ، صفة الصفوة ١ — ١٥٦ .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٧٢ نص على نزولها فيه ابن سعد في طبقاته ٣ — ١٠٨ .

(٤) سورة الانعام : آية ٥٢ نص على نزولها فيه الطبري في تفسيره ٧ — ١٢٨ .

(٥) أسد الغابة ٣ — ٢٥٨ .

« جُزيت خيراً فلقد علمت جاهلنا ، وثبت عالمنا ، وأقرأتنا القرآن ، وفقهتنا في الدين ، فنعم أخو الاسلام أنت ، ونعم الخليل .. » .

وانصرف ابن مسعود يواصل المسير حتى انتهى الى يثرب فاتجه الى الجامع فوجدك على منبري تخطب فلما رأيته قلت للمسلمين :

« ألا أنه قدمت عليكم دويبة سوء ، من يمشي على طعامه يقيء ويسلح ..».

أبمثل هذا الكلام القاسي تخاطب هذا الصحابي العظيم ألك نبل كنبله،أم مواقف كمواقفه .

أتقابله بهذه الجفوة من أجل الوليد الذي خان الله ، ونهب أموال المسلمين .

والتاع ابن مسعود من كلامك فرد عليك :

« لست كذلك ، ولكني صاحب رسول الله (ص) يوم بدر ، ويوم بيعة الرضوان » .

وقد أثار كلامك سخط عائشة فاندفعت إلى الإنكار عليك قائلة :

« أي عثمان ، أتقول هذا لصاحب رسول الله ؟ » .

وأمرت جلاوزتك فأخرجوا الصحابي العظيم إخراجاً عنيفاً ، وقام اليك عبد الله بن زمعة فضرب به الأرض، فدق ضلعه ، وأمرت بقطع رزقه،وانطلق إليك علي وهو ثائر غضبان فقال لك :

« يا عثمان ، أتفعل هذا بصاحب رسول الله (ص) بقول الوليد بن عقبة ؟».

فقلت له : (ما بقول الوليد فعلت هذا ؟ ولكن وجهت زيد بن الصلت الكندي ، فقال له ابن مسعود : إن دم عثمان حلال) .

ولما كان اعتذارك على غير وجه مشروع رد عليك أمير المؤمنين بقوله :

« أصلت عن زيد على غير ثقة » [1] .

وحمله أمير المؤمنين الى منزله فقام برعايته ، وتعاهده حتى ابل من مرضه ، فقاطعته ، وهجرته ، ولم تأذن له في الخروج من يثرب ، ولم يرجعك الى رشد

---

(١) الانساب ٥ - ٣٦

تقواه ، وورعه ، وانقطاعه الى الله ، ولما مرض مرضه الذي توفي فيه دخلت عليه عائداً فقلت له :

- ما تشتكي ؟
- ذنوبي .
- فما تشتهي ؟
- رحمة ربي .

ألا أدعو لك طبيباً ؟

- الطبيب أمرضني .
- آمر لك بعطائك .
- منعتنيه ، وأنا محتاج اليه ، وتعطينيه ، وأنا مستغن عنه .
- يكون لولدك .
- رزقهم على الله .
- استغفر لي يا أبا عبد الرحمن .

أسأل الله أن يأخذ لي منك بحقي .

وانصرفت وأنت لم تظفر برضائه ، ولما ثقل حاله أوصى أن لا تصلي عليه ، وإنما يصلي عليه صاحبه عمار بن ياسر ، ولما انتقل الى دار الحق انبرت الصفوة الصالحة من أصحابه فدفنوه في البقيع ، ولم يخبروك به ، فلما علمت بالأمر ورم أنفك ، وقلت سبقتموني ، فرد عليك الطيب ابن الطيب عمار بن ياسر قائلاً :

« إنه أوصى أن لا تصلي عليه » .

وقال لك ابن الزبير :

لأعرفنك بعد الموت تندبني ... وفي حياتي ما زودتني زادي [1]

هذه هي سيرتك تجاه الأخيار والمتحرجين في دينهم فقد نكلت بهم ، وأرهقتهم إلى حد بعيد.

---

(١) تاريخ ابن كثير ٧-١٦٣ ، مستدرك الحاكم ٣-١٣ .

تقرب الأمويين ، وتهب لهم الأموال ، وتمنحهم الثراء العريض ، وتخصهم بالوظائف المهمة ، وتقابل خيار صحابتي بالنفي والتعذيب والتوهين ، والحاكم في هذه الأحداث هو الله فله الأمر وله الحكم .

خفاء الأحكام الشرعية :

والأدهى من ذلك جهلك بالأحكام الشرعية ، وعدم معرفتك بها ، أو أنك قد اجتهدت في قبال النص ، ونسوق اليك بعض ما صدر منك .

١ ـ اتمام الصلاة في السفر .

وجرت سنتي من لزوم القصر في السفر ،وعدم اتمام الصلاة الرباعية عملا بقوله تعالى : « وإذ ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا »[1] وكنت لا أزيد في السفر على الركعتين [2] وكذلك صلى من بعدي أبو بكر وعمر ، وأنت شطراً من خلافتك ، ولكنك في السنة السادسة من خلافتك اتممت الصلاة في منى ، واتخذت ذلك سنة معتذراً بأن الناس قد كثروا في عامهم فصليت أربعاً لتعلمهم أن الصلاة أربع [3] وهو اعتذار مهلهل فإنه ليس لك من سلطان على تغيير أحكام الله وتبديل السنة ، وقد كان بامكانك أن توعز الى الخطباء بتعريف الجمهور بفريضة الصلاة لا بأن تتلاعب بها .

فهل أخبرتك الملائكة التي تستحي منك بأن لك الحق في نسخ الأحكام ، وتبديل مناهجها ، وتغييرها عما أنزلت عليه ؟

٢ ـ النداء الثالث :

---

(١) سورة النساء : آية ١٠١ .

(٢) سنن ابن ماجة ١ ـ ٣٣٠ ، أحكام القرآن للجصاص ٢ ـ ٣١٠ ، مسند احمد ٢ ـ ٤٥

(٣) سنن أبي داود ١ ـ ٣٠٨ ، سنن البيهقي ٢ ـ ١٤٤ ، نيل الأوطار ٢ ـ ٢٦٠ .

ومما أحدثته الزيادة بالأذان وذلك في النداء الثالث يوم الجمعة وهو النداء (على الزوراء) وقد عاب الناس عليك وقالوا انها بدعة [1] .

فأي مصلحة لك في التدخل باحكام الله ، والتلاعب بفرائضه ، وأحكامه ؟

٤ ــ زكاة الخيل :

والزكاة انما شرعت في الغلات الأربع ، وفي الانعام،وفي الذهب والفضة، ولم تشرع في غير ذلك ، ولكنك لما آل اليك الأمر جعلت الزكاة في الخيل [2] وقد أعلنتُ غير مرة انها لا تجب فيها [3] فكيف سانح لك أن تتعمد على ترك سنتي، واحكام الله .

٤ ــ تقديم الخطبة على الصلاة :

والسنة التي جريت عليها في صلاة العيدين ان اصلي بالناس اولاً ثم اخطب فيهم [4] ولكنك قد جافيت ذلك فخطبت اولاً ثم صليت بالناس [5] وقد تركت عن عمد سنتي ، واهملت احكام الله وبدلت فرائضه .

٥ ــ الجمع بين الأختين :

ومن غريب احكامك ، وعجيب فتاواك انك اجزت الجمع بين الاختين في النكاح فيما اذا كانا ملكي يمين [6] وقد دلت الآية بصراحة على الحرمة في جميع انواع النكاح المشروع قال تعالى: « وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف»[7] ان الرجل اذا وطيء احدى الأختين حرمت عليه الأخرى سواء اكان بعقد

---

(١) انساب الاشراف ٥ــ٣٩

(٢) المحلى ٥ــ٢٢٧ .

(٣) صحيح الترمذي ١ــ٨٠ ، مسند أحمد ١ــ٦٢ ، موطأ مالك ١ــ٢٠٦ ، الام للشافعي ٢ــ٢٢ .

(٤) صحيح مسلم ١ــ٣٢٦ ، سنن ابن ماجة ١ــ٣٨٧ .

(٥) تاريخ الخلفاء ص ١١١ .

(٦) الموطأ ٢ــ٢١٠ ، المحلى لابن حزم ٩ــ٥٢٢ ، تفسير القرطبي ٥ــ١١٧ .

(٧) سورة النساء :آية ٢٣ .

ام بملك ، وقد قلت : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجمعن ماءه في رحم أختين [1] » .

ما هو المسوغ لك في التصرف بأحكام الله، وتبديل مناهج شريعته ؟ والأمر لله تعالى فهو الحاكم في ذلك .

٦ — عدة المختلعة :

ودلت الآية الكريمة على أن عدة المطلقة أن تربص ثلاثة قروء قال تعالى : « المطلقات يتربص بأنفسهن ثلاثة قروء » ولا فرق في ذلك بين أقسام الطلاق سواء أكان الطلاق رجعياً أم خلعياً ، ولكنك لم تعن بذلك فقد جاءك معاذ بن عفراء فقال لك : إن ابنة معوذ اختلعت من زوجها اليوم أتنتقل ؟ فقالت له : تنتقل ولا ميراث بينهما ، ولا عدة عليها إلا أنها لا تنكح حتى حيضة خشية أن تكون بها حبل [2] ما هو المبرر لك في هذه الفتيا والتلاعب بأحكام الله !!

٧ — صيد الحرم

ويحرم على المحرم أن يأكل لحم الصيد عملاً بقوله تعالى : « وحرم عليكم صيد البرّ ما دمتم حرماً » وقد جيء إلي بلحم وحش فرددته وقلت : « إنا حرم لا نأكل الصيد » [3] .

هذه هي شريعة الله في تحريم لحم الصيد على المحرم سواء أكان صاده بنفسه أم صاده غيره ، ولكنك لم تعن بذلك فقد أكلته وأنت محرم [4] افعلى عمد تركت السنة أم أنك لا تدري بالحكم؟ وكيف يسوغ لإمام المسلمين أن لا تكون له دراية بمثل هذه الأحكام، فلا حول ولا قوة إلا بالله وهو المستعان على ما تصفون.

٨ — غسل الجنابة

وأوجبت غسل الجنابة على من جامع زوجته سواء أنزل المني أم لم ينزل ،

---

(١) البحر الرائق ٣ — ٩٥ ، بدايع الصنايع ٢ — ٢٦٤ .

(٢) تفسير ابن كثير ١ — ٢٧٦ ، سنن ابن ماجة ١ — ٦٣٤ ، كنز العمال ٣ — ٢٢٣ .

(٣) سنن الدارمي ٢/٣٩ ، تيسير الوصول ١/٢٧٢ ، سنن النسائي ٥ — ١٨٤ .

(٤) المحلى لابن حزم ٨ — ٢٥٤ ، كنزالعمال ٣ — ٥٣ ، مسند احمد ١ — ١٠٠ ، سنن أبي داود ١ — ٢٩١ ، سنن البيهقي ٥ — ١٩٤ .

وهو من الأمور التي لا يجهلها أحد من أصحابي لأنها مما تعم بها البلوى ، ولكنك أفتيت بعكس ذلك فقد سألك زيد بن خالد الجهني فقال لك : أرأيت إذا جامع الرجل امرأته ولم يمن ؟ فقلت له : يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ، ويغسل ذكره ، وقلت إني سمعته من رسول الله (ص) [1] .

أفهل خصصتك وحدك بهذا الحكم ؟ وأخفيته على عموم المسلمين ، والقرآن الكريم قد أعلن وجوب الغسل على الجنب قال تعالى : « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا [2] » .

ما هو المبرر لك على مجافاة سنتي وعلى الإفتراء عليّ بأني قد قلت لك ؟ فواأسفي على أمتي إذ وليتها انت وفيها باب مدينة علمي ومن هو مني بمنزلة هارون من موسى ، العالم بجميع ما تحتاج اليه الأمة .

٩ — تعطيل القصاص :

واستقبلت خلافتك بتعطيل القصاص ، وذلك بعفوك عن عبيد الله بن عمر الذي ثار لمقتل أبيه فقتل بغير حق الهرمزان وجفينة ، وبنت أبي لؤلؤة ، وأراد قتل كل صبي في المدينة فانتهى أمره إلى سعد بن أبي وقاص فساوره وقابله بناعم القول حتى انتزع منه سيفه ، وأودعه في السجن حتى تنظر في أمره ، ولما تمت البيعة لك اعتليت أعواد المنبر ، وعرضت قصته على المسلمين فقلت لهم : « إن الهرمزان من المسلمين ، ولا وارث إلا المسلمون عامة ، وأنا إمامكم ، وقد عفوت أفتعفون ؟ » وأنكر عليك أمير المؤمنين ، ولم يرضى بقضائك فقال لك :

« أقد هذا الفاسق فإنه أتى عظيماً ، قتل مسلماً بلا ذنب » .

وثار في وجه عبيد الله فقال له :

« لئن ظفرت بك لأقتلنك بالهرمزان [3] » .

---

(١) صحيح مسلم ١ — ١٤٢ .

(٢) سورة النساء : آية ٤٣ .

(٣) انساب الأشراف ٥/٢٤ .

واندفع المقداد بن عمر فرد عليك حكمك في هذا الفاسق فقال :

« إن الهرمزان مولى لله ولرسوله، وليس لك أن تهب ما كان لله ولرسوله [1] ».

وقد أنكر عليك خيار المسلمين وصلحاؤهم هذا العفو لأنه كان تعطيلاً لحدود الله ، وكان زياد بن لبيد إذا لقي عبيد الله قال له :

ألا يا عبيد الله مالك مهرب ولا ملجأ من ابن أروى ولا خفر
أصبت دماً والله في غير حله حراماً وقتل الهرمزان له خطر
على غير شيء غير أن قال قائل أتتهمون الهرمزان على عمر
فقال سفيه والحوادث جمة نعم اتهمه قد أشار وقد أمر
وكان سلاح العبد في جوف بيته يقلبه والأمر بالأمر يعتبر

وشكاه عبيد الله اليك فدعوت زياداً ونهيته عن ذلك فلم ينته، وقد تناولك بالنقد فقال فيك :

أبا عمرو عبيد الله رهن – فلا تشكك – بقتل الهرمزان
فإنك إن غفرت الجرم عنه وأسباب الخطا فرسا رهان
أتعفو إذ عفوت بغير حق فمالك بالذي تحكى بدان [2]

وغضبت على زياد ، وزجرته حتى انتهى ، وأخرجت عبيد الله من يثرب إلى الكوفة ، وأنزلته داراً فنسب الموضع اليها فقيل ركوينة ابن عمر[3] ».

وقد خالفت بذلك حكم الله فانه قد الزم الولاة باقامة الحدود وعدم التسامح فيها ، وذلك لصيانة النفوس ، وحفظ النظام ، وليس للحاكم أن يقف موقفاً مائعاً مع المعتدي مهما كان شأنه ، فقد سألت أن أعفو عن سارقة لعظم شأن أسرتها فأجبت :

« إنما هلك من كان قبلكم لأنهم كانوا إذا أذنب الضعيف فيهم عاقبوه ،

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١٤١/٢ .
(٢) تأريخ الطبري ٥ – ٤١ .
(٣) تأريخ الطبري ٥ – ٤١ .

وإذا أذنب الشريف تركوه، والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها [1] ».

وجلدت أصحاب الافك وفيهم مسطح بن أثاثة ، وهو من أهل بدر [2] هذا ما يقتضيه العدل الاسلامي الذي لا يفرق بين الضعيف ، والقوي، وبين الرئيس والمرؤوس ، ولكنك جافيت ذلك فلم تقد عبيد الله لأنه ابن عمر ، ولأنه فتى من فتيان قريش فآثرت رضا آل الخطاب ، ورضا قريش فعفوت عنه، وأبعدته إلى الكوفة خوفاً عليه من بطش الاخيار والصلحاء ، ومنحته داراً يسكن فيها ، وبذلك فتحت باب الفوضى والفساد ، ومكنت ذوي النفوذ والأقوياء أن ينكلوا بالضعفاء الذين ليس لهم ركن يأوون اليه .

وقد الغيت رأي أمير المؤمنين (ع) الذي ألزمك بالقود ، وهو أعلم منك وأدرى بحدود الله، وأحكامه، وقد استجبت لرأي ابن العاص الذي أشار عليك بترك الحد ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، وهو المستعان على ما تصفون .

١٠ – رجم من ولدت ستة أشهر :

ومن غريب أحكامك قضاؤك بالرجم على امرأة ولدت لستة أشهر حينما رفع اليك زوجها الأمر فبلغ علي ذلك فبادى اليك مسرعاً فقال لك :

« ما تصنع ليس ذلك عليها ؟ قال الله تبارك وتعالى : « وحمله وفصاله ثلاثون شهراً » [3] وقال : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين » [4] فالرضاعة أربعة وعشرون شهراً ، والحمل ستة أشهر » .

فبهت ، وقلت معتذراً :

« ما فطنت لهذا ؟ » .

وأمرت بردها ، فوجدتها قد رُجمت ، وقد كانت المرأة طاهرة الذيل، نقية الثوب ذات صلاح وعفة ، وقد خاطبت أختها وهي مروعة قائلة :

---

(١) النظام السياسي في الاسلام ص ٢٢٧ نقله عن الخراج لأبي يوسف ص ٥٠ .

(٢) أسد الغابة .

(٣) سورة الاحقاف : آية ١٥ .

(٤) سورة البقرة : آية ٢٣٣.

« يا أُخيه لا تحزني ، فوالله ما كشف فرجي أُحد قط غيره » .

ولما شب الطفل كانت ملامحه تشبه ملامح أبيه فاعترف أبوه به [1] فكيف تحكم بين المسلمين ، وأنت لا دراية لك بأحكام الله، ولا معرفة لك بحدوده!!

وما أصيبت أمتي بفتنة ولا بكارثة أعظم من يتولى أمرها وشؤونها الجهال والأغبياء ، وفيهم ذوو الكفاءة والعلم والدراية بأحكام الله وشرائعه .

هذه بعض أحكامك التي خالفت بها كتاب الله وسنتي .

ليس الذنب عليك إنما الذنب على من أهلك لامامة المسلمين والبسك هذا الثوب الذي لست أهلاله ، والحاكم هو الله تعالى بين عباده ، فهو الذي يتولى الجزاء بينهم .

اعتراف عثمان باخطائه :

ويعترف عثمان باخطائه ، فيقول : بلى يا رسول الله « قد مسني الكبر ووهن العظم مني ، واشتعل الرأس شيباً » وقد وهت جميع قواي ، وكنت رقيق القلب ، أحب أسرتي، فاخترت مروان بن الحكم مستشاراً ووزيراً، وتناسيت قولك فيه عند ما دخلنا عليك ، فقلت فيه : « الوزغ ابن الوزغ ، الملعون ابن الملعون » نسيت ذلك ففوضت اليه أمر الدولة ، وأنطت به جميع شؤوني ، كما وليت على أقطار المسلمين أبناء أسرتي فأثار علي ذلك حفيظة المسلمين، فتوافدوا على يثرب من مختلف الأقطار مطالبين بالاصلاح الديني ، والاجتماعي ، واقصاء ولاتهم الذين أفسدوا أمور المسلمين وأشاعوا في ربوعهم الفساد والجور ، فلم أستجب لقوتهم ، ولم أعبأ بهم ، وقد جاءني علي مرشداً وناصحاً فأمرني باقامة العدل ، والاستجابة إلى مطاليبهم فلم أذعن له ، ولم أخضع لنصيحته .

وأما مخالفاتي للسنة فقد كان اجتهاداً مني في مقابل النص كما أجتهد قبلي أبو بكر وعمر في كثير من الأحكام المنصوصة عليها فعلى ضوئها سرت في ذلك .

---

(1) الغدير ٨ - ٩٧ .

وقد أثارت علي الأحداث التي أرتكبتها سخط المسلمين فانفجر بركان الثورة في نفوسهم ، وهجموا على داري ، وقتلوني فيها أشر قتلة .. ودفنوني خارج البقيع في حشر كوكب الذي كانت اليهود تدفن موتاهم فيه وقد اتخذ المضللون من أسرتي قميصي فتيلاً لنار الحرب . استنار معاوية بشعاعه ، وأحترق الناس بلهبه ، فقد ألبس معاوية ثوبي منبر الشام فكان ستون الف شيخ يبكون تحته ، وقد أثار الأحقاد والأضغان على أخيك ووصيك وباب مدينة علمك الإمام أمير المؤمنين ، فقد مكنه قتلي من منازعته ، والتمرد على حكه ، وقد تسبب بقتلي حرب الجمل وصفين والنهروان ، وتفتحت أبواب الفتن على المسلمين وشاعت بينكم الموجدة والعداء وانتشر القتل وسفك الدماء .

وقد وقع كل ذلك ، والأمر لله وحده وأطلب منك العفو والغفران ومن الله الرضا .

الرسول «ص» مع القعاد والمعتزلة

ونودي بحضور القعاد الذين تخلفوا عن بيعة الإمام أميــر المؤمنين (ع) ، فأحضر كل من سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، وحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ومسلمة بن مخلد ، وأبو سعيد الخدري ، ومحمد بن مسلمة ، والنعمان بن بشير ، وزيد بن ثابت ، ورافع بن خديج ، وفضالة بن عبيــد ، وكعب بن عجرة ، وعبد الله بن سلام ، وصهيب بن سنان ، وأسامة بن زيد ، وقدامة بن مضعون ، والمغـــيرة بن شعبة ، فوجه النبي (ص) اليهم خطابــه قائلاً :

لماذا لم تبايعوا علياً ؟

ما هو المبرر لتخلفكم عما أجمع المسلمون عليه ؟

لقد استقبل جمهور المسلمين بيعة أمير المؤمنين بالرضا والقبول وبمزيــد من الابتهاج والسرور ، واتساع الأمل والرجاء ، فقد كانت بيعته شرعية بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، فلم تكن بيعته فلتة كبيعة أبي بكر ، ولا بتعيين شخص كبيعة عمر ، ولم تستند إلى تعيين جماعة كبيعة عثمان ، فلم يظفر أحد من الخلفاء بمثل بيعته في شمولها واتساعها ، وقد فرح بها المسلمون جميعاً وقد وصف سرورهم الإمام بقوله :

« وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير ، وهدج اليهـــا الكبير ، وتحامل نحوها العليل ، وحسرت اليها الكعاب » ..

وقد انثال الناس عليه ، وهم يهتفون أنه ليس لنا إمام غيرك يطأ بنا الطريق ، ويوصلنا إلى جادة العدل ، وطريق الرشاد وقد وصف بشدة إقبالهم وزحامهم عليه بقوله :

« فما راعني إلا والناس كعرف الضبع ينثـالون علي من كل جـانب حتى لقد وطىء الحسنان ، وشق عطفاي ، مجتمعين حولي كربيضة الغنم ..» .

فلما نهض بالأمر لإقامة العدل ، وإحياء السنة ، وإماتة البدعة وإقبار الباطل نكصتم على أعقابكم وتخلفتم عن بيعته ، وأظهرتم الاحقاد ، وأعلنتم التمرد حتى ملئتم قلب ابن أبي طالب بالأسى والحزن ، والغيظ .

وأنت يا سعد لقد اعتزلت علياً ، وبررت اعتزالك بقولك :

« إني لا أقاتل حتى يأتوني بسيف مبصر ، عـاقل ناطق ، ينبىء أن هذا مسلم ، وهذا كافر » .

أما سمعت مني غير مرة ما قلته في علي « علي مع الحق ، والحق مع علي » أما سمعت مني قولي فيه « علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » ألم تسمع مني ما قلته فيه يوم غـد يرخم اللهم وال من والاه ، وأنصر من نصره ، وأخذل من خذله » أليس في هذا ما يحملك على لزوم اتباعه ، وطاعته ، وأنت تعلم بقرارة نفسك باطل الأمويين ، وتعلم أنهم ليسوا على الحق ، فلمـاذا تخلفت عن بيعة علي ، واستقبلت خلافته بكثير من القلق والوجوم ، والاضطراب ؟

وأنت يا عبدالله بن عمر لماذا تخلفت عن بيعة أمـير المؤمنين ، وأنت تعلم أن حكومته إنما هي امتداد لحكمي ، وإنها سوف تبسط العدل ، وتنشر الدعـة والرفاهية بين الناس .

وقد ندمت في أواخر أيامك حينما ظهرت الفتن والبدع ، وعرفتم ما جلبتموه على هذه الأمة من الخطوب والويلات ، وتبين لكم سوء مـا فرطتم في حق هذه الأمة ، وقد أعلنت ندمك ـ حيث لا ينفع ـ فقلت :

« إني لم أخرج من الدنيا ، وليس في قلبي حسرة إلا تخلفي عن علي » ، وقد انتقم الله منك في آخر حياتك فاراك الذل والهوان فقد جاء الحجاج ليأخذ منك البيعة إلى عبد الملك بن مروان فجئت تبايع آخر الناس لئلا يراك أحـد فعرف الحجاج غايتك ، وقصدك فأحتقرك وأهانك ، وقال لك :

« لمَ لم تبايع أبا تراب ؟ وجئت تبايع آخر الناس لعبد الملك ، أنت أحقر من أن أمد لك يدي ، دونك رجلي فبايع » .

ومد اليك رجله ، وفيها نعله فبايعتها ، حقاً هذا هو الخسران ، وهذا هو الذل والهوان .

لقد بايعت يزيد بن معاوية الفاسق الأثيم لأن معاوية قد أرشاك بمائة الف دينار [1] فوقفت تسدد بيعته ، وتندد بالمتخلفين عنها ، وتدعو المسلمين الى الرضا بها ، وقد شجبت من بيعة علي ، وتخلفت عنها ، فهل يرضى لك أبوك بذلك ؟!!

وأنت يا أسامة بن زيد يا من كنت أثيراً عندي ، فأمرتك على الجيش ، ولعنت المتخلفين عنك فقلت :

« نفذوا جيش أسامة ، لعن الله من تخلف عن جيش أسامة » وقلت فيك لما استصغروك لهذا المنصب الخطير :

« أيها الناس ، ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ؟ ولئن طعنتم في تأميري أسامة لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله وأيم الله إنه كان لخليقاً بالامارة ، وان ابنه من بعده لخليق بها .. » [2] .

وقد بايعت علياً من قبل غديرخم ، وعرفت منزلته مني ، وحبي وإيثاري له ، فلم تخلفت عنه ؟

أترضى أن يحكم المسلمون بنو أمية ، وآل أبي معيط ، فيذيقون الناس سوء العذاب ، وتتخلف العترة الطاهرة التي هي عديلة القرآن الكريم في لزوم المودة والرعاية لها .

لقد أغدق عليك عثمان بالنعم والأموال ، ووهبك الثراء العريض فنسيت آخرتك وبعتها بدنياك .

لقد تخلفت عن البيعة حتى ترضى عنك بنو أمية ، وتنال ثقتهم فآثرت ذلك على سخط عترتي وأهل بيتي فلا حول ولا قوة إلا بالله .

---

(١) فتح الباري ١٣ - ٥٩ ، تاريخ ابن كثير ٨ - ١٣٧ ، سنن البيهقي ٨ - ١٥٩ .

(٢) السيرة الحلبية ٣ - ٣٤ .

وأنت يا حسان بن ثابت أيها الشاعر الموهوب الذي دافعت عن المسلمين بأدبك ، وببليغ شعرك لماذا انحرفت عن سنن الحق والعدل ؟

ألم تبايع علياً يوم غدير خم ؟

أولست أنت القائل في بيعته ؟

يناديهم يوم الغدير نبيهم	بخم واسمع بالرسول منادیا
فقال فمن مولاكم ونبيكم	فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت نبينا	ولم تلق منا في الولاية عاصيا
فقال له : قم يا علي فإنني	رضيتك من بعدي إماماً وهادياً
فمن كنت مولاه فهذا وليه	فكونوا له أتباع صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وليه	وكن للذي عادى علياً معاديا[1]

ألم تقل هذا الشعر الرائع البليغ في بيعة علي ، فلماذا أحجمت عن بيعته ، وتخلفت عما دخل فيه المسلمون .

إن سبب ذلك هو ما أغدق عليك به عثمان من النعم والأموال فآثرت ذلك على رضا الله فلا حول ولا قوة إلا بالله وهو المستعان على ما تصفون .

وأنت يا أبا سعيد الخدري ما كان ظني بك أن تبلغ الى هذا القرار السحيق فتنحرف عن علي ، وقد علمت مكانته ، ومنزلته مني ، وأنه خير من خلفته في أمتي ، وقد رويت عني الشيء الكثير مما قلته في حقه ، أليس الواجب عليك ان تبادر الى بيعته ، وان تقوم بمساندتــه ، وتشد عضده ولكن يا للأسف تخلفت عن بيعته لتسدي بذلك يداً على بني امية وعلى آل ابي معيط ، فإنا لله وانا اليــه راجعون والأمر لله وحده .

ويلتفت النبي (ص) الى بقية القعاد فيقول لهم :

وماذا نفحتم من اخي ووصيي فلمَ لم تبايعوه ، فهل ظننتم انه يستأثر باموال

---

(١) الغـديـر ٢-٣٤ .

المسلمين ، او يميز قوماً على آخرين في العطاء وغيره ، وانتم تعلمون من دون شك انه سيعيد بين المسلمين سيرتي ، ويسير فيهم بسياسي، ويطبق احكام الله وعدله في الأرض ، وانه يحمل الناس على الطريق الواضح ، والمحجة البيضاء ، ولا يدع بأي حال مجالاً إلى الفقر والحرمان بين الناس .

وقد رايتم ايام حكمه كيف سار بين المسلمين ، وكيف اقتدى بي في جميع مجالات حكمه فلم يؤثر احداً على احد ، ولم يتاجر بأموال الأمة ، ولم يشتر ضياعاً ، ولا داراً ، ولم يتخذ لنفسه ثوباً ، او مسكنا .

فلماذا تخلفتم عن بيعته ، ومكنتم الفرص الى القوى المنحرفة عن الاسلام والباغية عليه ان تستولي على زمام الحكم فتعبث في الأرض فساداً ، وتبغي على المسلمين .

ويسود عليهم وجوم مرهق . ولا يجدون جواباً يدافعون به عن نفوسهم .

الرسول «ص» مع طلحة والزبير

وبعد ما انتهى دور القعاد والمعتزلين عن بيعة علي صدرت الأوامر من الحق باحضار طلحة والزبير ، فاحضرا ، ويوجه النبي لهما (ص) السؤال قائلاً :

وأنت يا طلحة والزبير لماذا أتيتما بيعة على مختارين ، ونكثتموها متنمرين ، فأثرتموها عليه حرباً شعواء توقدون جذوتها ، وتسعر أمكم عائشة ، لهبهـــا ، وهي تطوي البيداء وتقود الجيوش لمحاربة خليفتي ووصيي علي ، وقد أمرها الله أن تقر في بيتها .. وقد هتكتم بخروجها معـــكم حرمي ، وصنتم حلائلكم .. ونكثتما الإيمان المغلظة التي اقسمتموها لعلي عندما أردتما الخروج معتذرين بالعمرة ، وقد اضمرتما الغدرة تلبيـــة لنداء الشيطان الذي وسوس في صدوركما ، والهب في نفسيكما نار الحسد لعلي فساقكما ، وامكما إلى ساحة الموت والدمار لم ترعيا حرمتي ، ولم تلحظا مقامي فأبرزتما حليلتي ، فجعلتموهـــا قائدة الجيش ، تقود العساكر وتدفعهم إلى ميادين القتال :

صنتم حلائلكم ، وقدتم أمكم	هـــذا لعمرك قلة الانصاف
أمرت بجر ذيولهـــا في بيتها	فهوت تشق البيد بالايجـــاف
غرضا يقاتل دونها أبناؤهـــا	بالنبـــل والخطي والاسياف
هتكت بطلحة والزبير ستورها	هذا المخبر عنهـــم والكافي

لمَ تمردتما يا طلحة والزبير على علي ؟ وأنتما تعرفان مقامه ، وتعلمان بحقيقته للخلافة وذلك لما يتمتع به من المثل الكريمة فقـــد توليت تربيته منذ نعومـــة أظفاره ، وأفضت عليه بعلمي ومعارفي وقد وصف تربيتي له بقوله :

« وضعني في حجره ، وأنا ولد يضمني إلى صدره ، ويكنفني إلى فراشـــه ،

ويمسني جسده ، ويشمني عرقه ، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه ، والله كنت أتبعه اتباع الفصيل إثر امه ، يرفع لي كل يوم من أخلاقه علماً ، ويأمرني بالإقتداء به ، ولقد كان يجاورني في كل سنة بغار حراء فأراه ولا يرى غيري » ..

وقد صار بتربيته المثل الأعلى للانسانية الكريمة ، وطهرت نفسه من جميع افانين الباطل وصفت ذاته من جميع رواتب الشرك ، وأحقاد الجاهلية ، فلماذا أعلنتما التمرد والعصيان على حكومته .

يا زبير لقد كنت من أقرب الناس إلى علي ، ومن أعطفهم عليه ، وأعرفهم لحقه ، وقد وقفت إلى جانبه حينما تقمص الخلافة أبو بكر فأعلنت استنكارك عليه ، ولزمت جانب علي ، وبعد مقتل عثمان خطبت الناس في المسجد فقلت ممثلاً نفسك وصاحبك طلحة .

« أيها الناس ، إن الله قد رضي لكم الشورى . فاذهب بها الهوى ، وقد تشاورنا فرضينا علياً فبايعوه » ..

فكنت تدعو الناس، وتعمل جميع الوسائل لارجاع الحق الغصيب إلى علي، وقد اجتمعت ومعك طلحة ، وعمار بن ياسر ، وأبو الهيثم، وأبو رفاعة، ومالك ابن عجلان ، والكثيرون من المهاجرين والأنصار ، والوفود من أهل الامصار ، وأهل البوادي حتى ضاق المسجد بالجمع فتذاكرتم بشأن الخلافة فلم تروا أحداً أحق ولا أولى بها من علي ، وقد خطب ابن الاسلام عمار بن ياسر فقال :

« أيها الأنصار . لقد سار فيكم عثمان بالأمس بما رأيتموه ، وأنتم اليوم على شرف من الوقوع في مثله إن لم تنظروا لأنفسكم .. وإن علياً أولى الناس بهذا الأمر لفضله وسابقته » .

فعلت الأصوات من رحبات المسجد مجمعة على الرضا به ، وعلى انتخابه للخلافة ، والتفت عمار إلى الحشود الزاخرة فقال :

« أيها الناس ، إنا لم نولكم إلا خيراً ، وأنفسنا إن شاء الله . وإن علياً من قد عرفتم . وما نعرف مكان أحد أهلاً لهذا الأمر ، ولا أولى به » ..

فهتف الجميع « قد رضينا .. وهو عندنا كما ذكرت وأفضل » .

وانطلق الجمع من أهل يثرب وأهل الأمصار ، وفي طليعتهم انت وطلحة ، إلى علي المعتزل في داره فأخرجتموه منها ، وهو كاره مرغم ، والجميع ينادون:

« يا أبا الحسن إن هذا الرجل قد قُتل ولا بد للناس من إمام ، ولا نجد اليوم أحق بهذا الأمر منك . لا أقدم سابقة ، ولا أقرب من رسول الله » ..

فأجابهم بالرفض والامتناع قائلاً :

« لا تفعلوا ، ولا أفعل . فإني أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً » .

فهتف الناس قائلين : « انت لنا امير »

وأصر علي على الامتناع قائلاً :

« لا حاجة لي في أمركم ، أيها الناس أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به».

وألح عليه الجميع وأعادوا الطلب فأصر على عدم قبول خلافتكم التي سوف تجر له المحن والخطوب ، وأخبر الجميع عن الأحداث الرهيبة التي تحل بالمسلمين من جراء الحزبية السائدة التي أوجدها أنصار الحكم الأموي وسائر المنتفعين قائلاً :

« دعوني والتمسوا غيري ، أيها الناس إنا مستقبلون أمراً له وجوه ، وله ألوان . لا تثبت له العقول ، ولا تقوم له القلوب » .

وراح ابن الاسلام البار الجندي المتحمس لعقيدته ودينه مالك الأشتر يتوسل بالإمام ، وينشده باسم الإسلام وباسم الأمة ، أن يقبل هذا الأمر ، ويجيب القوم إلى ما أرادوه قائلاً :

« ننشدك الله ، ألا ترى ما نرى . ألا ترى ما حدث في الإسلام ؟ ألا تخاف الفتنة ؟ ألا تخاف الله » .

وبعد روية وتفكير من علي يجيبهم أنه إن تولى أمرهم حملهم على كتاب الله ، وسنتي قائلاً :

« إني إن أجبتكم ركبت فيكم ما أعلم ، وإن تركتموني فانما أنا كأحدكم ، بل أنا من أسمعكم ، وأطوعكم لمن وليتموه أمركم » ..

فصاحوا هاتفين :

« ما نحن بمفارقيك حتى نبايعك » .

فرّق لهم علي ، وخاف من حدوث الفتنة والإنشقاق بين صفوف المسلمين فأجابهم إلى ذلك ، وقال لهم :

« إن كان لا بد من ذلك ففي المسجد ، فإن بيعتي لا تكون خفية . ولا تكون إلا عن رضى المسلمين ، وفي ملأ جماعتهم » ..

لقد أراد علي أن يكون انتخابه حراً وعاماً ، يستوي فيه جميع المسلمين ، ولا يكون بالقهر والغلبة ولا بشهر السيوف والحروب كما كانت بيعة غيره .

ولما كان الغد تزاحم المسلمين على باب داره ، وتداكوا عليه تداك الإبل الهيم على وردها حتى كاد بعضهم يسحق بعضاً وانطلقوا مهللين ومكبرين إلى المسجد فاعتلى علي أعواد المنبر فخطب الناس ، فقال في خطابه :

« أيها الناس عن ملأ وأذن ، إن هذا أمركم . ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم ، وقد افترقنا بالأمس على أمر . فإن شئتم قعدت لكم وإلا فلا أجد على أحد » ..

فجاء الجواب إجماعياً :

« نعم على ما فارقناك عليه بالأمس » ..

ويعيد عليهم القول حتى لا يدعي أحد أنه قسر المسلمين أو أكرههم على مبايعته ، بل إنما كانت بمحض ارادتهم ، وحديثهم واختيارهم ، وانطلق يقول:

« إني كنت كارهاً لأمركم ، فأبيتم إلا أن أكون عليكم .. رضيتم بذلك » ..

(نعم .. نعم) .

« اللهم إشهد عليهم » .

وتدافعوا عليه كالموج ، وفي طليعتهم كبار المهاجرين والأنصار فأول يد مُدت إلى بيعته يدك يا طلحة تلك اليد الشلاء التي سرعان ما نكثت بها عهد الله [1] وجاء الزبير فبايع ، وبايعه جمهور المسلمين عن رضى ، ومحبة وسرور ،

---

(١) كانت يد طلحة شلاء فتطير منها الامام ، وقال : ما أخلقه أن ينكث ، فكان ما قال : جاء ذلك في العقد الفريد ٩٣/٣ .

وعمت الأفراح الجميع فقد أطلت عليهم حكومة الحق ، وحكومة العدل ، وتقلد الخلافة أبو الفقراء وناصر المظلومين .

فلا استغلال ، ولا مواربة ، ولا استبداد ، ولا انقياد للنزعات والعواطف.

التأييد الشامل :

وأجمع المسلمين على الرضا ببيعة علي فقد انبرى أعلام الاسلام و كبار الصحابة ، إلى اعلان تأييدهم لبيعة الإمام ، وحثوا المسلمين على تدعيمها وهم :

١ — خزيمة بن ثابت :

وانطلق الصحابي العظيم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين فخاطب علياً قائلاً له :

« ما أصبنا لأمرنا هذا غيرك ، ولا كان المنقلب إلا اليك ، ولئن صدقنا أنفسنا فيك لأنت أقدم الناس إيماناً ، وأعلم الناس بالله ، وأولى المؤمنين برسول الله (ص) لك ما لهم وليس لهم ما لك » ..

وجرت على لسانه أبيات خاطب بها الجماهير قائلة :

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا ... أبو حسن مما نخاف من الفتن
وجدناه أولى الناس بالناس أنه ... أطب قريش بالكتاب وبالسنن
وإن قريشاً ما تشق غباره ... إذا ما جرى يوماً على الغمر البدن
وفيه الذي فيهم من الخير كله ... وما فيهم كل الذي فيه من حسن (١)

---

(١) مستدرك الحاكم ٣/١١٥ ، وذكر السيد المرتضى في الفصول المختارة ٢/٦٧ زيادة على هذه الأبيات وهي :

وصي رسول الله من دون أهله ... وفارسه قد كان في سالف الزمن
وأول من صلى من الناس كلهم ... سوى خيرة النسوان والله ذو المنن
وصاحب كبش القوم في كل وقعة ... يكون لها نفس الشجاع لدى الذقن
فذاك الذي ثنى الخناصر باسمه ... أمامهم حتى أغيب في الكفن

٢ ـ صعصعة بن صوحان :

وقام الطيب الصحابي الجليل صعصعة بن صوحان فخاطب الإمام قائلاً له :

« والله يا أمير المؤمنين لقد زينت الخلافة ، وما زانتك ، ورفعتها وما رفعتك ، ولهي اليك أحوج منك اليها [١] » ..

٣ ـ ثابت بن قيس :

وانبرى ثابت بن قيس خطيب الأنصار فخاطب الإمام :

« والله يا أمير المؤمنين ، لئن كان قد تقدموك في الولاية فما تقدموك في الدين ، ولئن كانوا سبقوك أمس لقد لحقتهم اليوم ، ولقد كانوا وكنت لا يخفى موضعك ولا يجهل مكانك يحتاجون اليك فيما لا يعلمون ، وما احتجت إلى أحد مع علمك » .

٤ ـ مالك الأشتر :

واندفع المؤمن الثائر على الظلم والطغيان مالك الأشتر فخاطب الناس معرفاً لهم بحقيقة علي قائلاً :

« أيها الناس هذا وصي الأوصياء ، ووارث علم الأنبياء ، العظيم البلاء ، الحسن العناء ، الذي شهد له كتاب الله بالإيمان ورسوله بجنة الرضوان ، من كملت فيه الفضائل ، ولم يشك في سابقته وعلمه وفضله الأواخر ولا الأوائل » ..

٥ ـ عقبة بن عمرو :

وانبرى عقبة بن عمرو فأخذ يتلو فضائل أبي الحسين قائلاً :

« من له يوم كيوم العقبة ، وبيعة كبيعة الرضوان ، والإمام الأهدي الذي لا يخاف جوره ، والعالم الذي لا يخاف جهله [٢] » ..

وتتابعت الخطب من كبار الصحابة وهم يشيدون بفضائل ابي الحسن ، ويذكرون مناقبه ومآثره ، ويدعون المسلمين إلى الالتفاف حوله .

---

(١) بهذا المضمون قال احمد بن حنبل في علي « ان الخلافة لم تزين علياً بل علي زانها » ذكر ابن الجوزي في مناقب احمد ص ١٦٣ .

(٢) تأريخ اليعقوبي ٢ ـ ١٥٥ .

ولم يظفر أحد بمثل هذه البيعة في شمولها ورضا المسلمين بهـــا فلماذا أعلنتما التمرد والعصيان بعد بيعتكما له ؟

لقد حقق ابن أبي طالب في دور حكومته أهم ما يتطلبه الاســـلام من أهداف ، فقد قضى على الغبن الاجتماعي ، والظلم الاجتماعي وحقق للمسلمين أهم ما يصبون اليه من العدالة والمساوات، وفيما يلي عرض لبعض منجزاته الاصلاحية .

مصادرة الأموال المنهوبة :

وكانت فاتحة الأعمال التي قام بها أن أصدر قراره الحاسم برد القطائع التي استأثر بها عثمان بن عفان ، وبرد الأموال المنهوبة التي منحها لبني أمية وآل أبي معيط لأنها جميعاً قد أخذت بغير وجه مشروع، وقد صودرت أموال عثمان حتى سيفه ودرعه ، وقد استقبل النفعيون هذا القرار وبكثير من الوجوم والاضطراب وأنت يا طلحة والزبير فقد خفتما على ما في أيديـــكم من الأموال التي استوليتم عليها بغير وجه مشروع ، فأظهرتما بوادر البغي والشقاق ، وأعلنتما التمرد على حكومته .

وقد تتبع علي كل دور بذل في غير وجهه ، ولغير مستحقه فأعاده إلى بيت المال ، وبذلك فقد حقق سنتي الداعية إلى إقامة الحق والعدل .

وقد أعلن أمام المسلمين عن خطة دستوره تجاه الأموال الضخمة التي وهبها عثمان فقال :

« إن كل قطيعة أقتطعها عثمان ، وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال .. فان الحق لا يبطله شيء ولو وجدته قد تزوج بـه النساء ، وملك الاماء وفرق في البلدان لرددته .. فان في العدل سعة ، ومن ضاق عليـه الحق فالجور عليه أضيق .

أيها الناس : ألا لا يقولن رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيـــا فامتلكوا العقار ، وفجروا الأنهار ، وركبوا الخيل ، واتخذوا الوصائف المرققـة . إذا

منعتهم ما كانوا يخوضون فيه ، وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون : « حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا » .

ألا أيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله (ص) يرى أن له الفضل على سواه لصحبته . فإن الفضل عند الله . وأيما رجل استجاب لله ولرسوله فصدق ملتنا ، ودخل ديننا ، واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده .

وقد أثارت هذه السياسة التي انتهجها أحقادكم وسخطكم فأنتم تريدون ان أبي طالب لدنياكم ، وهو يريدكم للآخرة .

لقد نهج الإمام سيرتي ، واقتدى بهداي وسلوكي فإني‌ما جئت لأوجد الثراء والنعيم عند الوجهاء وذوي النفوذ ، وإنما جئت لأبسط العدل، والحق ، وأقضي على جميع الفوارق الإجتماعية ، وقد ثارت عليه قريش وسخطت كما ثارت علي .

إن الامام أراد بسط العدل ، وتحقيق الرفاهية بين المسلمين ، وقد وقفتم دون تحقيقها ، ووضعتم الحواجز عليها وملئتم الدنيا عليه ضجيجاً فـإنا لله وإنا إليه راجعون .

اعلان المساواة :

وانطلق علي رائد العدالة الإجتماعية فأعلن المساواة العادلة بين جميع المسلمين ، وهدم الحواجز التي خلقها من تقدمه من الخلفاء فأول عمل قام به ان أمر خازن بيت المال عبد الله بن أبي رافع فوزع الأموال تحت اشرافه فأخذ كل واحد من المسلمين نصيبه كاملاً كبيرهم وصغيرهم، سوقتهم وخاصتهم فوزعه على شرعة الله.

فكان نصيب كل واحد من السادة والعبيد ثلاثة دنانير سواء بسواء، ومشت اليه جماعة من الانتهازيين تبلغه استنكارها ، وطالبته بالعدول عن خطته فأجابهم :

« أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وُليت عليه ، والله ما أطور به ما سمر سمير ، وما أمّ نجم في السماء نجماً ، لو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف

وانما المال مال الله :

ألا وان إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا، ويضعه في الآخرة ويكرمه في الناس ويهينه عند الله .. »[1] .

وجئت يا طلحة ويا زبير لابسين الأراقم تظهران النصح ، وتبطنان الخلاف ، فنصحتماه بالعدول عن المساواة إلى التمييز الطبقي ، لتستتب الدعوة في الدولة ، ويتوطد الحكم في البلاد ، ويسير بين الناس بسياسة عمر المالية .

فأجابكما علي بمنطق الحق والايمان قائلاً :

«أما ما ذكرتما من أمر الأسوة يأخوتاه فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيي ، ولا وليته هوى مني ، بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله. قد فرغ منه ، فلم احتج إليكما فيما فرغ من قسمه ، وأمضى فيه حكمه ... فليس لكما والله ولا لغيركما عندي في هذا عتبى ..» ورجالكما النصح، وأمركما بالانصياع الى الحق ، وسلوك جادة العدل قائلاً :

« ألا رحم الله امرء رأى حقاً فأعان عليه ، أو رأى جوراً فرده ، وكان عوناً بالحق على صاحبه .. » .

فلم تتأثرا بالنصيحة ، وأردتما منه أن يفسد أمر آخرته لدنياكم وهيهات أن يستجيب لذلك ابن أبي طالب ، وهو رائد الحق والعدالة .

لقد سار في حكمه على هدي الكتاب العزيز فلم يميز قوماً على آخرين ، ولم يوارب ، ولم يصانع، قد صمد في وجه الأعاصير وقد أعرب عن خطته وسياسته بقوله :

« يوجد الضعيف الذليل عندي قوياً حتى آخذ له بحقه، والقوي العزيز عندي ضعيفاً ذليلاً حتى آخذ منه الحق ، القريب والبعيد عندي في ذلك سواء » .

---

(١) نهج البلاغة محمد عبده ٢ — ١٠ .

لا محاباة عنده لقوي ، ولا اجحاف بضعيف ، وإنما كان يبغي الحق ، ويلتمس وجه الله ، ورضاه في جميع تصرفاته .

عزل ولاة عثمان :

وعمد علي في أول خلافته إلى عزل ولاة عثمان ، واقصائهم عن وظائفهم لأنهم مجموعة من الخونة المستحلين لأموال الناس ، وأخذها بغير حق، وقد أشار عليه عبد الله بن عباس ، والمغيرة بن شعبة بابقائهم ريثما يتم له الحكم ، وتشب له الأمور ، فردهم رداً صارماً فقال :

« والله لو كانت ساعة من نهار لأجتهدت فيها برأيي ، ولا وليت هؤلاء».

وهذا منطق العدل كيف يسوغ له أن يبقي اللصوص والخونة على كراسى الحكم فانه لو أبقاهم لكان ذلك إقراراً منه لهم على الظلم والجور والخيانة .

وبادره المغيرة فقال له :

« إنزع من شئت ، واقرر معاوية .. فان لمعاوية جرأة ، وهو في أهل الشام يسمع منه . وأن لك حجة في اثباته . إذ كان عمر بن الخطاب قد ولاه » ..

ويصر علي على عزله ، واتباع سنة الحق قائلاً :

« لا والله لا أستعمل معاوية أبداً » ..

ويتبع على موازين العدل ، وإن جرت له المتاعب والمصاعب ، وأعقبت له الاخفاق في الميادين السياسية فانه لم يكن بأي حال يتطلب السلطة والحكم بما أنها وسيلتان للإثرة والاستغلال والتفوق على الناس ، وإنما كان هدفه إقامة الحق ، وبسط العدل ، ونشر الأمن والدعة بين الناس .

عماله وولاته :

وعهد علي إلى خيار المسلمين وصلحائهم في ولاية شؤون الأمصار والأقاليم

الإسلامية ، ولم يمنح أحداً من عماله وولاته محاباة أو اثرة ، وإنما كان يتحرى ذوو الكفاءة والقابلية وحسن السيرة ، والاصلاح بين الناس .

وولاته أمثال محمد بن أبي حذيفة ، وقيس بن سعد بن عبادة ، ومحمد بن أبي بكر ، ومالك الأشتر ، وعثمان بن حنيف الأنصاري ، وأخوه سهل بن حنيف، وعبد الله بن العباس وأخوه عبيد الله ، وأمثال هؤلاء من المؤمنين والمتحرجين في دينهم .

وقد عهد إلى جميع عماله أن يقوموا بالاصلاح الشامل بين الناس وأن يتعهدوا أمورهم ، وأن لا يرهقوا أحداً ، وأن يسيروا بين الناس سيرة قوامها العدل الخالص ، والحق المحض ومن وصاياه المكررة لهم :

« وانصفوا الناس من أنفسكم ، واصبروا لحوائجهم ، فانكم خزان الرعية ، ولا تحسموا أحداً عن حاجته ، وتحبسوه عن طلبته ، ولا تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ، ولا صيف ، ولا دابة يعملون عليها ، ولا عبداً ، ولا تضربن أحداً سوطاً لمكان درهم » ..

لقد بلغ علي قمة العدل في وصيته هذه فقد حاول أن يمحي شبح الفقر ويقضي على ظل البؤس ، وعلى سائر ألوان الغبن والظلم ، فلماذا كرهتم هذه السيرة ؟ وحاربتم هذه السياسة العادلة التي تنشد كرامة الإنسان وحقهم في الحياة .

أما دستوره في توظيف الولاة والعمال فخلاصته ما كتب به إلى الأشتر النخعي وهو يمثل مدى عمق الإمام ونظره الصائب إلى اصلاح المجتمع في ميادين الإدارة والحكم يقول في عهده :

« انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً ، ولا تولهم محاباة واثرة فانهم جماع من شعب الجور والخيانة ، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة ، والقدم في الاسلام فانهم أكثر أخلاقاً ، وأصح أعراضاً ، وأقل في المطامع اسرافاً ، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً ... ثم إسبغ عليهم الأرزاق . فان ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم ، وغني لهم عن تناول ما تحت أيديهم .. وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك . ثم تفقد

أعمالهم ، وابعث العيون من أهل الصدق عليهم . فان تعاهدك في السر لأمورهم حدوه لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية » ..

وهذا الدستور الخالد قد حوى جميع مقومات النهوض والإرتقاء للأمة وجعل السلطة الحاكمة معنية بشؤون المسلمين والرفق بهم .

وقد جاء في هذا الدستور النهي عن كشف معائب الناس ، وتتبع عوراتهم يقول :

« وليكن أبعد رعيتك منك ، وأشقاهم عندك أطلبهم لمعائب الناس .. فان في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها .. فلا تشكفن عما غاب عنك منها . فانما عليك تطهير ما ظهر منها » ..

وقد مثل ذلك عدالة الاسلام ورحمته ، ورفقه الشامل بالناس .

وكان ينهي ولاته عن بطانة السوء التي تتمسك بجميع الوسائل لكسب المنافع المادية لها يقول (ع) :

« لا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ، ويعدك الفقر ، ولا جباناً يضعفك عن الأمور ، ولا حريصاً يزن لك الشره بالجور .. فان البخل والجبن والحرص غرائز شيء يجمعها سوء الظن بالله » ..

ونهى (ع) عن اتخاذ الظلمة والأشرار وزراءً يقول (ع) :

« إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً ، ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة ، فانهم أعوان الأئمة واخوان الظلمة ، وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم » ..

إن وصايا علي للعمال والولاة قد احتوت على جميع برامج العدل ، وأصول الحق ، والحكم الصالح الذي ينعش الشعوب ، ويبعث في النفوس الرضا والطمأنينة .

زهده :

وسجل التأريخ على شاشة الحياة صوراً رائعة من زهد علي يهتدي بها المتقون

والصالحون فمن ذلك ما حدث به عقبة بن علقمة قال :

دخلت على علي فاذا بين يديه لبن حامض آذتني حموضته ، وكسراً يابسة ، فقلت له :

ــ يا أمير المؤمنين أتأكل مثل هذا ؟

ــ يا أبا الجندب .. كان رسول الله(ص) يأكل أيبس من هذا ويلبس أخشن من هذا .. فإن لم أكن آخذ به خفت أن لا ألحق به .

ولو أراد علي أن يتنعم في دنياه لكان له ذلك ، وباستطاعته فقد كانت خزائن الدولة بيده وتحت تصرفه ولكنه أبى إلاأن يطلق لذائذ العيش ورغائب الحياة فلم يبن لبنة على لبنة ولم يتخذ لبالي ثوبه طمراً إلى أن لحق بالرفيق الأعلى ولم يترك صفراء ولا بيضاء سوى سبعمائة درهم اتخذها من عطائه ليشتري بها خادماً لأهله يستعينون به على حوائجهم وشؤونهم فماذا نقمتم من ابن أبي طالب ؟ فهل استأثر بأموال المسلمين ؟

وهل خص ذويه وأبنائه بأموال الدولة ، وهل وظف أحداً من أقربائه وأسرته ، فالأمر لله وحده وهو الحاكم المطلق الذي لا يظلم أحداً بحكمه .

دفاع طلحة والزبير :

وينبري طلحة والزبير للدفاع عن نفسيهما قائلين :

يا نبي الله . بايعنا علياً مخافة أن يتخطفنا الناس باسيافهم وكنا نعتقد أنه سيسرع بالقصاص من قتلة عثمان فقد قتل مظلوماً وكان عليه يقتص من قتلته .

وكنا نطمع أن يشركنابالأمر كمستشارينأوولاة لأننا من سادات المهاجرين ، ومن السابقين للاسلام ، ومن المحاربين القدماء البارزين في المجتمع حسباً وشجاعة وسياسة ، وقد جعلنا عمر نظيرين له بالترشيح للخلافة .

فبادرنا لمبايعته يقيناً منا أنه سيرفعنا مكاناً علياً ، ويؤثرنا بالمال والسلطة على

سائر المسلمين ، فإذا به يحبهنا عن كل مطلب سعينا به إليه ، وساوى بيننا وبين الدهماء، والغوغاء ، والمغمورين ، والاخلاط من العجم والموالي ، أفهل أن ذلك من العدل والانصاف .

جواب النبي (ص) :

ويفند (ص) مزاعمها ، وأساطيرهما فيقول لهما :

أما تهمة علي بدم عثمان فأمر لا واقع له ، وأنتما تعلمان ببراءته من دمه فقد دافع عنه الثوار مراراً ، وتكراراً ، وكان يخرج إلى مضاربهم خارج المدينة متوسلاً إليهم أن يرجعوا إلى أمصارهم .

وقد أسدى علي النصح لعثمان غير مرة بأن يعدل في الحكم ، ويجنب الأمة ما يحدثه قتله من أزمات وشرور .

وقد استرق علي عواطف الثوار حينما حاصروا عثمان ومنعوا عنه الماء فقد قال لهم :

« أيها الناس أن الذي تصنعون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين لا تقطعوا عن الرجل الماء . فإن الروم وفارس لتؤسر فتطعم وتسقى، وماتعرضكم لهذا الرجل ؟ ففيم تستحلون حصره وقتله » ؟.

وبعد هذا فهل يمكن أن يتهم علي بدمه أو بالتآمر عليه؟ ولو إنصاع لارشاد علي ونصحه لما قتل وما انتهكت كرامته .

وأماالقصاص من قتلة عثمان فهل يمكن يقيم أن على الحدعليهم والثوار سيوفهم على عواتقهم ، وكيف له بمعرفة قتلته ، وقد اشترك في قتلة وفود مصر والكوفة والبصرة وأهل البوادي وأهل المدينة ، فكيف يسوغ له أن يقيم الحد على هؤلاء باسرهم .

وأنت يا طلحة والزبير قد اشتركتما في قتل عثمان ، فقد رفعتما راية التمرد ،

والعصيان وأبيتما شيعتكما من البصريين والكوفيين على قتله .

وأنت يا طلحة قد منعت وصول الماء إليه وباشرتَ حصار داره ، وأعنت الثوار على قتله، وكنت تمجد فيهم روح الثورة والنضال في نفوس الثوار للاطاحة بحكومته .

وقد نهاك علي عن منع الماء عن عثمان فكتب إليك وهو خارج المدينة بأمرك بأن تمكنه من الماء ، وهذا نص ما كتبه إليك :

« دع الرجل يشرب من مائه ، وبئره ولا تقتلوه من العطش » وقد مر بك مجمع بن جارية الأنصاري فسألته :

— ما فعل صاحبك ؟

— أظنكم والله قاتليه .

— فإن قُتل فلا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل .

وكان عثمان يعلم بتحريضك عليه ، وباثارتك الأحقاد ، والضغائن ضده ، فكان يكثر من الدعاء عليك ، وكان يقول في دعائه :

« اللهم قني طلحة بن عبيد الله ، فإنه حملهم علي ، والبسهم. والله إني لأرجو أن يكون منها صفراً . وأن يسفك دمه ، إنه انتهك مني ما لا يحل له .. » .

وقد باشرت الحصار عليه في داره ، فكنت مقنعاً بثوب متستراً عن أعين الناس ترمي داره بالسهام .

ولما امتنع على الذين حصروه الدخول عليه من باب الدار حملتهم الى دار عمر ابن حزم الواقعة الى جانب دار عثمان فتسوروا منها .

وكنت خلال مدة الحصار أربعين يوماً تصلي بالناس، مرشحاً نفسك للخلافة وعثمان بعد حي لم يقتل .

أعلي هو المتهم بقتل عثمان أم أنت ؟

وأين كنت يا طلحة ويا زبير عن الدفاع عن عثمان عندما كتب من في المدينة إلى من بالآفاق يستجيرون بهم إلى إنقاذ المسلمين من جور عثمان وظلم ولاته ، فقد كتبوا إليهم .

« إنكم إنما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عز وجل ، تطلبون دين

محمد صلى الله عليه وآله ، فإن دين محمد قد أفسده خليفتكم فاقيموه »[1] وأرسل الصحابة الى أهل مصر مذكرة هذا نصها :

« من المهاجرين الأولين وبقية الشورى الى من بمصر من الصحابة والتابعين ، أما بعد : أن تعالوا الينا ، وتداركوا خلافة رسول الله قبل أن يسلبها أهلها ، فان كتاب الله قد بُدل، وسنة رسوله قد غيرت ، وأحكام الخليفتين قد بدلت فننشد الله من قرأ كتابنا من بقية أصحاب رسول الله ، والتابعين باحسان إلا أقبل الينا ، وأخذ الحق لنا ، وأعطاناه ، فأقبلوا إلينا إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وأقيموا الحق على المنهاج الواضح الذي فارقتم عليه نبيكم ، وفارقكم عليه الخلفاء ،غلبنا على حقنا ،واستولى على فيئنا ،وحيل بيننا وبين أمرنا وكانت الخلافة بعد نبينا خلافة نبوة ورحمة ، وهي اليوم ملك عضوض ، من غلب على شيء أكله .. » [2] .

فأين أنتما عن هذه الرسائل التي ألهبت نار الثورة على عثمان ؟ حتى أحاط به الثوار وأردوه قتيلا يتخبط بدمائه ، فلم يكن دم عثمان هو الذي دفعكما إلى الثورة على علي وإنما أطماعكم في الولاية والامرة وحبكما للثراء العريض هو الذي دفعكما الى اعلان التمرد والعصيان على علي .

وأما تميزكما على سائر المسلمين واشراكه لكما في الحكم ، فانه لم يكن له ان ينهج غير سنتي وسياستي ، وقد عرفتم اني هدمت الحواجز بين الناس ، والغيت التمايز عملا بقوله تعالى : « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وقد سار علي على نهجي في سياسته المالية والاجتماعية ، وقد عرفتماه شاباً وكهلا لا يؤثر رضاء الناس على رضاء الله كما لم يؤثر على رضاء غيره .

فالله هو الحاكم الفصل بيننا وبينكم ، فأنتما مسؤلان عما حدث في المسلمين من النكبات والويلات ،فلولا تمردكما لما وجد معاوية الى اعلان العصيان سبيلا.

وقد اغرقتما البلاد بالفتن والخطوب والويلات واشعتم الحزن والحداد بين المسلمين ، وفرقتما الكلمة ، وافسدتما امر الأمة .

---

(١) حياة الامام الحسن ١ — ٢٧٣ .

(٢) الامامة والسياسة ١ — ٣٥ ،

الرسول «ص» مع عائشة

يوجه النبي (ص) خطابه الى عائشة ، وهو حزين النفس قائلاً لها بنبرات تقطر أسى . .

يا أم المؤمنين .

يا من حفظت أربعين ألف حديث .

لماذا خرجت على أخي ووصيي ، وباب مدينة علمي ، وأبي سبطى ، ومن هو مني بمنزلة هارون من موسى ؟!

هل استأثر علي بأموال المسلمين حتى يصلح لك الخروج على حكومته ؟

هل منح أحداً من أقربائه وابنائه بشيء من خزينة الدولة حتى يكون لك وجه في الخروج عليه ؟

كيف جاز لك أن تخرجي من بيتك ؟ وتقودين الجماهير والعساكر الىحرب عالمي ، وقد قلت في حقه : « ان حربه حربي وسلمه سلمي » .

لقد تناسيت قول الله تعالى لنسائي : « يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفاً ، وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى [1] » .

كيف ساغ لك الخروج من بيتك ، لحرب علي وقتل ابنائك ، فقد قتل منهم يوم الجمل الاكبر في البصرة ثلاثة عشر الف من ابنائك وتابعيك فيهم طلحة والزبير ، وأستشهد من اولياء علي وشيعته حوالي الألف .

---

(١) سورة الاحزاب : آية ٣٢ — ٣٣ .

فمن هو المسؤول عن تلك الدماء التي أريقت غـــيرك ؟ يا عائشة ما كُنت تريدين بخروجك هذا ؟

أتريدين الله ورسوله والدار الآخرة ؟

أتريدين الأجر والثواب الذي أعده الله للمحسنـــات من نسائي إذ يقول تعالى : « وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً » [1] .

هل كنت تظنين أن بينك وبين الله هوادة فيبيح لك ما حرم على العالمين ؟ وقد ضاعف تعالى العقاب على نسائي إذا اقترفن إثماً أو أتين بفاحشة قال تعالى : « يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا » [2] .

هل رأيت أن خروجك على علي ، وشق عصا المسلمين عبادة لله ، وقنوتا له ولرسوله ، فعملت عملاً صالحاً كما قال تعالى : « ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقاً كريماً » [3] .

هل أردت بخروجك أن تمثلين التقوى والورع ، وتستأثرين بالعمل الصالح دون بقية نسائي حتى تكونين كما قال الله تعالى في كتابه : « يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن أتقيتن » [4] فهل خروجك على علي من التقوي والصلاح ؟

يا عائشة : هل رأيت قيادتك للجيوش سرادقاً ضربه عليك طلحة والزبير ليصوناك عن تبرج الجاهلية الاولى ، وتكونين بذلك نصب أمر الله ونهيه إذ يقول تعالى : « وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهليـة الاولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله [5] » .

---

(١) سورة الاحزاب : آية ٢٩ .
(٢) سورة الاحزاب : آية ٣٠
(٣) سورة الأحزاب : آية ٣١ .
(٤) سورة الاحزاب : آية ٣٢ .
(٥) سورة الاحزاب : آية ٣٣ .

أحسبت ان الزوجية تمنعك من عذاب الله ونقمته إذا حدث عن طاعة الله ، وقد أنذرك تعالى وحفصة على أن لا تتكلا على الزوجية لأنها لا تنفع الطالحة وقد ضرب لكما مثلاً بامرأة نوح ، وامرأة لوط وامرأة فرعون قال تعـــالى . « ضرب الله مثلاً للذين كفروا أمرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلـــين ، وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله » [1] وقد خلد الله امرأة نوح وامرأة لوط في عذابه وبنى لامرأة فرعون بيتاً كريماً في فردوسه فانه ليس بين الله وبين أحد هوادة ، وانما جعل الميزان لرضاه والفوز بجنانه هو العمل الصالح فأي شخص يتقي الله ، ويعمل للآخرة فقد أعد له منزلا كريماً ، ومن حاد عن طريقـه ، وسلك غير طريق الله فهو ممن حلت به نقمة الله وعذابه .

يا عائشة : أنت اعرف الناس بمنزلة علي عندي فهو أخي ، ووليي ، ووارثي ، ووصيي ، وانه مني بمنزلة هارون من موسى ، وقد سمعت قولي فيه : « اللهم وال من والاه وعاد من عاده ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله » .

وسمعت قولي فيه : « رحم الله علياً اللهم ادر الحق معه حيث دار » .

ورأيتني انظر الى علي وفاطمة فقلت فيهم « انا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم [2] . »

ورآني أبوك وانا متكيء على قوس عربية ، وقد نصبت خيمة فيهـــا علي وفاطمة والحسنان فقلت فيهم : « معشر المسلمين انا سلم لمن سالم اهل الخيمة ، وحرب لمن حاربهم ، وولي لمن والاهم ، لا يحبهم الا سعيد الجد ، طيب المولد ، ولا يبغضهم الا شقي الجد رديء الولادة [3] » .

---

(١) سورة التحريم : آية ١٠ — ١١ .

(٢) كنز العمال ٧/١٠٢ ، سنن ابن ماجة ص ١٤ ، البداية والنهاية .

(٣) الرياض النضرة : ٢ / ٢٥٢ .

وقلت فيه : « من سره أن يحيا حياتي ، ويموت مماتي ، ويسكن جنة عدن غرسها ربي فليوال علياً من بعدي ، وليوال وليه ، وليقتدي بأهل بيتي من بعدي فانهم عترتي خلقوا من طينتي ، وزرقوا فهمي وعلمي ، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي القاطعين فيهم صلتي لا أنالهم الله شفاعتي [1] » .

يا عائشة لم يخف عليك شيء من فضل علي ، وأنت صاحبة الذكاء المفرط التي كنت تحفظين عني أربعين الف حديث ، وأنت صاحبة المكانة المرموقة في المجتمع الاسلامي ، وقد توفيت عن تسع زوجات ، ولم تكن واحدة منهن يرجع اليها الشيخان في الفتيا غيرك ، وكان عمر وعثمان يرسلان اليك فيسألانك عن السنن ، ولم يفضل عمر واحدة من نسائي عليك ، وقد فرض لأمهات المؤمنين عشرة آلاف ، وزادك عليهن الفين ، وقال : إنها حبيبة رسول الله .

يا عائشة : ألم تسمع مني النص القاطع ، والبيان الصريح في خلافة علي من بعدي ، وذلك حينما كنت في الدار وأنت وأم سلمة معي إذ جاء أبوك ومعه صاحبه عمر فطرقا الباب ، فقمت مع أم سلمة إلى الحجاب ... فلما أذنت لهما وسلما علي صار يحدثان عما جاءا به قائلين :

« يا رسول الله لا ندري قدر ما تصحبنا . فلو أعلمتنا من نستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزع ؟ »

فرميت ببصري الى بعيد وقلت لهما :

« أما اني أرى مكانه » .

وتوقعا أن ادلهما عليه ، فهززت برأسي متأسفاً عليهما وقلت :

« لو فعلت لتفرقتما عنه كما تفرق بنو اسرائيل عن هارون بن عمران . »

فغضا طرفيهما ، وخرجا لا يلويان على شيء ، وقد عرفا من أعني ، وذلك لما سبق مني غير مرة ما قلته في علي من تشبيهه بهارون في محنته وبلائه ، فقد قلت فيه : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » .

(١) كنز العمال ٦ / ٢١٧ .

فبرحت الستر متسائلة عنه لتشبعي فضولك فقلت :

« من كنت مستخلفا عليهم ؟ »

فاجبتك « انه خاصف النعل » .

فخرجنا جميعاً وفي ظل سمرة ، وجدنا علياً يخصف نعله ويصلي .

يا أم المؤمنين .

يا صاحبة الجمل الأدبب .

هي أن عاطفتك غلبت عقلك، ونزوتك أمالت رشدك ، فنصبت من نفسك قائداً أعلى للأوباش والرعاع ، والغوغاء وأصحاب المطامع ، والجشعين ، والانتهازيين ، فخرجت دارك الذي أمرك الله أن تقري فيه ، لحرب إمامك وشق عصا الطاعة .

فأي ثمرة وسوست لك نفسك باقتطافها ؟

هل طمعت أن تكوني خليفة المسلمين ، وأميرة للمؤمنين؟ أم انك أردت أن تجلي عقدة في نفسك ، وتبردي غلة تطفىء إوارها الدم المهراق الذي صبغ وجه البسيطة ، وكونه بركانا وغدرانا ، وقد تبعثرت على الارض أشلاء الابرياء وأطرافهم حتى تكونت منها تلالا ، ام أنك اردت ان تكون لك جوقاً يطربك من عويل اليتامى ، ونوح الأيامي ، وأنين الجرحى .

ما غايتك بانتداب امهات المؤمنين للخروج معك لحرب علي الذي هو أخي ووصي وابو سبطي .

هل اردت ان تجعلي منهن وزيرات لبلاطك ؟

هل اردت ان تكسبي خروجك قدسية ، وحربك مشروعية ؟

لقد انطلقت إلى المرأة الصالحة أم المؤمنين أم سلمة ، لتغريها بالخروج معك، وقد تناسيت أنها من صالحات النساء ، وانها ممن تعرف منزلة علي ، وقربه مني ، وقد تمنت أن تشهر سيفاً لنصرته ، وتقود جحفلاً من المؤمنين لتقطع عليك وعلى صحبك درب الفتنة الكبرى ، وتدفعكم عنه بقوة الحديد ، ولكنها قد قرت في بيتها إمتثالاً لأمر الله .

وقد كتبت إلى علي من مكة تخبره بتمرد طلحة والزبير واشياعهم وأنهم يحاولون أن يخرجوك معهم، لحربه، وقد جعلوا شعارهم الذي يهتفون به، ويبررون به موقفهم أن عثمان قد قتل مظلوماً وأنهم يطالبون بدمه، والله كافيهم بحوله وقوته، وأنه لولا ما نهانا الله عن الخروج، وأنت لم ترضى به، لم أدع الخروج معك، والنصرة اليك، وقد بعثت اليك بابني وهو عدل نفسي عمر بن أبي سلمة يشهد مشهدك.

وعند عودتها إلى المدينة قابلت عليا وهي تبكي أمر البكاء قائلة له: لولا أني أعصى الله عز وجل، وأنك لا تقبله لخرجت معك.

فكيف رأيت أن تغريها وتخدعيها بالخروج إلى حرب وصيي وأخي وقلت لها:

يا بنت أبي أمية: أنت أول مهاجرة من أزواج النبي، وأنت أكبر أمهات المؤمنين، وكان رسول الله يقسم لنا في بيتك، وكان جبرئيل أكثر ما يكون في بيتك.

ولم يخف على أم سلمة خداعك فقالت لك:

« لأمرما قلت هذه المقالة؟ »

فصارحتيها بما أنطوت عليه نيتك قائلة لها:

« إن القوم استتابوا عثمان، فلما تاب قتلوه صائماً في الشهر الحرام، وقد عزمت على الخروج إلى البصرة، ومعي الزبير وطلحة.. فاخرجي معنا لعل الله يصلح هذا الأمر على أيدينا ».

فانبرت اليك أم سلمة تسدي اليك بالنصح، وتزيف منطقك قائلة:

« إنت كنت بالأمس تحرضين على قتل عثمان، وتقولين فيه اخبث القول، وما كان اسمه عندك إلا نعثلا، وانك تعرفين منزلة علي عند رسول الله أفاذكرك؟

— نعم

— أتذكرين يوم اقبل رسول الله، ونحن معه... حتى اذا هبط من

قُديد ذات الشمال فخلا بعلي يناجيه ، فأطال فأردت أن تهجمي عليهما فنهيتك ، فعصيتيني ، وهجمت عليهما ، فما لبثتِ أن رجعت باكية ، فقلت لكِ « ما شأنك ؟ » .

فقلت أتيتهما وهما يتناجيان ، فقلت لعلي : ليس لي من رسول الله إلا يوم من تسعة أيام ، أفما تدعني يابن أبي طالب ويومي ؟ فاقبل رسول الله عليّ وهو محمر الوجه غضباً ، فقال : إرجعي وراءك والله لا يبغضه أحد إلا وهو خارج من الإيمان ، فرجعت نادمة ساخطة .

– نعم أذكر ذلك .

– أو أذكرك .

– نعم .

– كنت أنا وأنت مع رسول الله فقال لنا : أيتكن صاحبة الجمل الأدب[1] تنبحها كلاب الحوأب فتكون ناكبة عن الصراط ؟ فقلنا نعوذ بالله وبرسوله من ذلك ، فضرب على ظهرك ، فقال : إياك أن تكونيها يا حميراء .

– نعم أذكر ذلك .

– أو أذكرك .

– نعم .

وساقت لك حديث خصف النعل فأقررت به فقالت لك بعد ذلك : فأي خروج تخرجين بعد هذا ؟

فقلت لها : أخرج للاصلاح بين الناس [2] .

وتبالغ أم سلمة في نصحك وإرشادك إلى طريق الحق والصواب فتقول لك :

يا عائشة : إن عمود الاسلام لا يستتب بالنساء إن مال ، ولا يرأب بهن إذا صدع . هاديات النساء غض الأطراف ، خضر الأعراض ... ما كنت قائلة لرسول الله لو عارضك باطراف الفلوات والجبال . على قعود من الابل من منهل

---

(١) الأدب : الجمل الكثير الشعر .

(٢) شرح النهج ٢ – ٧٩ ، وذكر الزمخشري في الفائق ١ – ٢٩٠ مايقرب ذلك .

إلى منهل ؟ ما كنت قائلة : وقد هتكت حجابه الذي ضربه عليك ؟ ألا إني لو أتيت الذي تريدين ثم قيل لي : ادخلي الجنة لاستحييت أن ألقى الله .

فاعرت كلامها أذناً صماء ، واندفعت وراء عواطفك وميولك وأنت تفرقين وحدة الأمة ، وتسعرين نار الحرب والفتن بين المسلمين .

يا عائشة هي أنك نسيت أو تناسيت كلما أنزل الله في كتابه بخلافة علي ، وولايته ، وما جاء في سنتي من إمامته وفضله فهلا ذكرك نباح كلاب الحوأب فأرجعك إلى رشدك فقد حذرتك من أن تكوني اياها يا حميراء .

هلا أرجعك إلى الصواب خطبة علي عندما أراد الخروج إلى البصرة ، وقد فنّد فيها معاذيرك ، ومعاذير طلحة والزبير ، ويعلي بن أمية فقد قال :

« إن الله فرض الجهاد ، وجعل نصرته وناصره . وما دنيا ولا دين إلا به ، وإني بُليت بأربعة : أدهى الناس وأشقاهم طلحة ، وأشجع الناس الزبير ، وأطوع الناس في الناس الزبير ، وأسرع الناس إلى فتنة يعلي بن أمية .. والله ما أنكروا علي شيئاً منكراً ، ولا استأثرت بمال ، وملت بهوى .. وإنهم ليطلبون حقاً تركوه .. ودما سفكوه، ولقد ولوه دوني .. ولو كنت شريكهم في الانكار لما أنكروه .. وما تبعة عثمان إلا عندهم ، وإنهم لهم الفتنة ، بايعوني ونكثوا بيعتي ، ما استأنسوا بي حتى يعرفوا جوري من عدلي وإني لراض بحجة الله عليهم ، وعلمه فيهم ، وإني مع هذا لداعيهم ، ومعذراً إليهم ، فإن قبلوا فالتوبة مقبولة ، والحق أولى من صرف إليه ، وإن أبوا أعطيتهم حد السيف ، وكفى به شافياً من باطل وناصراً ، والله إن طلحة والزبير وعائشة يعلمون أني على حق وهم مبطلون » .

وقد أمعن علي باسداء النصح لك ولصاحبيك طلحة والزبير ، فقد كتب لكم كتاباً عندما قارب البصرة يوضح لكم السبيل ، ويقطع عليكم المعاذير وقد جاء فيه .

« من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى طلحة والزبير وعائشة سلام عليكم ...

أما بعد : يا طلحة ويا زبير قد علمتما أني لم أرد البيعة حتى أكرهت عليهـــا ، وأنتما ممن رضي ببيعتي ، فان كنتما بايعتما طائعين فتوبا الى الله تعالى، وارجعا عما أنتما عليه، وإن كنتما بايعتما مكرهين فقد جعلتما لي السبيل عليكما باظهار كما الطاعة ، وكتمانكما المعصية .

وأنت يا طلحة يا شيخ المهاجرين. وأنت يا زبير يا فارس قريش لو دفعتما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه كان أوسع لكما من خروجكما منه بعد الاقرار .

وأنت يا عائشة فانك خرجت من بيتك عاصية لله ولرسوله تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً ثم تزعمين (أنك تريدين الاصلاح بين المسلمين) .

فخبريني ما للنساء وقود الجيوش والبروز للرجال، والوقوع بين أهل القبلة وسفك الدماء المحترمة ؟ .. ثم إنك طلبت على زعمك دم عثمان. وما أنت وذاك؟ وعثمان من بني أمية وأنت من تيم .. ثم بالأمس تقولين في ملأ من أصحاب رسول الله : « اقتلوا نعثلاً فقد كفر) ثم تطلبين اليوم بدمه فـاتقي الله وارجعي إلى بيتك واسبلي عليك سترك والسلام .. » .

وقد أقام عليكم الحجة ولم يدع لكم وليجة تنفذون منها ، فهلا استجبت لمنطق العدل، ولنت نفسك من الدخول في هذه الفتنة فانالله وإنا إليه راجعون .

دفـــاع عائشة :

وتقوم السيدة عائشة فتدافع عن نفسها ، محاولة أن تبرر خروجها وحزبها لعلي قائلة :

يا رسول الله بأبي أنت وأمي ، أنت تعرف مكانتي بين المسلمين ، ومالي من المنزلة العظيمة عندهم ، وإني لم أخرج مفسدة وإنما خرجت لطلب الاصلاح.

لقد خرجت مطالبة بدم الشهيد الذكي عثمان فقد قتلوه في الشهر الحرام بعد ما استتابوه ، وخلص من ذنوبه ، فلم يسعني أن أسكت ، وأترك الدم مباحاً ، وعلي قد آوى قتلته ، ولم يقتص منهم ، وأنت تعلم ما في نفسي من العقد النفسية

على علي لأنه أبو سبطيك ، وقد حرمت منك الولد ، وكنت واجدة على ابنتك وبضعتك فاطمة الزهراء ، فقد هاج وجدي حينما علمت ان علياً قد صار اليـه امر المسلمين فلم اتمكن دون ان اعلن التمرد على حكومته ، واقـود الجيوش لمنـاجزته .

وانا معترفة بما ذكرته وادليته علي ، وليس لي مجال للانكار والشك في ذلك.

جواب النبي (ص) :

وينبري النبي (ص) لتنفيذ مزاعم عائشة فيقول لها: إن عثمان قد سعى لحتفه بظلفه ، واجهز على نفسه فقد هيأ الأسباب المؤدية الى قتله ، اليس هو الذي نفى الصحابي العظيم ابا ذر الذي هو شبيه عيسى بن مريم في ورعه وتقواه ؟ اليس هو الذي كسر ضلع المقري الصالح عبد الله بن مسعود؟ اليس هو الذي ضرب الطيب ابن الطيب عمار بن ياسر حتى اوجد فتقاً في بطنه .

الم يؤثر بني امية بالسلطة والمال ، فاجاع النـاس ليتخموا ، واذل المسلمون ليعلوا، ويتطاولوا فلم تأخذه في سبيلهم ملامة اللائمين ، ولا ثورات الثائرين، فقد افتتح في ايامه ارمينية فأخذ الخمس كله، ووهبه للوغد الأثيم مروان بن الحكم، واعطى سوق تهروز في المدينة للحارث ابن عمـه ، واقطع مروان فدكا ، وهو يعلم انها ملك لسيدة النساء فاطمة ، وحمى مراعي المدينة عن مواشي المسلمين إلا عن مواشي بني امية ، واعطى ابن ابي سرح جميـع ما افـاء الله على المسلمين من فتح افريقيا .

ان هذه العوامل هي التي اطاحت بعثمان وسببت قتله وانت تعلمين ذلك ، وتعلمين كيف ثار عليه خيار صحابتي وانت بالذات كنت من الموقدين لنار الثورة في النفوس فكيف، تطالبين بدمه وتزعمين انه قتل مظلوماً ؟؟!! .

جواب عائشة :

يا رسول الله إنهم استتابوه حتى ماصوه من ذنوبه موصة الثوب ثم عدوا عليه فقتلوه فلذا خرجت مطالبة بدمه .

جواب النبي (ص) :

وينبري (ص) إلى تفنيد مزاعم عائشة فيقول لها: أنت المسؤولة أولاً وبالذات عن مقتل عثمان فأنت أول من أمال حربه ولولاك لما تعدى الأمر من حصره إلى قتله ، ولم يجرأ أحد على إراقة دمه وهتك حرمته .

لقد كنت خلال السنوات الست من حكمه تفيض عليه ألواناً من القداسة ، وتخلعين عليه بروداً من الكرامة ، فكنت تنتحلين الأحاديث بتفضيله على أبيك وعمر ، فقد رويت عني أنه استأذن أبو بكر علي فأذنت له فقضيت حاجته ، وهو معي في المرط ثم خرج فاستأذن عمر فأذنت فقضيت حاجته ، وأنا على تلك الحال ، ثم خرج فاستأذن علي عثمان فأصلحت على ثيابي وجلست فقضيت حاجته ثم خرج فقلت لي — حسب زعمك — يا رسول الله استأذن عليك أبوبكر وعمر وأنت على حالك ، فلما استأذن عليك عثمان أرخيت عليك ثيابك ، فقلت لك : يا عائشة ألا استحي من رجل والله إن الملائكة لتستحي منه .

هكذا كان عثمان عندك محاطاً بالعناية ، والإجلال والتكريم ، ولكن في السنوات الست الأخيرة من حكمه وقع الخلاف والشقاق بينكما فسجرت نار الفتنة عليه وألهبت العواطف ، واثرت الاحقاد والأضغان عليه ، ويعود السبب في ذلك إلى أنه قطع الألفين الزائدين لك على مرتبات أمهات المؤمنين فجعلك عثمان أسوة بهن ، وقد تدرج بذلك الخلاف بينكما ورفعت علم المعارضة لا لسبب ديني وإنما هو لأمر مادي محض.

لقد تزعمت الفئة المعارضة له وأصبحت ملجأ للساخطين على حكومته ، وقدت

الجماهير في حادثة عبد الله بن مسعود لما أهانه عثمان وكسر ضلعه ، وكذلك في حادثة عمار بن ياسر حينما أمر بضربه وإلقائه في الطريق فكان بين الموت والحياة ، وقد تمكنت من رفع الحصانة التي كان يتمتع بها عثمان في المجتمع الاسلامي لمكانه من خلافتي ، وأصدرت فتياك الصريحة الواضحة بقتله وكفره فقلت « اقتلوا نعثلاً فقد كفر » .

وكنت تطاردينه بالمعارضة والتنديد وتأتين بقميصي وتنشرينه وتنادي رافعة صوتك :

« يا معشر المسلمين هذا جلباب رسول الله لم يبل وقد أبلى عثمان سنته ..» .

فقال عثمان وقد ضاقت به الأرض : « ربي اصرف عني كيدهن إن كيدهن عظيم » .

ولما رأيت إجماع المسلمين على قتله قلت له :

« أي عثمان خصصت بيت مال المسلمين لنفسك وأطلقت أيدي بني أمية على أموال المسلمين ، ووليتهم البلاد ، وتركت امة محمد في ضيق وعسر ، قطع الله عنك بركات السماء ، وحرمك خيرات الأرض ولولا أنك تصلي الخمس لنحروك كما تنحر الابل » ... فقرأ عثمان عليك قول الله تعالى « ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل إدخلا النار مع الداخلين » .

وقد اشتد الخلاف بينكما حينما أصدرت فتياك الصريحة بقتله وكفره ، وقد انتشرت فتياك بين المسلمين انتشار النار بالهشيم .

وبعد هذا فكيف تدعين أنك خرجت مطالبة بدمه ؟!! .

إن كنت على حق . فلم لم تهب لنجدته ، ونصرته حينما أحاط به الثوار ، وقد جاءك مروان بن الحكم ، وزيد بن ثابت مستنجدين بك لنصرة عثمان والذب عنه ، فتنكرت لزيد ، وقابلتيه بأغلظ القول قائلة له :

« ما منعك يا بن ثابت ، ولك الأساريف قد أقطعكها عثمان وأعطاك عشرة آلاف دينار » .

ثم نهرت مروان وقلتِ له :

« أتراني في شك من صاحبك والذي نفسي بيده لوددت أنه الآن في غرارة من غرائري مخيط عليه فألقيه في البحر الأخضر » .

وهرع إليك مرة ثانية مروان بن الحكم ، ومعه عبد الرحمن بن عتابة بن أسيد رسولين عن عثمان لتصدين عنه الثوار فقالا لك :

« لو أقمت فلعل الله يدفع بك عن هذا الرجل ؟ » .

وقال لك مروان :

« يدفع لك عثمان بكل درهم أنفقتيه درهمين » .

فرددت عليه بقولك :

« قد قرنت ركائبي ، وأوجبت الحج على نفسي » .

وبعد هذا كيف تدعين أنه قتل مظلوماً ؟ وقد بذلت جميع جهودك في الإطاحة بحكمه فقلتِ لابن عباس لما خرج من المدينة إلى مكة أميراً على الحج من قبل عثمان قلت له :

« يابن عباس أنشدك الله ، فانك أعطيت لساناً أزعبلا أن تخذل عن هذا الرجل ، واياك أن ترد عن هذا الطاغية ، وأن تشكك فيه الناس ، فقد بانت لهم بصائرهم ، وأنهجتِ ، ورفعت له المنار ، وتحلبوا من البلدان ، وقد رأيت ابن عبيد الله قد اتخذ على بيوت المال ، والخزائن مفاتيح ان يسير بسيرة ابن عمه أبي بكر .. » .

فقال لك ابن عباس ، وقد عرف غايتك :

« يا امه لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس إلا الى صاحبنا » .

فالتعت من قوله وانبريت فزعة قائلة له :

« ايها عنك ، لست أريد مكابرتك ، ولا مجادلتك » .

ولما بلغك مقتل عثمان ، وأنت في مكة دخلك موجات من السرور والأفراح ، وضربت قبتك في المسجد الحرام ، وقلت :

«أبعده الله ، قتله ذنبه ، وأقاده الله بعمله ، بعداً لنعثل وسحقاً ... ايهاً ذا الاصبع ، ايهاً أبا شبل ، إيهاً ابن عم ، فكأني انظر الى اصبعه وهو يبايع ... يا معشر قريش لا يسؤنكم مقتل عثمان كما أساء احيمر خدود قومه ، ان أحق الناس بهذا الأمر لذي الاصبع » .

وخرجت من مكة الى يثرب ، فلما انتهيت الى سرف [1] لقيك عبيد بن ابي سلمة ، وكان قادماً من يثرب فاستعجلتِ قائلة له :

ــ مهيم [2] .

ــ قتلوا عثمان .

ــ ثم صنعوا ماذا ؟

ــ اجتمعوا على بيعة علي فجازت بهم الامور الى خير مجاز فانهارت أعصابك وخارت قواك ، يبلغ بك الحزن الى قرار سحيق ، وهتفت وانت حانقة مغيظة ، وبصرك يشير الى السماء ثم ينخفض فيشير الى الأرض قائلة :

« ليت هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لابن أبي طالب ، قُتل عثمان مظلوماً والله لأطلبن بدمه » . فذهل عبيد من منطقك الرخيص المتناقض ورد عليك باستهزاء وسخرية قائلاً :

« ولم ؟ فوالله إن اول من أمال حرفه [3] لأنتِ ولقد كنتِ تقولين : اقتلوا نعثلاً فقد كفر ..

فقلت له :

« إنهم استتابوه ثم قتلوه ، وقد قلت وقالوا ! وقولي الاخير خير من قولي الأول »..

وهل كنت حاضرة حينما استتابوه ، وهل لك دراية بكيفية توبته .

---

(١) سرف : موضع على ستة أميال من مكة ، وقيل اكثر من ذلك وقال البخاري هو شرف ، معجم البلدان ٥/٧١

(٢) مهيم : كلمة استفهام من معانيها ما وراءك .

(٣) أمال حرفه : اي أزاله عن مكانه .

وانبرى اليك عبيد فأنشدك قوله :

منك البـداء ومنك الغير	ومنـك الرياح ومنك المطر
وانت أمرت بقتل الإمام	وقلت لنا إنه قـد كفر
فهبنا أطعناك في قتـله	ولم تنكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تدرؤ	يزيل الشبا ويقيم الصعر[1]
ويلبس للحرب أثوابهـا	وما من وفى مثل من قد غدر

فأعرضت عنه وانصرفت راجعة الى مكة [2] تثيرين الأحقاد ، وتلهبين نار الثورة في النفوس ، وتدعين الى نقض بيعة علي .

يا أم المؤمنين ما أدهاك كيف استطعت ان تبرئي القتلة طلحة والزبير ونفسك من دم عثمان ، وتجعلين القاتل مطالباً بثأر القتيل ؟

اعتراف عائشة :

ولم تجد عائشة بداً من الاعتراف بزيف اعتذارها بالمطالبة بدم عثمان ، وقد ادلت بالأسباب الواقعية التي دفعتها الى إعلان التمرد على حكومة الامام فتقول:

يا رسول الله تعلم اني امرأة قوية العاطفة شديدة الغـيرة ، ضعيفة الارادة ، كثيرة الانفعال ، وقد غلبت عاطفتي عقلي ، فسلكت غير الجادة ، وصممت على الانتقام من علي ، وذلك لأمور وهي :

١ ـ اني لا أنسى ما أبداه من رأي عنـد انتشار حديث الإفك فقد أشار عليك بطلاقي ، وفـكاكي عنك وقد أثار كوامن الحقـد والبغضاء في نفسي ، واني لأكن له في أعماق قلبي من البغض والعداء له ما لا يعلم به إلا الله ، وكلما

---

(١) ذو تدرؤ : أي ذو عزيمة ومنعة : الشبا المكروه . الصعر : ميل في الوجه او في أحد الشقين : والمراد انه يقيم الشيء الملتوي .

(٢) الطبري ٣/٤٥٤

حاولت ان أكبس نار الوجد عليه فلم أجد لذلك سبيلا .

٢ ــ إنه مما هيج غضبي عليه شدة غيرتي على خديجة أم فاطمة زوجه ، فإني طالما كنت أقول : ما غرت على امرأة كما غرت على خديجة ، وذلك لكثرة ذكرك لها ، وثنائك عليها ، وعندما كنت تذكرها أقول لك :

« ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيراً منها » فيتغير وجهك تغييراً ما كنت أراه إلا عند نزول الوحي فتقول لي :

« ما أبدلني الله خيراً منها ، آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني منها الولد ، وقد حرمته من غيرها » .

وقد دفعني حبك العارم لخديجة على كراهيتها وكراهية ابنتها التي هي أعز الناس عندك .

إنه ليس شيء أدعى لإثارة حقد المرأة من أن تجد أحداً أثيراً عند زوجها ، ومقدماً عليها ، فقد دعتني طبيعة المرأة إلى ما قدمت عليه .

٣ ــ ومما كان يواري نار غضبي على علي حبك له ولا بنتك فاطمة فقد كانا يقاسماني ثلثي أوقاتي ... وكان على عريم أبي القديم ، ومنازعة سلطانه ، فلذا كانت خلافته من أثقل الأمور علي ولم أستطع على أن أسكن جام غضبي عليه .

٤ ــ وكنت أتوقع أن ترجع أبهة الخلافة والسلطان إلى ابن عمي طلحة ، حتى يؤثرني بالمال ، والجاه ، ويجعل كلمتي هي الفصل في جميع شؤون الخلافة والحكم فلذا شدت به وكانت دعوتي له .

٥ ــ إني عارفة بسيرة علي وواقعه ، وهو من دون شك لا يرى لي ميزة على غيري من نساء المسلمين ، وإنه يساوي في العطاء بيني وبين غيري ، فليس عنده أحد أثيراً ولا مقدما .

وان سياسته لا أطيقها فلذا ثرت عليه ، وأعلنت التمرد على حكومته .

استنكار النبي :

ويعلن النبي (ص) إنكاره على عائشة فيقول لها : لقد سمعنا دفاعك ، وهو عار من المنطق ، وليس لتمردك أي مبرر ، فقد اسلت الدماء ، وهتكت الأعراض وأضعت الأموال ، وأيتمت الأطفال ، ورملت النساء ، وأوقعت الفتنة بين المسلمين ، فقد أعقب تمردك حرب صفين ، والنهروان .

وما ذنب علي حتى يستحق عندك هذا الجفاء ، وتحملين له في طيات نفسك هذا البغض والعداء .

أي عائشة لقد ظللت عن الرشاد في كراهيتك لعلي فما الذي حداك إلى التشفي وإظهار المسرة بعد مقتله فقد سجدت شكراً لله وأنشدت :

فالقت عصاها واستقر بها النوى كما قرعينا بالإياب المسافر

أي عائشة ما الذي حداك أن تمنعين سبطي الأول وريحانتي الإمام الحسن من الدفن في جواري ، وقد كان ذلك من أغلى أمانيه وأعزها ، فقد خدعك شياطين بني أمية فأخرجوك من دارك التي أمرك الله أن تقري فيه ، وأركبوك بغلة شهباء ، وأنت تنادين بلا اختيار .

« لا تدخلوا بيتي من لا أحب !! إن دفن الحسن في بيتي لتجز هذه — وأومأت إلى ناصيتك »[1] .

وقد احتف بك بنو أمية ، وهم مدججون بالسلاح يريدون الفتنة بين المسلمين ، وعلى رأسهم مروان بن الحكم وهو ينادي :

« يارب هيجاء هي خير من دعة ، أيدفن عثمان بأقصى المدينة ويُدفن الحسن عند جده لا كان ذلك أبداً .. » .

ومـا علمت أن كلامك سيؤدي إلى إراقة الدمـاء ، وإلى تفريق صفوف

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨/٤ ، تاريخ أبي الفداء ١٩٢/١ ، تاريخ اليعقوبي ٢٠٠/١

المسلمين ، وأنت — من دون شك — لا يهمك ذلك فقد أرقت يوم الجمل سيلا عارماً من دمائهم استجابة لعواطفك المترعة بالحقد والعداء لعلي وأبنائه .

يا عائشة : متى كان بيتي بيتك أبنحلة أم بميراث ملكتيه ؟ فلماذا منع ابوك فاطمة من التصرف في فدك ، وزعم اني قلت :

نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا داراً ولا عقاراً .. » .

إن كنت تملكتيه بالميراث فما هو مقدار حصتك منه ، إنه تسع من الثمن من نفس البناء دون الأرض لأن الزوجة لا ترث من الأرض شيئاً ، وكان الباقي وهو السبعة اثمان الباقية مع جميع الأرض لابنتي فاطمة ، فحصتك من مجموع السهام واحد من اثنين وسبعين سهماً ، وكذلك تكون نسبة سهام ضراتك ، وتكون حصة الزهراء ثلاثة وستين سهماً .

ولماذا لا تحبين ريحانتي وسبطي الأول الم تسمع اني قلت في حقه : « اللهم اني احبه واحب من يحبه »[1] ، وقلت : « اللهم إن هذا ابني ، وانا احبه فأحبه ، واحب من يحبه » . [2] وقلت : « من سره ان ينظر الى سيد شباب اهل الجنة فلينظر الى الحسن » [3] وقلت فيه : « الحسن ريحانتي من الدنيا » [4] .

يا عائشة : الم تسمع ذلك مني فلماذا لا تحبيه ، وتحقدين عليه ؟ وحلت بينه وبين الدفن في جواري ، فلو كان لموسى بن عمران ولد أما كان يدفن مع ابيه ، والأمر لله وهو الحاكم العدل الذي لا يجوزه ظلم ولا اعتداء معتدي .

يا عائشة أسوق اليك بعض مخالفاتك لي وهي كما يلي :

١ — التشكيك برسالتي :

ومن غريب امرك تشكيكك برسالتي ، وذلك حينما اغضبتك فقد جابهتيني

---

(١) صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق ، صحيح الترمذي ٢ — ٣٠٧ .

(٢) كنز العمال ٧ — ١٠٤ ، مجمع الزوائد ٩ — ١٧٦ .

(٣) البداية والنهاية ٨ — ٣٥ ، فضائل الأصحاب ص ١٦٥ .

(٤) الاستيعاب ٢ — ٣٦٩ .

بقولك « انت الذي تزعم انك نبي »[1] .

٢ ــ مطالبتي بالعدل :

وتعلمين اني في جميع ادوار حياتي لم اجد ، ولم اظلم ، ولم اخرج عن موازين العدل ، وقد هاجمتيني الى ابيك فقلتِ لي « يا رسول الله اقصـد »[2] فلطمك ابوك على خدك حتى سالت الدماء من انفك وذلك لجراتك علي[3] .

٣ ــ تغريرك باسماء بنت النعمان :

وغررت اسماء بنت النعمان الجونية ، ومكرت بها انت وصاحبتك حفصة ، عندما تزوجتها فقد دخلت عليها تخضبيها ، وحفصة تمشطها ، فقالت احداكن لها « ان النبي يعجبه من المرأة اذا دخلت ان تقـول له : (اعوذ بالله منك) فاتخذت ذلك نصيحة وحباً لها ، فلما دخلت عليها بادرتني بذلك القول ، فقلت لها : « عذت بمعاذ » وخرجت فالحقتها باهلها فماتت كمداً وحزناً[4] .

٤ ــ نسبة الافك لابني ابراهيم وامه :

ونسبت الإفك والزور الى ابني ابراهيم وامه ، وذلك حيـنما دخلت عليك بولدي ابراهيم ، وكان يشبهني ، فسألت عن ذلك ، فقلت : ما رايت شبهـاً ، وقد برأ الله ابراهيم وامه على يد امير المؤمنين (ع)[5] .

٥ ــ تظاهرك وحفصة علي :

وتظاهرت انت وضرتك حفصة علي فكشف الله سر كما بقوله :

« وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكـة

---

(١) إحياء العلوم ٢ ــ ٣٥ ، مكاشفة القلوب ص ٢٣٨ .
(٢) اقصـد : أي اعدو .
(٣) كنز العمـال ،
(٤) مستدرك الحاكم ٤ ــ ٣٧ ، طبقات ابن سعد ١ - ١٠٤ .
(٥) مستدرك الحاكم ٤ ــ ٣٩ .

بعد ذلك ظهيرا عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات »[1] .

٦ ـ الاجتهاد بالراي :

يا عائشة ما عذرك ، وما كنت تبغينه من الاجتهاد بالراي والتأول لكتاب الله وسنتي ، وهي كثيرة منها اتمامك الصلاة الرباعية في السفر ، وقد شرع الله قصرها ، فلم تعن بذلك ، فقد صليتيها اربع ركعات[2] فما هي الفائدة التي جنيتيها من التلاعب باحكام الله ، اتريدين ان تكوني نبية ، وصاحبة شرع ، ومؤسسة احكام؟؟ فانا لله وانا اليه راجعون، وهو تعالى الحاكم بين عباده بالحق والعدل ، وينتهي بذلك المطاف حديث عائشة ، ونستمع الى شكوى علي .

---

(١) يرجع في تفصيل القصة الى صحيح البخاري ٣ ـ ١٣٦ .

(٢) صحيح مسلم ١ ـ ٢٥٨ طبع دار المكتبة العربية بمصر .



شكوى علي

ويقوم صاحب الحق المغتصب أمير الله في أرضه ، وحجته على عباده سيد الوصيين ، وإمام المتقين الإمام أمير المؤمنين فيرفع شكواه إلى الحاكم العدل القوي القاهر الذي لا يجوزه ظلم ظالم ، ويسود الصمت على جميع أهل المحشر فيلقي الإمام خطبته الشقشقية :

« أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة ، وأنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى ، ينحدر عني السيل ولا يرقى إلى الطير ، فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً ، وطفقت أرتأى بين أن أصول بيد جذاءأو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه .. فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى فصبرت وفي العين قذى ، وفي الحلق شجى أرى تراثي نهباً .. حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى فلان بعده ، وتمثل بقول الأعشى :

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر

فيا عجبا بيناهو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته .. لشد ما تشطرا ضرعيها فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلامها ،ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها ، والاعتذار منها فصاحبها كراكب الصعبة ، إن أشنق لها خرم ، وان أسلس لها تقحم ، فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس ، وتلون واعتراض ، فصبرت على طول المدة ، وشدة المحنة ،حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أني أحدهم .. فيالله وللشورى متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر لكني أسففت إذ أسفوا ، وطرت إذ طاروا ، فصغى رجل منهم لضغنه ، ومال الآخر لصهره ،مع هن وهن ، إلى أن قام ثالث القوم

نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه ، وقـــام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبـــل نبتة الربيع إلى أن انتكث عليه فتله ، وأجهز عليـــه عمله ، وكبت به بطنته ، فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إلي ، ينثالون علي من كل جانب ، حتى لقـــد وطىء الحسنان ، وشق عطفاي مجتمعين حولي كربيضـة الغنم ، فلمـا نهضت بالأمر نكثت طائفة ، ومرقت أخرى ، وقسط آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام الله تعالى حيث يقول : «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين» بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت لهم الدنيا ، وراقهم زبرجها ، أما والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر ، وقيام الحجة بوجود الناصر . وما أخذ الله على العلمـاء أن لا يقارّوا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلهـا على غاربهـا ، ولسقيت آخرها بكأس أولها ، ولألفيتم دنيـاكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز .. » .

يا رسول الله :

لقد طافت الأزمات بعد فقدك ، وتتابعت علي المحن والآلام فقد انتهكت كرامتي ، والصقت خدي بالتراب ، فلم ترع حرمتي ، ولم يلحظ مقامي، وأجمعت قريش على حربي كما أجمعت على حربك .

لقد جحد القوم بيعة الغدير، وتنكروا جميع ما أوصيتهم به من الود لعترتك والحب لها ، فلم تمض ثلاثة أيام على وفاتك وإذا بالقوم يحملون قبساً من النـــار يريدون حرق بيتي وفي البيت بضعتك فاطمة ، وأخرجوني كما يقاد البعير المخشوش لبيعة أبي بكر ، وخرجت خلفي بضعتك وهي تتعثر باذيالها قد علاهـا الأسى والحزن ، فأنقذتني من شرهم ، ونجتني من مكرهم .

يا رسول الله :

لقد لاقينا بعدك من الهوان والأسى ما لا يعلم بفضاعته ومرارته إلا الله ، فقد تقمص الخلافة شرار الخلق من بني أمية وبني العبـاس فصبوا على عترتك ألوانـاً قاسية من المحن والنكبات ، فقـد تقطعت اوصـــال سبطك الحسين على صعيد

كربلا ، وذبحت أطفاله ، وأبناؤه ، وأهل بيته وأصحابه ، وحملت رؤوسهم على أطراف الرماح ، ومعها حرائر النبوة وكرائم الوحي سبايا من بلد الى بلد ، وقد شفت بنو أمية أضغانها وأخذوا بثــارات بدر وحنين ، ولم ترع حرمتك ، ولا حرمتي ولا حرمة الاسلام .

وأخذت المصائب والمحن تتابع على عترتك فبين مسموم وبين سجين يطاردهم الرعب والفزع والخوف كأنهم قد جنوا ما ليس يغتفر .

وسيلقون عليك يا رسول الله سجلاً حافلاً من مصــائبهم ورزاياهم ويتحدثون إليك عن أليم المصاب وفاجع الخطب الذي حل بهم فاحفهم السؤل واستخبرهم الحال فستجد قلوبا مروعة ، ونفوساً مفجوعــة فنعم الحكم الله ، والزعيم محمد وعند الساعة ما يخسر المبطلون .

وينهي الإمام خطابه ، وينظر في شكايته الحــاكم المطلق الذي لا يجوزه ظلم ظالم ليوفي كل نفس جزاء ما عملت «اليوم تجزى كل نفس ما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب » .

الفهارس

١ ــ فهرس مصادر البحث

اسم الكتاب	المؤلف
القرآن الكريم	. . .
تفسير المقباس	ابن عباس
تفسير ابن كثير	ابن كثير
تفسير الجلالين	السيوطي
تفسير الدر المنثور	السيوطي
تفسير الطبري	ابن جرير
تفسير الرازي	الامام الرازي
تفسير الكشاف	الزمخشري
تفسير التبيان	الشيخ الطوسي
تفسير مجمع البيان	الشيخ الطبرسي
تفسير الجامع لأحكام القرآن	القرطبي
تفسير روح المعاني	الآلوسي
تفسير البيضاوي	البيضاوي
تفسير النيسابوري	النيسابوري
تفسير أبي حيان	أبو حيان
تفسير الخازن	الخازن
تفسير فتح القدير	الشوكاني
أحكام القرآن	الجصاص

اسم الكتاب	المؤلف
أعجاز القرآن	البـاقلاني
نهج البلاغة	الشريف الرضى
شرح نهج البلاغة	محمد عبده
شرح نهج البلاغة	ابن أبي الحديد
إرشاد الساري	القسطلاني
فتح الباري	أبن حجر العسقلاني
تيسير الوصول	الشيباني
سنن أبي داود	أبو داود
سنن الترمذي	الترمذي
سنن ابن ماجة	ابن ماجة القزويني
سنن الدارمي	الدارمي
سنن الدارقطني	الدارقطني
سنن النسائي	النسائي
صحيح مسلم	الامام مسلم
شرح صحيح مسلم	الامام النووي
صحيح البخاري	الامام البخاري
فيض القدير	المنـــاوي
مسند الامام أبي حنيفة	أبو حنيفة
مسند الامام أحمد	ابن حنبل
مصابيح السنة	البغوي
الموطـــأ	الإمام مالك
سنن البيهقي	البيهقي
أسباب النزول	الواحدي

اسم الكتاب	المؤلف
كنز العمال	علي المتقي
الخصائص الكبرى	النسائي
الرياض النضرة	المحب الطبري
المستدرك	الحاكم
الامامة والسياسة	ابن قتيبة
المعارف	ابن قتيبة
عيون الأخبار	ابن قتيبة
الطرق الحكمية	ابن القيم الجوزية
زاد المعـاد	ابن القيم الجوزية
الغـــدير	الأميني
الاحتجاج	الطبرسي
تاريخ الخلفاء	السيوطي
جمع الجوامع	السيوطي
تاريخ بغداد	الخطيب البغدادي
تاريخ أبي الفداء	أبو الفداء
تاريخ إبن كثير	إبن كثير
البداية والنهاية	ابن كثير
تاريخ ابن عساكر	ابن عساكر
تاريخ أبي شحنة	أبو شحنة
تاريخ الخميس	الشيخ حسين البكري
تاريخ الطبري	ابن جرير
تاريخ اليعقوبي	أبن واضح
تاريخ الكامل	ابن الأثير

اسم الكتاب	المؤلف
أسد الغابة	ابن الأثير
الصواعق المحرقة	ابن حجر
الاصابة في معرفة الصحابة	ابن حجر
ميزان الاعتدال	ابن حجر
تهذيب التهذيب	ابن حجر
تلخيص الشافي	الشيخ الطوسي
العقد الفريد	ابن عبدربة
مجمع الزوائد	الهيتمي
حلية الأولياء	ابن نعيم الاصبهاني
الاستيعاب	ابن عبد البر
دائرة المعارف	فريد وجدي
النص والاجتهاد	الامام شرف الدين
السيرة النبوية	ابن هشام
السيرة الحلبية	الحلبي
الطبقات الكبرى	إبن سعد
التمهيد	الباقلاني
البيان والتبيين	الجاحظ
مروج الذهب	المسعودي
الامام علي	عبد الفتاح عبد المقصود
الأموال	أبو عبيد
اعلام النساء	عمر رضا كحالة
الخراج	أبو يوسف
الأم	الشافعي

اسم الكتاب	المؤلف
المحلى	ابن حزم
النظام السياسي في الاسلام	باقر شريف القرشي
حياة الإمام الحسن	باقر شريف القرشي
الأغاني	أبو الفرج الاصبهاني
الموافقات	الشاطبي
تذكرة الحفـاظ	الذهبي
الكامل	ابن عدى
كشف الخفاء	العجلوني
سيرة عمر	ابن الجوزي
العصبية القبلية	احسان النص
ذخائر العقبي	المحب الطبري
فتوح البلدان	البلاذري
لأمتاع	المقريزي
انساب الاشراف	البلاذري
الفتنة الكبرى	طـه حسين
النصائح الكافية	ابن عقيل العلوي
الفائق	الزمخشري
احياء العلوم	الغزالي

٢ — فهرس الموضوعات

دفاع أبي بكر واعتذاره :

الرسول (ص) مع عمر

الرسول «ص» مع عثمان :

الرسول مع القعاد والمعتزلة :

الرسول «ص» مع طلحة والزبير :

الرسول (ص) مع عائشة

شكوى علي (ع)

٣ ــ فهرس الأعلام

– ب –

- ت -

- ث -

- ج -

- ح -

محمد بن عبد الله الرسول الأعظم لم اشر الى ارقام الصفحات التي تشرفت بذكر اسمه الكريم، لعدم خلو صفحة من اسمه .

هذا الكتاب

● استعراض شامل دقيق للأحداث التي تلت وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وتركيز واع على النقاط الحساسة التي تلقاها الناس يومها بكل بساطة وهدوء باعتبارها خلافات سياسية فردية او شبه فردية. وبالفعل كان حجمها المادي يوحي بذلك ـ لو كان الحجم المادي مقياساً للأعمال ـ ولكنها حيث كانت تطاولات على قيادة وأفكار خير أمة أخرجت للناس أدت الى انشقاق هائل في الامة الأسلامية على طول التاريخ ونجمت عنها مضاعفات خطيرة في كل ما يتصل بالامة من جهة وتاثيرات في أوجه النشاط الحيوي للعالم كله من جهة أخرى .

● والمؤلف الفاضل عندما استعرض تلك الاحداث بأسلوب قصصي أبطاله الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ومن جانب وخلفائه من جانب آخر كما توقع ان يقع يوم القيامة فأنما كان يهدف الى استجلاء حقيقة تقول: يجب أن نظفر هالات التقديس على كل ما دخل التاريخ باسم الدين .

● ومن اجل ذلك دخل في المسابقة عن الأمام علي بن ابي طالب عليه السلام فنال الجائزة المعنوية الاولى .

الثمن : ٥٠٠ ق. ل. او ما يعادلها